[redacted]

V.4

باسلامه ، حسين عبدالله .

حياة سيد العرب .

297.09
B.31hA
V.4
C.1

صفحة العنوان بعد الفهرس

فهرس الجزء الرابع

من كتاب ﴿ حياة سيد العرب ﴾ وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية

تأليف حسين عبد الله باسلامه الحضرمي المكي

عدد		عدد	
٢	التشريع الاجتماعي في الاسلام	٨	موضع عرفة وحدودها
٣	حج سنة ثمان من الهجرة	١٠	التعارف بمزدلفة، ومنى وجمرة العقبة، والطواف والسعي
»	نظرية المؤلف في قواعد الاسلام الخمسة	١١	التعارف ليالي منى، والجمرات الثلاث
»	القاعدة الاولى (التوحيد)	١٣	المقابلة بين الاجتماع الاسلامي والاجتماع الغربي وسبب تأخر المسلمين
٤	» الثانية (الصلاة) وما تشمله من التشريع الاجتماعي	١٤	تسفيه رأي الملاحدة والمشككين
٥	» الثالثة (الزكاة) وما تشمله من التشريع الاجتماعي	١٨	مذهب رينيه دي كارت
٦	» الرابعة الصيام	٢١	بيان هوس مقلديه ممن ينتسبون للاسلام
٧	» الخامسة (الحج) وما فيه من التعارف والاجتماع	٢٦	قصة كعب بن زهير وقصيدته بانت سعاد

عدد	فهرس
٣٣	كتابه ﷺ الى ملك عمان وأخيه ومناظرة عمرو بن العاص لهما فى الاسلام
٣٧	بعث المصدقين (جباة الزكاة)
٣٩	بعث قيس بن سعد الى صداء
»	بعث عيينة بن حصن الى بنى تميم ، وما كان من مناظرة الزبرقان ورفاقه
٤٧	سرية قطبة بن عامر الى خثعم
»	سرية الضحاك الى بنى كلاب
٤٩	سرية علقمة الى جمع الحبشة
٥١	سرية على بن ابى طالب الى صنم طئ
٥٤	**غزوة تبوك**
٥٥	خبر البكائين
٥٦	كيف تبارى الصحابة ببذل الاموال فى شدة الازمة لتجييش الجيوش

عدد	فهرس
٥٧	مابذله عثمان بن عفان من الاعانة فى سبيل ذلك
٥٨	ما اذاعه المنافقون من الارجاف لتثبيط الغزاة
٦٠	خروج النبى ﷺ الى تبوك
٦٤	مروره ﷺ بمدائن صالح
٦٨	صلاة النبى ﷺ خلف عبد الرحمن بن عوف
٦٩	ماوقع بتبوك
٧١	خطبته ﷺ بتبوك
٧٢	رجوعه ﷺ من تبوك
٧٣	تآمر المنافقين عليه ﷺ
٧٦	مسجد الضرار وهدمه
٧٧	مساجد النبى ﷺ
٧٨	استقباله ﷺ بالمدينة
٧٩	قصة الثلاثة الذين تخلفوا
٨٧	نظرية المؤلف في التخلف عن ولى الامر

عدد	فهرس
٩٠	وفد ثقيف واسلامهم
٩٤	خبر هدم (اللات)
٩٧	حجة أبى بكر وبعث على لقراءة سورة (براءة) على الناس فى الموسم
٩٩	**قدوم وفود العرب**
١٠٠	وفد بنى عامر
١٠١	وفد بنى سعد
١٠٣	وفد عبد القيس
١٠٧	وفد بني حنيفة
١١٠	وفد طى وزيد الخيل
١١٢	وفد عدى بن حاتم
١١٧	قدوم فروة المرادى
١١٨	وفد عمرو بن معدي كرب
١٢١	قدوم الاشعث بن قيس
١٢٣	وفد صرد الجرشي

عدد	فهرس
١٢٤	قدوم رسول ملوك حمير
١٢٥	كتابه ﷺ الى ملوك اليمن
١٢٧	نظرية المؤلف فى ذلك
١٢٨	وفد فروة الجذامي وقصته مع ملك الروم وقتله
١٣٠	قدوم وفد بنى الحارث
١٣٣	عهده ﷺ لعمرو بن حزام حين بعثه الى اليمن
١٣٥	نظرية المؤلف فى هذا العهد
١٣٦	قدوم رفاعة الجذامى
١٣٧	وفد همدان
١٣٩	وفد تجيب
١٤١	وفد بنى ثعلبة
»	وفد بنى سعد هذيم
١٤٢	وفد بنى فزارة
١٤٥	وفد بنى أسد
١٤٧	وفد بنى عذرة

عدد	فهرس
١٤٨	وفد بهراء
١٤٩	وفد بلى
١٥١	وفد بنى مرة
١٥٢	وفد خولان
١٥٤	وفد محارب
١٥٦	وفد صداء
١٥٩	وفد ملك حضرموت
١٦٠	وفد غسان
١٦١	وفد سلامان
١٦٢	وفد بنى عبس
»	وفد غامد
١٦٣	وفد الازد
١٦٥	وفد بنى المنتفق
١٦٦	وفد بنى نهد
١٦٧	وفد النخع
١٦٩	اسلام جرير البجلى
١٧١	بعثة ابي موسى ومعاذ الى اليمن

عدد	فهرس
١٧٢	بعثة أسامة بن زيد الى الحرقات
١٧٣	بعثة على بن ابى طالب الى اليمن
١٧٦	**حجة الوداع**
١٧٨	دخوله مكة
١٧٩	طوافه بالبيت
»	السعى بين الصفا والمروة
١٨٠	طريقه من مكة الى عرفه
١٨١	خطبة عرفة
١٨٣	دفعه ﷺ الى المزدلفة
١٨٤	اعماله ﷺ بمنى
١٨٥	افاضته من منى الى مكة
»	خطبته ﷺ بمنى
١٨٦	رمي الجمار
١٨٧	نفره من منى الى مكة
»	إعتمار عائشة من التنعيم وخروجه من مكة ميمما المدينة وخطبته بغدير خم

عدد	فهرس
١٨٨	دخوله المدينة
١٨٩	سرية أسامة بن زيد الى ابنى
١٩٥	**الشمائل المحمدية**
»	أسماؤه ﷺ
٢٠٣	صفة خلقه ﷺ
٢٠٧	أخلاقه ﷺ
٢١٦	نظرية المؤلف فى مكارم أخلاقه ﷺ
٢٢٠	**احواله الشخصية**
»	شرابه ﷺ
»	لباسه ﷺ
٢٢٥	فراشه ﷺ
٢٢٧	معجزاته ﷺ
٢٣٤	نظرية المؤلف فى المعجزة
٢٣٧	**أزواجه الطاهرات**
٢٣٨	خديجة بنت خويلد
»	سودة بنت زمعة

عدد	فهرس
٢٣٩	عائشة بنت ابي بكر الصديق
»	حفصة بنت عمر
٢٤٠	أم سلمة
٢٤١	أم حبيبة
٢٤٢	زينب بنت جحش
٢٤٤	زينب بنت خزيمة
»	ميمونة بنت الحارث
»	جويرية الخزاعية
٢٤٦	صفية بنت حيي
٢٤٧	أزواجه اللاتى لم يدخل بهن
٢٤٩	النسوة اللاتى خطبهن ولم يعقد عليهن
٢٥٠	**سراريه**
٢٥١	خدمه
٢٥٧	خادماته
٢٦٠	مواليه

عدد	فهرس
٢٦٢	**الترتيب الادارية**
»	الوزارة
٢٦٤	الامارة، والولاية
٢٦٨	قيادة الجيش
»	القَضاء، والقُضاة
٢٦٩	الكتّاب
٢٧٠	كُتاب السر والترجمان
»	ديوان المحاسبة
٢٧٣	الرسل والبعوث
٢٧٥	الحرس
٢٧٦	الشرطة
٢٧٧	الطبابة
٢٧٨	الاحتسابة
»	المعارف
٢٨٠	الهندسة
٢٨١	الآلات الحربية

عدد	فهرس
٢٨٦	**ادارته الخاصة**
»	أمين خاتمه
٢٨٧	أمين نفقته
»	أمين سواكه ونعله
»	أمين ثقله
٢٨٨	أمين المشربة
»	أدوات الزينة
»	أدوات المنزل
٢٨٩	السراج في المسجد
»	من يأخذ الاذن عليه
٢٩٠	أمين نسائه
»	مؤذنوه
٢٩١	شعراؤه
٢٩٣	حداته
٢٩٤	المضحك
٢٩٦	خيله
٢٩٩	بغاله

عدد	فهرس
٣٠٠	حميره
»	لقاحه ودوابه
٣٠١	**ابتداء مرضه**
٣٠٧	اشتداد المرض
٣١٥	وفاة رسول الله ﷺ
٣١٩	غسله
٣١٩	كفنه
٣٢٠	الصلاة عليه
»	دفنه
٣٢٢	رثاؤه
٣٢٧	نظرية المؤلف
٣٣٠	مصادر الكتاب

(تمت)

نظريات الأعلام

فى كتاب حياة سيد العرب

قد وردتنى جملة تحاريز تتضمن آراء الأعلام في كتاب (حياة سيد العرب ، وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية) وكنت متردداً فى نشرها لما تضمنته من التشجيع والاطراء على الكتاب ، ومؤلفه ، فلما أطلعت بعض الأصدقاء على شئ منها أشاروا علىّ بنشرها . فاخترت منها ثلاث تحاريز ، خشية الاطالة . وهى الأول تحريز من علامة المغرب المحدّث الجليل السيد محمد عبدالحي الكتانى ، أحد الأعلام الأفذاذ ؛ والثانى تحريز من أكبر المستشرقين ومستشار وزارة المستعمرات الهولندية الاستاذ المُعَمَّ (سنوك هورغرونيه) كتبه الى سعادة المفضال الاستاذ الشيخ محمد أفندى نصيف من أكابر وأعيان ، وعلماء ، جده . والثالث من أكابر أعلام الهند المحدّث الرحالة الاستاذ العلامة الشيخ عبيد الله السندى ، ناظم نظارة المعارف القرآنية سابقا فى العاصمة الهندية (دهلى) . فجزاهم الله تعالى عن حسن ظنهم بالعاجز خير الجزاء . وهى بنصها الحرفى نقلا عن الأصل الموجود لدى .

صورة تحرير السيد محمد عبد الحى الكتانى

الحمد لله ، والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه .

حضرة الفاضل الغيور محب الخير ، واحد اعضاء مجلس الشورى بمكة المكرمة الشيخ حسين عبد الله باسلامه المكي الدار والوقار ،

بعد السلام التام الأعم ورحمة الله وبركاته ، فقد وصلتنا هديتكم الثمينة وتحفتكم السنية ، وهى الجزء الاول من كتابكم الثمين فى حياة سيد الأمم من عرب وعجم ، فطالعت بعض فصوله ، وأصوله ، فحمدت مساعيكم ، وشكرت صنعكم وممشاكم ، ولعمري ان تناول الكتاب أمثال هذه المواضيع اليوم لما يعيد للأمة الاسلامية ذكرى عصورها الزاهرة ، وأيامها العظيمة التى فاقوا فيها بدينهم ، ففتحوا ، وانتصروا ، ومدّنوا الشعوب والأمم ، فالله أرجو أن يمدكم بمعونته لاتمام ماقصدتموه ، واكمال ما أبرزتموه ، والحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى . حرره بقلمه الفانى ؟

بمكة المعظمة فى ٢٣ ذي الحجة الحرام عام ١٣٥١

محمد عبد الحى الكتانى .

صورة تحرير رئيس المستشرقين بهولنده

الاستاذ (سنوك هرغرونيه)

من ليدن ٢٢ شهر دسمبر سنة ١٩٣٤

الى صاحب الفضيلة الاستاذ محمد نصيف سلمه الله آمين

بعد اهداء جزيل السلام والتحية . نخبر فضيلتكم بانا قد استلمنا الجزء الثالث من سيرة رسول الله ﷺ (كتاب حياة سيد العرب) فزاد تشكرنا لكم بتلك الهدية السنية ، لا زلتم مجملين ، ولنا ذاكرين . وقد طالعنا هذا الجزء كما طالعنا الجزئين السابقين بغاية الدقة ، معجبين بهمة المصنف الذى يستحق أن يلقب (بابن هشام الثانى) أثابه الله . وان سألتم عن حالنا فلله الحمد ، وان احسسنا بمتاعب الشيب و نقصان القوى البدنية والروحية ندعو المولى سبحانه وتعالى أن يحفظكم ومن يلوذ بكم فى غاية الصحة والعافية والسلام ختام ؟

من المخلص

سنوك هرغرونيه

وهذه صورة تحرير سعادة المفضال

الاستاذ الشيخ محمد نصيف افندي

حضرة الفاضل الشيخ حسين با سلامه عضو مجلس الشورى المحترم.

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أرجو الله ان تكونوا بخير وعافية. وبعد فانى أقدم لكم أعلاه صورة الكتاب الوارد لي من هولندا من رئيس المستشرقين الهولنديين الاستاذ عبد الغفار سنوك هرغرونيه أكبر المستشرقين الهولنديين يقرظ كتابكم (حياة سيد العرب) فاهنؤا بهذا التقريظ ممن يقدر أعمال الرجال . ومزيد سلامي على الاصدقاء ، ومن هنا يسلمون عليكم ، ودمتم سالمين .

فى ٤ شهر شوال سنة ١٣٥٣

محمد نصيف

وقد ذكر عطوفة الامير شكيب أرسلان هذا المستشرق الكبير الاستاذ سنوك هرغرونيه فى كتاب (حاضر العالم الاسلامي) فى عدة مواضع ، واليك ماقاله عنه بالجزء الاول صحيفة (٣٣٨) من الطبعة الثانية ولقد نشرت مجلة العالم الاسلامي الفرنسوية فى سنة ١٩١١ (ميلادى)

أربع محاضرات على سياسة هولنده الاسلامية للعلامة المستشرق الهولندى (سنوك هرغرونيه) مستشار نظارة المستعمرات الهولندية في المسائل الاسلامية العربية ، وهو من الأفـذاذ الذين وقفوا على أحوال الاسلام عموما ، وبلاد الجاوى خصوصا ، وأقام بتلك الديار ١٧ سنة قتل فيها امورها علما ، ويقال انه دخل مكة ، والمدينة ، في موسم الحج متنكراً .

صورة تحرير العلامة المحدث

الشيخ عبيد الله السندى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى . أما بعد فاني ابتهجت لما استوعبت مطالعة كتاب نابغة العصر الاستاذ العلامة الشيخ الوجيـه حسين عبد الله باسلامه ، اعنى (حياة سيد العرب) ﷺ .

اني طالعته بالتدقيق حسب التوفيق فعثرت على الفوائد الجليلة التى يحتاج اليها كل من بحث عن فلسفة التاريخ الاسلامى وقد خلت عنهـا الدفاتر .

ولما رأيت المباحث المطوية في فصول الكتاب لا تختص بالعرب وحدهم بل تعم كافة المسلمين وعامة البشر ، فلو كان الأمر اليَّ لسميته (حياة سيد البشر) فان الانسانية فى جميع أدوارها الآتية لا تستغنى عن مطالعة حياته ان أرادت التخلص من مصائبها الاجتماعية ، لكنى أمتدح الاستاذ فى قصده توجيه أنظار العرب الى الافتخار بالاقتداء بسيدهم الذي بعث منهم رحمة للعالمين ﷺ ، فالكتاب بالبداهة ينبوع لحياة العرب ان اقتفوا أثر الشيخ فى امعان المطالعة وجعلوا مطمح نظرهم اعادة مجدهم السالف فى العلم والحكمة ، وأما فى نظرى فهو يستحق أن لايخلو عنه برنامج التدريسات المكتبية لاختصاره وسلاسة بيانه فى بلدة من بلاد العرب ليكون بذراً لانشاء الاتحاد الفكرى فى النشأة الحديثة .

وللاستاذ منته على مبتغى العلم من جميع الأمم بجمعه ما ينبغى حكاية عن المتقدمين ، ثم استعماله النظر البالغ فى ترجيح الراجح ، وباستنباطه ما يسميه الناس سياسة من المواد الدينية التى لا اختلاف فيها ، بالأدلة الواضحة ، فأسهل الطريق لدفع الدعاية الخبيثة التى تشتمل على تجريد أكمل أديان العالم عن روح الاجتماع والنظام الاصلح .

وأعجبنى تركه تقليد اكثر المؤرخين فى نقل اسماء المواضع والامكنة بدون التحقيق ، فالاستاذ شكر الله سعيه عمل وحده أعمالا قد تقصر الجمعيات عن الوفاء بذلك مثل اجتهاده فى تعيين عكاظ ، وحنين ، وغيرهما .

وأعجبني اكثر من الاول فتحه باب التحقيق فى تنقيد روايات أئمة النقل مع المحافظة على طريقة المحققين منهم مثل احصاء من أسلم قبل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه .

وأعظم من ذلك كله هو تدميج الاستاذ العلامة نظريات حكمة التشريع وعلم المصالح فى تحليل القصص والحكايات مثل تعليقه على سرية أبي قتادة وغيرها .

فعلى الله الكريم حسن جزاءه عن أهل العلم فى الدنيا والآخرة ، ونرجو من رحمته تعالى ان يكثر أمثال الاستاذ واتباعه من المحققين فى العرب وفى عموم الانسانية ليجتهدوا فى اعلاء كلمة الحق ، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين .

بلد الله الامين — عبيد الله السندي الديوبندي

حارة الباب — ناظم نظارة المعارف القرآنية سابقا

غرة ذي القعدة سنة ١٣٥٣ — فى العاصمة الهندية دهلى

هذا ما أردت نشره من نظريات الأعلام ، وأسأل الله جل وعلا أن يحقق نظريات كل من أحسن الظن بالعاجز ، ويجعل عملى خالصاً لوجهه الكريم ، ويمدنى بروح منه ؟

المؤلف

حسين عبد الله باسلامه

297.09
B31hA
v.4
c.1

حياة

سيد العرب

وتاريخ النهضة الاسلامية مع العلم والمدنية

تأليف

حسين عبد الله باسلامة

عضو مجلس الشورى (بمكة)

الجزء الرابع

قيمته ريالان عربيان

57211

حقوق الطبع والنشر محفوظة للمؤلف

المطبعة الشرقية بجدة

١٣٥٣/٨/١٠

بسم الله الرحمن الرحيم

التشريع الاجتماعى فى الاسلام

أول حجة للمسلمين جهارًا

حج سنة ثمان من الهجرة

كانت حجة سنة ثمان من الهجرة هى الحجة الأولى للمسلمين جهروا فيها بشعارهم الدينية ، وذلك قبل أن يُفرض الحج عليهم حيث انه فُرض سنة تسع من الهجرة على رواية وذلك لأن النبى ﷺ بعث أبا بكر الصديق رضى الله عنه في سنة تسع أن يحج بالناس فى ذلك الموسم ، وفي رواية أخرى ان الحج فُرض فى سنة عشرة من الهجرة وذلك لأن النبى ﷺ حج فى تلك السنة بنفسه وعَلَّم الناس مناسكهم وكلتا الروايتين صحيحة ووجيهة والدليل على فريضة الحج من كتاب الله تعالى قوله ﴿ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلاً ﴾ وروى الامام احمد عن ابى هريرة رضى الله عنه قال خطبنا رسول الله ﷺ فقال « أيها الناس قد فُرض عليكم الحج فحجوا » وقال البغوى فى تفسيره في قوله تعالى ﴿ وَأَذِّن

فِى النَّاسِ بِالحَجِّ ﴾ ان المأمور بهذا التأذين محمد ﷺ أمر أن يفعل ذلك في حجة الوداع ، وذكر حديث أبى هريرة المتقدم . ومنه يعلم ان الحج فُرض فى سنة عشرة فى حجة الوداع حيث ان الخطبة التى ذكرها أبو هريرة فى هذه الرواية كانت فى حجة الوداع . وتفصيل ذلك مدون فى كتب المناسك .

قال ابن اسحق : وحج الناس تلك السنة على ما كانت العرب تحج عليه ، وحج بالمسلمين تلك السنة عتاب بن أسيد — أمير مكة — وهى سنة ثمان . انتهى

اذا تأمل المسلم في مبنى قواعد الاسلام الخمسة التى رواها الامام أحمد ، والبخارى ، ومسلم ، والترمذى ، والنسائى ، عن عبدالله بن عمر بن الخطاب رضى الله عنهما عن النبي ﷺ انه قال « بنى الاسلام على خمس شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله ، وإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » يظهر له جليا أن مبنى أساس الاسلام الاجتماعي والانسانى والعمرانى هو على هذه القواعد الخمس ، وذلك لأن القاعدة الأولى ، التى هى (شهادة أن لا اله الا الله وأن محمداً رسول الله) هى القاعدة الاساسية التى تربط القلوب بوحدانية الله تعالى لأنه الخالق والموجد والمحدث لهذا العالم الكبير العظيم ، ولكونه خلقه وقدره على أبدع نظام فقد تحيرت فيه العقول والالباب ، وكان من

ضمن ما شمله هـذا النظام الاسلامي البديع ارسال الرسل صلوات الله عليهم واسطة بين الخالق جل وعلا و بين عباده ، لتبليغهم أوامره ونواهيه وارشادهم الى ما فيه صلاحهم فى الدين والدنيا والآخرة ، وكان خاتم الرسل هو سيدنا محمد ﷺ قـد ارسله الله تعالى بالهدى ودين الحق ليعـلم الناس ما أمر به ، فمتى علم ذلك الانسان وتمكنت هذه القاعدة الاولى من قبله تلقى بقلب طاهر عموم ما جاء به النبي ﷺ من التشريع الذي هو نظام العالم والامم العادل ، وعليه مدار سعادة البشر ، وكل ما تقدم هو عبارة عن كلمة وجيزة مقتضبة من القاعدة الأولى لأن محـل الاسهاب فيها هى كتب التوحيد .

وأما القاعدة (الثانية) التى هى (اقامة الصلاة) فهى القاعـدة الاسلامية الاجتماعية اليومية ، وذلك ان الدين الاسلامى أوجد لمعتنقيه أندية يومية يجتمع فيها أهل كل محلة فى اليوم والليلة خمس مرات وتلك الاندية هى المساجد المحلية حيث يؤدون فريضتهم بهـا ، وحضهم على التبكير اليها لأمرين عظيمين الاول لاجل ان يذكرون الله كثيرا ويشكرونه على ما انعم عليهم وتفضل ، وذلك على هدايتهم للايمان بالله وتآخيهم فى دين الله الذى ارتضاه لهم ، وجعلهم بذلك يجتمعون و يتواصلون آناء الليل وأطراف النهار ، والثانى لاجل أن يتذاكروا حال اجتماعاتهم المتعددة فى المساجد اليومية بعد أن يؤدوا واجبهم الديني فى مصالحهم

الاجتماعية، ويتكرر ذلك خمس مرات فى اليوم والليلة ، وتكون مذاكرتهم مشوبة بخوف الله تعالى من الغدر والغرر . ولم يقتصر اجتماعهم على المساجد المحلية اليومية فقط بل أوجب الدين الاسلامى عليهم ضمن هذه القاعدة اجتماعا عاماً فى كل بلد من بلدان الاسلام أسبوعياً ، وذلك هو اجتماعهم يوم الجمعة في مسجد البلدة الكبير ، فيقوم فيهم خطيب موكل من امام المسلمين يذكرهم عظمة الله تعالى الذى لا تخفى عليه خافية ، ويعلمهم ما أحله الله لهم فى امر دينهم ودنياهم كى يتبعوه ، وما حرمه الله عليهم لأجل أن يجتنبوه ، ويرشدهم الى ما فيه صلاح الدنيا من مواد الاجتماع مثل السياسة الادارية ، والعمرانية ، والاقتصادية ، ويتكرر ذلك فى كل اسبوع ، وبتكرر اجتماع الجمع تتكرر الخطبة بما تحتاجه الأمة من نصائح ، وارشادات ، وغير ذلك من مواد الاجتماع العمرانى

وأما القاعدة (الثالثة) وهي (الزكاة) فانها المواساة المالية بين طبقات الأمة الاسلامية وهى أيضاً عبارة عن قدر بسيط وهو ربع العشر، وبعبارة أوضح اثنين ونصف من كل مائة ٢½/١٠٠ وهـذا المبلغ اذا خرج من المال لا يخل بثروة المثرى وتحصل للفقير منه فائدة تذكر لان المبلغ الوجيز له قيمته عند المعوز ، والزكاة بهـذه النسبة هى على النقود والمواشى . وأما الاراضى الزراعية فما يسقى منها من الانهار ، والعيون ، والمطر، فزكاتها عُشر ايرادها . ومايسقى بواسطة الآلات مثل الغرب،

والدلو ، و(الطلنبات) فزكاتها نصف عُشر ايرادها ، وليس على الاموال المحبوسة في العقار شئ وكل ذلك مفصل في كتب الفقه ، والخراج ، وكانت هذه القاعدة من أهم ما بنى عليه نظام الاجتماع لكونها هادمة لأساس مذهب الاشتراكيين ، حيث أن الزكاة تدر على الفقراء خيراً وتسكن ألمَ فقرهم ، وقد أصبحت هذه القاعدة ويا للأسف على جرف هار ، كدت تضمحل لان كلا من الشفقة ، والرحمة ، والعطف ، قد سلب من قلوب بعض الاغنياء ، وهذا الحال قد أحرج موقف الفقراء والجأهم الى اللصوصية ، والتشرد ، والفوضى ، والانتحار أيضاً ، وكم قد سمعنا فى كثير من الحوادث حصول ذلك من لوعات الفقر والاحتياج ، فلا حول ولا قوة الا بالله ، اللهم الهم الاغنياء رشدهم وعطف قلوبهم على اخوانهم الفقراء من المسلمين ، حيث تجد الواحد منهم يدفع ربع ماله أو ثلثه خراجا للمستعمرين من الاجانب ، سواء كان ذلك طوعا أو كرها ، ويضن بالشئ التافه على أخيه المسلم ، وهو جزء بسيط عبارة عن جزء واحد من أربعين جزءاً من ماله مقابل ما يدفعه للمستعمر الذي هو عشرة أضعاف ذلك ، هذا ما يجعل المؤمن يتأسف من هذا الحال ويذرف الدمع دما .

وأما القاعدة (الرابعة) فهى (الصوم) والصوم هو رياضة النفس وتمرينها على الجوع وألمه ، كى يتثنى للصائم الغنى أن يَحُسَّ بألم ، الجوع

ويتذكر حال الفقير الذي يقضى دهره صائما ، ولم يكن صومه هذا عن عبادة ، بل عدم وجود شيء يأكله ، فمتى صام الغنى وأحس بألم الجوع ، أخذته الشفقة والرحمة على الفقير ، وانك تجد كثيراً من الناس تكثر نفقاتهم فى شهر رمضان ، مع انه ويا للاسف أخذ الصوم ينقلص من نفوس كثير من المسلمين الذين أغرتهم المدنية الأوروبية ، ولم يفيقوا حتى الآن من غفلتهم ، رغما عما تراهم فيه من البذخ ، والتبذير ، وفقدان الصحة ، والمال ، فتراهم فى بحور الغى سابحين ، وهم عن نصح الناصحين غافلون ، فانا لله وانا اليه راجعون .

وأما القاعدة (الخامسة) فهي (الحج) وهو الذى نحن بصدده فالحج هو المؤتمر العام الذى يجتمع فيه عموم أجناس العالم الاسلامى من مشارق الارض ومغاربها وشمالها وجنوبها ، فقد فرض الله تعالى على العالم الاسلامي أجمع من عربي ، وأعجمى ، وأبيض ، وأصفر ، وأحمر ، وأسود ، وشريف ، ووضيع ، أن يلبوا دعوة ابراهيم الخليل عليه السلام حيث قد أمره الله تعالى بوم بنى الكعبة المشرفة بقوله تعالى ﴿ وأذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم ﴾ فمن المنافع التى ذكرها الله تعالى لهم التعارف مع بعضهم بعضا ، وهذا التعارف عليه مدار الاجتماع ، حيث يتعارف الشرقى الذي هو بأقصى

الصين بالغربى الذى يقطن أقصى أفريقية ، حتى أمريكة ، والشمالى منهم سكان ما وراء النهر ، و بلاد الروس ، ومن في بلونيا ، مع الجنوبى الذى يسكن منتهى أفريقية ، حتى رأس الرجا الصالح ، وكذلك الهندي ، والجاوى ، والافغانى ، والايراني ، والمصري ، والصومالى ، وغير ذلك من الامم الاسلامية التى تقطن آسيا ، وأفريقية وأوروبة ، وأمريكة ، ومبدأ التعارف يقع أولا فى (عرفة) وعرفة هو الميدان المحدودة بحدود أربعة شرقًا جبال عرفة ، وغربًا وادى عرنة ، وشمالا الجبل العالى المسمي فى كتب المناسك بجبل (عرنة) وفي رواية يسمى بجبل (عرفة) وجنوبا جبل (وصيق) ومنتهى الحد (بساتين بنى عامر) المنسوبة الى عبدالله ابن عامر بن كريز الاموى ، وهو أول من أجرى العيون وزرع البساتين بعرفة ، وكانت هذه البساتين بين مسجد نمرة وجبل (وصيق) وعرفة تبعد عن مكة بتسعة أميال ، ومساحتها نحو أربعة أميال مربعة ، ويتوسطها جبل الرحمة ، أو جبل عرفة ، وهو الجبل الذي وقف رسول الله ﷺ تحته وجعله على يمينه وهو مستقبل القبلة .

ثم من تشريع الحج أن يتجرد المسلم من زيه الوطنى أو القومى الذي كان يتزيا به في بلده ، ويلبس الازار والرداء الابيض كى يكون عموم المسلمين فى هذا المجتمع بزيّ واحد ، و بشكل واحد ، وشعار الجميع في هذا المجتمع وبهذا المؤتمر ﴿ لَبَّيْكَ اللهمَّ لَبَّيْكَ ﴾ و بنزولهم عرفة

يتعارفون ، ويتزاورون ، ويتحادثون مع بعضهم بعضاً فيذهب الشامى الى اليماني ، والشرقى الى الغربي ، ويتذاكرون فيما فيه صلاحهم الدنيوى والأخروى ويؤدى كل فرد لأخيه المسلم ما لديه من النصح والارشاد ، ويبدى كل رجل لاخيه المسلم ما هو فيه من رخاء وشدة ، وراحة ومشقة ، وجور وعدل ، حتى يكون كل فرد منهم على بصيرة عن حالة الاسلام والمسلمين ، فى مشارق الارض ومغاربها ، فيقدم القوى للضعيف نجدته ، ويبذل الغنى للفقير صلته ، ثم يقوم الأمير الذى على ذلك الموسم فيهم خطيباً فيعظهم وينصحهم ويرشدهم ويوقظهم الى ما فيه صلاح دينهم ودنياهم . أما صلاح دينهم فهو تركهم الشرك بالله ، واتباع الكتاب والسنة ، وما عليه السلف الصالح من الهدى والصلاح ، ومتى عملوا بذلك نالوا ما أدّخره الله تعالى لهم من السعادة الابدية فى الآخرة ، وأما صلاح الدنيا فهو عمار البلاد بكل ما يحتاجون اليه ، وصونه من كل تعد ، وعمل كل طريقة فيما يربط أهل كل بلد ببلاد اخوانهم المسلمين . ويؤمن طرق المواصلة فيما بينهم ، كى يتسنى لكل فرد منهم أن يصل أخاه المسلم بنجدته المادية والمعنوية ، وأن يكونوا على الدوام فى تآلف وتحابب ، بحيث يصبحون كتلة واحدة اذا اشتكى عضو منهم تداعى له سائر العالم الاسلامي بالنجدة .

هذا ما يكون نتيجة التعارف (بعرفة) ثم اذا غربت الشمس نفروا من عرفة الى (المزدلفة) وبين عرفة والمزدلفة ما يقرب من خمسة أميال

والمزدلفة شبه واد ومساحتها نحو نصف مساحة عرفة فاذا وصلوا الى المزدلفة باتوا بها، وفيها يقع تعارف آخر ، وذلك اذا نزل بها الحاج يجد بجواره أناساً من اخوانه المسلمين غير الذين كانوا بجواره يوم عرفة ، فيختلط بهم ويتعارف معهم ويجرى بينهم نحو ما جرى بعرفة من التعارف والتواصل ، والتواصى بالحق والصبر .

هـذا ما يكون بالمزدلفة من التعارف ، ثم يفيضون من المزدلفة الى (منى) ومتى وصلوا (منى) أتو (جمرة العقبة) وهو شاخص مبنى على الموضع الذى رجم فيه سيدنا ابراهيم الخليل ﷺ الشيطان ، وصار بعد ذلك من مشاعر الحج حيث فيه مصلحة للحجاج وهى التعارف أيضاً مع كل من يأتى الى جمرة العقبة ، فيرمون الجمرة بسبع حصيات ، ثم يتحللون التحلل الاول وينحرون هديهم ويطعمون منه الفقراء ، ويحلقون رؤسهم أو يقصرون .

هذا ما كان من العمل فى (منى) بعد النزول من عرفة ، ثم ينزلون الى مكة ، ويؤمون البيت الحرام ، فيطوفون (بالكعبة) سبعاً ، وهنا تعارف آخر مع الطائفين بالبيت العتيق حيث يكون الحاج فى طوافه مختلطا مع غير من تعارف معهم بعرفة ، والمزدلفة ، وعند رمى جمرة العقبة ، فمتى أتم طوافه صلى خلف (مقام ابراهيم الخليل) ﷺ ركعتين سنة الطواف ، ثم يمم نحو (الصفا) فيسعى بين الصفا والمروة سبعة أشواط ،

وهنا في اثناء السعي يحصل التقابل بين الحجاج فيتجهون وجها لِوَجه ، فيلتقى الشرقى بالغربى ، والشمالى بالجنوبى ، فان كان قد سبق لاحد منهم تعارف مع آخر في يوم عرفة ، أو ليلة المزدلفة ، أو في رمى جمرة العقبة ، أو بالطواف ، حياه بتحية الاسلام واذا لم يكن قد سبق له معه تَعَارُفٌ ، تَعَارَفَ معه فى اثناء السعى مجدداً .

هذا ما كان من التعارف بمكة حال الطواف والسعى ، ثم بعد ذلك يعود الحاج الى (منى) وفيها يتزاور المسلمون مع بعضهم بعضا فى سمرهم ليالى (منى) . ومن المشاعر التى بمنى رمى (الجمرات الثلاث) ويحصل عند الجمرات الثلاث من التعارف والوصول الى من تعارف معه بعرفة ، والمزدلفة ، وبمنى ، وبمكة ، ما لا يحصل عند غيرها ، وذلك أنه متى أراد الحاج أن يبحث عن رجل ، أو جماعة ، تعارف معهم بعرفة أو المزدلفة أو بمكة ، فانه يتمكن من الوصول الى لقائه عند أحد الجمرات الثلاث ، لأن من واجب الحج على كل حاج رمى الجمرات الثلاث فى كل يوم من ايام (منى) كل جمرة بسبع حصيات ، فاذا وقف عند أحد الجمرات الثلاث فلا بد انه يلتقى به اذا كان فرداً ، أو بأحد أفراد الجماعة اذا كانوا جماعة أو بهم جميعا فيصحبه أو يدعوه الى منزله ، فيتحادث معه فيما فيه مصلحة الجميع ، ويتعرف بواسطته بمعارفه ، وهكذا يدور التعارف فيما بين المسلمين فى مناسك الحج طيلة أيامه ، فلا يعود

الحاج الى بلاده الا وقد تعارف بمئات من اخوانه المسلمين من عموم اجناسهم وطبقاتهم ووقف على حالتهم وما هم فيه من رخاء وشدة . ثم يقوم أمير الحج أو نائبه فى أيام منى ، فى يوم النحر والذى يليه بخطبة يعظ بها عموم المسلمين ويرشدهم الى ما فيه صلاحهم كما فعل رسول الله ﷺ فى حجة الوداع فقد خطب خمس خطب الاولى يوم السابع من ذى الحجة بمكة ، والثانية يوم عرفة ، والثالثة يوم النحر بمنى ، والرابعة يوم (القر) وهو اليوم التالى ليوم النحر ، والخامسة يوم النفر الأول بمنى ، وكانت تلك الخطب محتوية على النصح والارشاد والتشريع والاجتماع ، وكل ما فيه فلاح ونجاح للامة الاسلامية .

هذا ما ظهر لى من الحكمة في تشريع الحج ، فان اصبت المقصد الدينى والدنيوى من هذا التشريع الاجتماعى أو بعضه فالحمد لله تعالى ، وان أخطأت فى التوضيح أوقصرت فاستغفر الله تعالى وفوق كل ذي علم عليم ، ولكل مجتهد نصيب ، وقد رأيت فى بعض المجلات ان أحد العلماء سئل عن الحكمة فى رَمْي الجمار ، فاجاب : أن رمى الجمار من الامور التعبدية كعدد ركعات الصلاة . والظاهر انه أجاب بهذا الجواب قبل أن يؤدى فريضة الحج ، ولو حج ونظر بتفكر الى الحكمة فى تشريع الحج بما فيه الجمرات لاجاب بما أجبت أو بأوضح مما ذكرت ، والكمال لله وحده ، ولكل فهمه .

وهنا قبل أن أختم هذا البحث أتسائل مع الملاحدة ، والمشككين ، والمجددين ، والمقلدين لاقوال ملاحدة الغرب تقليدا اعمى هل كان يوجد مثل هذا التشريع الاجتماعى عند أمة من الامم غير الامة العربية قبل الاسلام على شكل خاص ، ثم صار عند الامة الاسلامية بشكل عام وعلى طريقة منظمة أعظم وأحسن مما كان عليه العرب فى جاهليتها ؟؟ وهل ان عند الامم الغربية فى العصر الحاضر من الاندية ، والمجتمعات السياسية ، والمعارض العمومية ، ما يضاهي الاندية والمجتمعات التى جاء بها الاسلام للامة الاسلامية كما تقدم ثم علاوة على ذلك فانه قد جعل اعضاء هذا المؤتمر من عموم طبقات المسلمين لافرق فيه بين الذكر والانثى والشريف والواضيع الكل فيه سواء ، كما انه قد كان مبدأ هذا المؤتمر منذ أربعة عشر قرنا ؟؟ وذلك حينما كان الغرب يتخبط فى ظلمات الجهل لا يملك من مواد الاجتماع ولا التشريع شيئا بل ولم يكن عند الفرس والرومان من التشريع الاجتماعى ما يضاهى التشريع الاسلامي أو بعضه كما شهد بذلك فلاسفة الغرب منهم (كارليل) و (الكونت هنرى) و (سديو) و (درابر) و (دروى) و (ليون روش) و (سنكس) وغيرهم كما سيأتى تفصيل ذلك فى خاتمة هذا الجزء ؟ أو انه أغراهم كون معظم عامة المسلمين فى العصر الحاضر يجهلون أهمية هذا التشريع الاجتماعى العظيم ، ولذلك تقاعدوا عن اداء فريضة الحج ، وان معظم من يأتي الى الحج لا

يشعرون بحكمة هذا التشريع الاجتماعى ؟؟ فاذا كان الامر كذلك فعلى من يكون تبعة ذلك ؟ ألم تكن تبعة هذا التقاعد على علماء المسلمين أولئك الذين اشغلتهم المصالح الخاصة بهم عن مصلحة أمتهم ؟؟ ولا شك ان تقاعد علماء الاسلام عن واجبهم الاجتماعى هو الذى أخر المسلمين في عموم أعمالهم الدينية والدنيوية ، وهو السبب الوحيد فى تفكك المسلمين وتمزقهم شر ممزق ، وهذا الذى جعل الملاحدة ، والمشككين ، والمجددين ، والمتمردين على الانسانية ، أن يرفعوا عقيرتهم ، وينفخوا فى بوقهم برفض الدين الاسلامي ، وقولهم أنه حجر عثرة فى سبيل تقدم معتنقيه الى الامام ، مع أن هؤلاء قد خيم الجهل والغرور على أسماعهم وأبصارهم ، فانك تجد أبعدهم نظراً لا يرى ما على أنفه من القذارة والخزى والشنار وذلك لشدة غباوته ، وكل ما يكتبه هؤلاء هو صادر عن دماغ أجوف فارغ من كل تصور معقول ، والذى دعانا الى ذكرهم هنا هو ما نراه من بعض الشبيبة الذين أغرتهم رعونة الشباب الى الاعتقاد فيهم بانهم علماء التجدد ، وأنهم المصلحون فى هذا العصر الذى هو عصر العلم والمدنية ، ولذلك قلدوهم تقليداً أعمى فى كل شئ وما كان ذلك الا لقصر مداركهم عن تصور ما يكتبه أولئك المتمردون على الانسانية من باب الوقاحة بانكار الحقائق ! لا لشئ سوى المتمرد على الفضيلة ، لكونها حجرت عليهم شهواتهم البهيمية ، فقد أخذ بهم التبجح كل مأخذ حتى أنكروا

وجود الانبياء وبالاخص وجود نبي الله ابراهيم الخليل ﷺ وجعلوا وجوده فى الكتب اسميًّا وهو حديث خرافة لا أصل له ، وأنكروا كون القرآن الذى نزل به جبريل عليه السلام من رب العزة جل جلاله على نبى الاسلام سيدنا محمد ﷺ هو من عند الله تعالى ، وقالوا انما هو كتاب عادى ككل الكتب قابل للنقد ، وتراهم يصرحون بذلك بكل وقاحة وتبجح وأشد وقاحة من ذلك كونهم يعدون أنفسهم من المسلمين ، وأشد وأفظع وأشنع من كل هذا وذاك أنهم يعدون أنفسهم من حماة الاسلام وأنهم هم القائمون بتطهيره من الجمود والرجعية ، يقولون ذلك بكل وقاحة ولا يخجلون ، وكأنهم يظنون الاسلام زريبة للبهائم أو جُحْر ضَبّ خرب يأوى اليه أمثال هؤلاء المنبوذين من الانسانية والذين تمردوا على مكارم الاخلاق والفضيلة ، فلو كان عندهم شعور أو جزء بسيط من الادراك لعلموا أن الاسلام أجل وأرفع من أن يسمح لاحد من هؤلاء ومن على شاكلتهم ان ينتسب اليه ، ولعلموا ان مرجعهم الجحيم أولئك هم الذين أصمهم الله وأعمى أبصارهم ، فمثلهم كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث .

وان من أشد الناس غباوة وجهلا وحماقة من يعتقد فى هؤلاء وأمثالهم أنهم من علماء الاسلام وأنهم هم الذين قد قاموا بنصرة حرية الرأى فى النقد ، وأنهم هم المجددون لنفائس العلوم فلو كان عند هؤلاء الذين

يعتقدون فى أولئك الذين أصمهم الله وأعمى بصائرهم انهم من العلماء مثقال ذرة من ادراك لعلموا حقيقة أمرهم ، وانهم من دعاة الضلال ، ومن أشد الناس تعمقا فى الجهـل ، لانهم يظنون أن النقد الحرّ هو البذاءة ، والسفسطة ، والتبجح ، والتعرض للشخصيات ، والحط من كرامة علماء الاسلام ، فلو كانوا على زعمهم أنهم من اهل العلم وأن مسلكهم النقـد الحرّ لعلموا ان النقد الحرّ الشريف الذى يراد به نصرة الحق واظهار النتيجة انما هو قرع الحجة بالحجة ، ومقابلة الرواية الضعيفـة بالرواية الصحيحة ، والرأى السقيم بالرأى الصائب ، وليس النقد كما يزعم هؤلاء المنبوذون من الانسانية أنه التعرض للشخصيات بالبذاءة ، والسفسطة ، والتشكيك ، والحيرة ، والتخبط فى ظلمات الجهل ، كما عليه هؤلاء الجهلاء بجهلهم ، حيث تراهم يتعرضون ببذاءتهم وتبجحهم للانبياء ، والمرسلين ، والكتب المنزلة عليهم من ، السماء و بالاخص كل ما ينسب للاسلام من القرآن المجيد الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، ورجال العلم ، والاصلاح ، وأئمة الهدى ، وليس ذلك لشئ سوى الحط من كرامة الانبياء والمرسلين والكتب المنزلة عليهم وتزييف ما دبجـه يراع جهابذة الاسلام من العلوم والمعارف ، وكذلك لأجـل تضليل الناشئة الاسلامية ، فقد تمردوا على الانسانية والعلم والمدنية ، كل ذلك ابتغاء لمرضاة ملاحدة الغرب وتقليدهم تقليداً أعمى مقابل دراهم

معدودات ، وألقاب جـوفاء كألقاب دور التمثيل التى لا تنطبق على الحقيقة ، بل هي ألقاب موقتة تنتهى بانتهاء الرواية وكل ذلك واقع منهم بدون تفكر او تبصر في السبب الذى جعل مـلاحدة الغرب يلحدون فى ديانتهم ومعتقداتهم ، فلو فكروا قليلا وتبصروا فى سبب ذلك لظهر لهم ان إلحادهم كان خاصا برفض وإنكار مـذاهب الكنائس وما تأتيهم به القسس من الغطرسة باسم الدين ، ولم يتجاوزوا ذلك بل انهم يقدرون رجال العلم والفن والادب وكل ما فيه فضيلة ، واما هؤلاء المقـلدون لهم فقد اشتبه عليهم الحابل بالنابل وظنوا ان مذهب الالحاد فى الغرب هو مناصبة عموم الحقائق ، وعموم الابطال ، وكل من اتصف بالعلم والادب ومكارم الاخلاق بالعداء ، فاخذوا يتطاولون بالبذاءة على كل رجل من رجال العلم والفن والادب من المسلمـين وعلى كـل ما دبجه يراع ابطال الاسلام باسم النقد الحر على مذهبهم ان النقد الحر هو البذاءة والتبجح والسفسطة ، ويظنون انهم قدشفوا غليلهم وانهم قدحطوا من قدرهم وزيفوا كل مكرمة وفضيلة لهم ، مع انهم مخدوعون بذلك الغرور وما هم الا كناطح صخرة ليوهنها ، ولم يشعروا ان الوهن قد اصاب رؤسهم وفلق أدمغتهم بدون جدوى ، حيث ان تطاولهم على علماء الاسلام يعد رفعة لهم لأن مدحهم يعتبر ذماً عند اولى الفضل من الرجال ، كما ان ذمهم يعتبر مدحاً ورفعة ؛ لانهم أعـداء العـلم والانسانية والفضيلة ؛ بل وأعـداء

الحقائق الظاهرة

وحقيقة أمر هؤلاء أنهم يتخبطون فى ظلمات الجهل ، فتراهم مرة يقلدون الملاحدة فى رفض الأديان ، ومرة يقلدون مذهب (رينيه دى كارت)في التشكيك . واليك نبذا من فلسفة رينيه دى كارت لتقف على شئ من مذهبه ولتعلم انه فى واد وهؤلاء فى واد آخر يقول دي كارت انه مادامت الحواس قد تخدعني كثيرا فى بعض الأحايين فمن الحزم ان لا نثق البتة فى الذين خدعونا مرة واحدة فيجب الاقرار باننا نتصور في الحلم أشياء نحسبها اذ ذاك حقيقة فاذا استيقظنا تبدد الحلم وتبين لنا أن ما رأيناه فى أثناء النوم لم يكن من الحقيقة فى شئ ، ومعنى هذا أن كثيراً من الصور والافكار التي تتوارد امامنا فى اليقظة ترد علينا بنفسها فى أثناء النوم دون أن تكون اذ ذاك حقيقة ، واذاً ما الذى يمنع ان تكون تصوراتنا فى اليقظة مثل تصوراتنا فى النوم كلها خيالات وأوهام ، ومن الناس من يخطؤن في التفكير حتى في أبسط امور الهندسة ويأتون فيها بالمغالطات فلنحكم اذاً باننا عرضة للزلل ولننبذ ضمن الباطل كل الحجج التى كنت اعتبرها من قبل في البرهان حتى ولو اقتضى الامر ان نقول ان السماء والارض والالوان والاشكال وسائر الأشياء الخارجة لا تكون اذاً الا أوهاما وأحلاما ولنفرض ايضا ان ما نعتبره من اننا حائزون على أيد ، وعيون ، وآذان ، ولحم ، ليس الا مجرد إعتقاد باطل هذه نبذة من

من فلسفة رينيه دي كارت . وقد قال الغمراوى في كتابه النقد التحليلى : ان دى كارت حين اخذ الشك يساوره كان غلاما ناشئاً يتربى فى احدى كليات الجزويت ، وكان حين غلى في الشك فاطرح كل شئ وشك فى كل شئ مما تلقاه فى تلك الكلية شابا لم يكد يتجاوز العشرين ولم يكد يغادر باب الكلية الى ميدان الحياة ، فشكه ذلك كان شك الفتى الغرير لا العالم الخبير ، ومن الظلم ان يحتج به أونشتد فى محاسبة صاحبه .

فاذا تأملت مقالة دي كارت وفهمت ما يقصده علمت ان كل شئ فى نظره عبارة عن خيال لا حقيقة له . فقام هؤلاء الذين قلدوه تقليداً أعمى يشكون فى وجود الانبياء والرسل ، وفي نزول الكتب المقدسة ، بل ووجود الخلفاء الراشدين ، ويقولون ان كل ما دوّنه التاريخ عن هؤلاء حديث خرافة ، ويشكون ايضا في صحة كتب الاسلام عموما ، فالقرآن المجيد فى نزوله من السماء شك عندهم وهو قابل للنقد . وكتب الحديث من الصحاح والسنن والمسانيد ، أوهام وخيالات . وكتب التاريخ حديث خرافة ، وكتب الادب كلها موضوعة وليس لها أصل قديم ترتكز عليه غير الخيال والوهم ، وبالاجمال ان كل ما كان قد الفه السلف الصالح قبل القرون الوسطى مشكوك فى صحة اسناده الى مؤلفيه لأن مؤلفيه مشكوك في صحة وجودهم ، فكيف والحالة هذه يسوغ لهم ان يزعموا انهم من المسلمين وانهم من زعماء الاسلام ، ولا ادرى لم لا

يشكون في انفسهم انهم ليسوا من الانسانية فى شئ بل انهم من القردة ، وعبدة الطاغوت ، لأنهم بالقردة اشبه من الانسان العاقل ، ولا أدرى ايضًا هل عندهم ادراك لما يقولونه ام قد فقدوا كل شعور غير الشك والريبة فى دين الاسلام ، مع ان الدين الاسلامي قدجاء بالحقيقة مجردة من كل شبهة وتردد ، ونفى عن معتنقيه كل شك وحيرة فى وجود الله تعالى ، واظهر لهم سنن الكائنات ، ونظام العالم والامم ، وطرق السعادة الأبدية ، ولوفكر هؤلاء وأمثالهم فيماجاء به الاسلام لظهرت لهم الحقيقة طاهرة نقية من كل ريبة وشك وتردد ، كما ظهر ذلك لكثير من علماء الغرب الذين درسوا بعض كتب الاسلام كما سأوضحه فى خاتمة هذا الكتاب ، ولكنهم في ظلمات الجهل سابحون ، وهم عن الحقيقة غافلون ، الا يخجلون مما هم فيه وقد تناولتهم اقلام المصلحين من كل جانب مثل الرماح الذوابل ، ومثل الشهب المحرقة ، وكالصواعق المهلكة ، او السيوف البتارة ، تَبُتُّ في اضاليلهم ، ومفترياتهم ، على الاسلام واهله فزيفت آراءهم ، وأدحضت كل نظرية لهم ، وابانت للملأ فساد افكارهم وسوء قصدهم نحوالاسلام واهله ، وانه ما كان انتسابهم الى الاسلام الا لاجل تضليل الناشئة الإسلامية وأن يغرسوا فى قلوبهم الشك والريبة فيما ادخره السلف الصالح للخلف الطاهر من العلوم والمعارف ، وأملوا فى أدمغتهم ان ما نقله الخلف الطاهر عن السلف الصالح هوحديث خرافة

لا اصل له ، وان كل ما نقله علماء القرون الوسطى من المسلمين عن سلف الاسلام باطل لاحقيقة له ، وكأنه في نظرهم ان العالم لم يخلق الا في القرون المتأخرة ، وكل ذلك مبناه على الشك والريبة ، وكل ذلك ناشيء عن جهل وغرور سببه رداءة الاخلاق فلو كانوا يملكون من العقل ، او الادراك ، مثقال ذرة لما قلدوا شابا متحيراً مثل دى كارت في تشكيكه وهو شاب قبل ان ينضج عقله وتتخمر نظرياته فى مخه ، ويتركون فلاسفة الغرب العظام مثل كارليل ، والكونت هنري دي كاسترى ، وسديو ، ودرابر ، وجستاف لوبون ، ودوزى ، وغيرهم اذا كانت رغبتهم دراسة مايكتبه علماء الغرب ولكن الذي يظهر من عدم تتبعهم لاقوال المنصفين من اهل الغرب وبالعكس فى انكبابهم على درس الكتب الشاذة عن نظام الكون ، والمملوءة شكا وحيرة ، هو أعظم دليل على انهم لا يريدون الحق ولا يعرفون طريقه ، لأنهم قد جبلوا من اصل نشأتهم على الفساد والزيغ والضلال والشر والمشاغبة ، وبث كل رذيلة ، والابتعاد عن كل فضيلة ،

فهل يتصور عاقل ان قوما مُنِحُوا فهماً وإدراكاً ، يقلدون شابا او رجلاً متحيراً ، قصر إدراكه عن التفكر فى خلق السماوات والارض ، كما قصر فهمه عن تصور الكائنات ، إلاَّ انهم على احد امرين ، أما أنهم قد سلبوا العقل ، او جبلوا على الشر ، ولا شك ان هؤلاء قد خلقوا بلا عقل ، وانهم جبلوا على الشر ، والخزى ، والمقت ، فهم الذين قال فى

أمثالهم المولى جل جلاله فى كتابه المنزل على نبيه محمد ﷺ ﴿ وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ * أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ * وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ اللهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَا يُبْصِرُونَ * صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾ سورة البقرة ،

هذا ما قاله رب العزة جل وعلا فى أمثال هؤلاء المجددين لما كان فى الازمان السالفة من إلحاد وتمرد على ما جاءت به الرسل صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين ، من الهدى ودين الحق ، فقد ابان المولى جل

وعلا ما تكنه صدورهم ، وما تخفيه أفئدتهم ، من الزيغ والضلال ، وهو أعلم بخائنة الاعين وما تخفى الصدور . يظنون هؤلاء انهم سيهدمون صرح الاسلام بمعاولهم السفسطية الفاجرة وقد جهلوا ما قاله بعض المستشرقين فى الاسلام : ان الاسلام قوي الجانب وليس من الممكن هدم صرحه أو إيقافه عن تقدمه رغما عما بذلته الجمعيات التبشيرية من الملايين الطائلة فى إنشاء المستشفيات والملاجئ ، وبعث رسل التبشير فى عموم أنحاء البلاد الاسلامية ، ورغما عما قام به بعض أفراد وجماعات من المسلمين أنفسهم من التمرد على دينهم والخروج على شريعتهم ، ورغما عن تقاعد المسلمين من بث دعاة الاصلاح والتبشير لدينهم ، فان الاسلام لا يزال يتسع نطاقه في المعمورة ، ويكثر أهله .

هذه شهادة للاسلام من عدو الدّ ، وكما قيل (والفضل ماشهدت به الاعداء) ولا يزال الاسلام عزيز الجانب ، عالى الرأس ، ما دام فيه رجال مصلحون يبثون دعوته بصدق واخلاص فى عموم أنحائه ويؤدون واجبهم نحو إعلاء كلمة الله تعالى ، وما دام هناك قسم عظيم من الناشئة الاسلامية قد نشؤا على مبادئ الدين الاسلامي القويم ، وعلى مكارم الاخلاق ، وشبوا على الايمان الصحيح وقد برزوا لمقاومة الالحاد ومصارعة المتمردين على الاسلام والانسانية ، وبرهنوا على صدق ايمانهم وصحة اسلامهم ، فلا شك ان هذه الشبيبة الصالحة سيكون لها شأن فى

المستقبل ، ويكون النصر حليفها في مصارعة الملاحدة والمشككين والمتهوسين ، حيث يصبحون هم رجال الاسلام وزعماءه والذابين عن بيضته ، وما ذلك على الله بعزيز وهو سبحانه وتعالى المقيض لهذا الدين القويم رجالا مصلحين يضحون فى سبيل إعلاء كلمته أرواحهم ونفوسهم وكل عزيز لديهم .

ولا يفوتنا هنا ان نذكر كلمة عن دعوى هؤلاء الملاحدة والمشككين انهم من علماء الاصلاح والادب ، ويتمشدقون باسم العلم . فنقول ان العلم من حيث هو أجل وأعظم وأرفع من أن ينتسب اليه احد من هؤلاء وذلك لان العلم هو ضد الجهل على خط مستقيم ، لأن العلم جوهر شفاف لا يقبل أن يلتصق به شئ من الجهل ، لأن الجهل قذارة ، والعلم نور من الله تعالى ايضاً تستضيء منه القلوب و تستنير به الابصار ، فلو ان عند هؤلاء شيئا من العلم لظهر نوره على وجوههم المغبرة ، ولتطهرت قلوبهم من الرجس والفسوق ، والعصيان ، والبذاءة ، والتبجح ، ولكنهم فى غرورهم يسبحون وفى جهلهم يتعمهون ، وفى غباوتهم يتخبطون .

فهذا إمام قريش محمد بن إدريس الشافعى رضى الله عنه ذلك الامام العظيم المجتهد الذى قد مارس العلم وخاض غماره والذى قد اعتنق مذهبه ما يربو على ثمانين مليونا من المسلمين يصف شدة غزارة العلم و بعد غوره بقوله :

كلما ازددت علما زادنى علما بجهلى :

ومعنى ذلك ان العالِمَ المتنـور إذا مارس العلم ببصـيرته وخاض بحاره بحكمته ، اتضح له انه كلما توغل فى بحر العلم انكشف عن بصيرته حجاب من حجب الجهل ، وانه كلما انكشف عنه حجاب من حجب الجهل ظهر له سعة ذلك البحر الغزير المترامي الاطراف ، الذي لاساحل له ، فيرى انه لعظم بعد المسافة يتعذر عليه الوصول الى منتهى حد العلم الاقصى وان العمر ينقضي دون الوصول الى منتهاه ، وان الأجل أقرب من الوصول الى نهاية ذلك البحر العميق .

فاذا كان الامام الشافعى الذى قد علمه معظم أرجاء المعمورة يقول :

كلما ازددت علما زادني علما بجهلي :

ويعترف بالجهل عن ادراك كثير من العلوم التى قد أوجدها الله تعالى فى هذا الكون العظيم الخَلْق ، فما بالك بهؤلاء الذين يعدون أنفسهم من قسم العلماء ، أيظنون ان العلم هو الغطرسة ؟ وحرية الرأى هى الوقاحة ؟ والخطابة هى الجعجعة ؟ والنقد هو التبجح ؟ وشقشقة اللسان هى الفصاحة ؟ ألم يكن بطن الارض لهؤلاء الجهلاء خيراً من ظهرها ؟ والموت لهم خيرا من الحياة ؟ والصمت خيراً لهم من التكلم بالبذاءة ؟ والبكم خيراً لهم من النطق بالسفسطة ؟ وان فى ذلك ستراً لمساويهم من الخزى والعار الذي توغلوا فيه .

يقول جمال الدين الافغاني رحمـه الله تعالى : ما أخر الشرق الا

عدم تقدير أهله لرجل العلم : هذا ما يقوله الفيلسوف الحكيم عن حالة الشرق فى عصره وهو المَرَضُ الذي لم يشف منه الشرق حتى الآن فى كثير من اقاليمه ، فكيف به لو أدرك هذا العصر ورأى وسمع ما يتبجح به أذناب الملاحدة وجراثيم الفساد من التطاول بالبذاءة على الانبياء والمرسلين ، والكتب المنزلة عليهم ، وعلى زعماء الاسلام ، وعلمائه ، ونبغائه ، وفلاسفته ، ومفكريه ، والتصدي لكل داع الى الفضيلة والاصلاح بكل مكروه ، فلا شك انه يأسف اشد الأسف على هذه الحالة ، ولشمر عن ساعد الجد لمحاربتهم كما حارب الدهريين في عصره . هذا ما اردت بيانه لكل بصير عاقل وبالله التوفيق .

قصة كعب بن زهير

هو كعب بن زهير بن ابى سلمى المزنى وابوه زهير بن ابى سلمى الشاعر الكبير صاحب المعلقة . كان كعب بن زهير من شعراء العرب فى الجاهلية مثل ابيه وكان يهجو رسول الله ﷺ ويحرض قبائل العرب بشعره على قتال النبي ﷺ وقد هدر دمه النبى ﷺ يوم فتح مكة ، ثم لما قدم رسول الله ﷺ المدينة من منصرفه عن الطائف كتب بجير بن زهير بن ابى سلمى الى اخيه كعب بن زهير يخبره : ان رسول الله ﷺ قتل رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه وان من بقى من شعراء قريش ابن الزبعرى

وهبيرة بن ابى وهب قدهربوا فى كل وجه ، فان كانت لك حاجة فَطِرْ الى رسول الله ﷺ فانه لايقتل احداً جاءه تائبا ، وان كنت لم تفعل فانج الى نجائك من الارض . فلما بلغ كعبا الكتاب ضاقت به الارض وأشفق على نفسه وأرجف به أعداؤه فقالوا هو مقتول . فلمالم يجد مفراً أنشأقصيدته الآتية مدح فيها رسول الله ﷺ وذكر فيها خوفه وارجاف الوشاة به من اعدائه ، ثم خرج حتى اتى المدينة فنزل على رجل من جهينة كانت بينهما معرفة ، فغدا به الى رسول الله ﷺ حين أصبح فصلى مع رسول الله ﷺ ثم اشار له الى رسول الله ﷺ فقال هذا رسول الله فقم اليه فاستأمنه ، فقام كعب الى رسول الله ﷺ حتى جلس بين يديه فوضع يده فى يده وكان رسول الله ﷺ لايعرفه فقال يارسول الله ان كعب بن زهير قد جاء ليستأمن منك تائبا مسلما فهل أنت قابل منه ان انا جئتك به . قال رسول الله ﷺ « نعم » قال انا يارسول الله كعب بن زهير فوثب عليه رجل من الانصار فقال يارسول الله دعنى وعدوالله أضرب عنقه ؟ فقال رسول الله ﷺ « دعه عنك فإنه قدجاء تائبا نازعا عما كان عليه » فغضب كعب على هذا الحى من الانصار لما صنع به صاحبهم الانصارى وذلك لانه لم يتكلم فيه رجل من المهاجرين الابخير فقال قصيدته يمتدح بها رسول الله ﷺ التى هى

بانت سعاد فقلبي اليوم متبول متيم اثرها لم يفد مكبول
وما سعاد غداة البين اذ رحلوا الا اغن غضيض الطرف مكحول
هيفاء مقبلة عجزاء مدبرة لا يشتكي قصر منها ولا طول
تجلو اعوارض ذي ظم اذا ابتسمت كانه منهل بالراح معلول
شجت بذي شبم من ماء محنية صاف بأبطح أضحى وهو مشمول
تنفي الرياح القذى عنه وأفرطه من صوب غادية بيض يعاليل
فيا لها خلة لو انها صدقت بوعدها أولوان النصح مقبول
لكنها خلة قد سيط من دمها فجع وولع وإخلاف وتبديل
فما تدوم على حال تكون بها كما تلون في أثوابها الغول
وما تمسك بالعهد الذي زعمت الا كما يمسك الماء الغرابيل
فلا يغرنك ما منت وما وعدت ان الامانى والاحلام تضليل
كانت مواعيد عرقوب لها مثلا وما مواعيدها الا الاباطيل
أرجو وآمل أن تدنو مودتها وما اخال لدينا منك تنويل
أمست سعاد بأرض لا يبلغها الا العتاق النجيبات المراسيل
ولن يبلغها الا عذافرة لها على الاين أرقال وتبغيل
من كل نضاخة الزفرى اذا عرقت عرضنها طامس الاعلام مجهول
ترمي الغيوب بعيني مفرد لهق اذا توقدت الحزان والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها في خلقها عن بنات الفحل تفضيل

غلباء وجناء ابوها من مهجنة وعمها خالها قوداء شملیل
يمشي القراد عليها ثم يزلقه منها لبان وأقراب زهاليل
عيرانة قذفت بالنحض عن عرض مرفقها عن بنات الزور مفتول
كانما فات عينيها ومذبحها من خطمها ومن اللحيين برطيل
تمر مثل عسيب النخل ذا خضل فی غارز لم تخونه الاحاليل
قنواء فی حربتها للبصير بها عتق مبين وفی الخدين تسهيل
تخدي على يسرات وهی لاحقة ذوابل مسهن الأرض تجليل
سمر العجايات يتركن الحصا زيما لم يقهن رؤس الأكم تنعيل
كان أوب ذراعيها اذا عرقت وقد تلفع بالقور العساقيل
يوما يظل به الحرباء مصطخد كان ضاحية بالشمس محلول
وقال للقوم حاديهم وقد جعلت ورق الجنادب يركضن الحصا قيلُ
شد النهار ذراعا عيطل نصف قامت فجادبها نكد مثاكيل
نواحة رخوة الضبعين ليس لها لما نعى بكرها الناعون معقول
تفري اللبان بكفيها ومدرعها مشقق عن تراقيها رعابيل
تسعى الغوات جنابيها وقولهم انك يا ابن ابي سلمى لمقتول
وقال كل صديق كنت آمله لا ألهينك اني عنك مشغول
فقلت خلوا سبيلي لا ابا لكم فكل ما قدر الرحمن مفعول
كل ابن انثى وإن طالت سلامته يوما على آلة حدباء محمول

نبئت ان رسول الله أوعدنى والعفو عند رسول الله مأمول
مهلا هداك الذي اعطاك نافلة القرآن فيها مواعيظ وتفصيل
لاتأخذني باقوال الوشاة ولم أذنب ولو كثرت فى الاقاويل
لقد اقوم مقاماً لو يقوم به اري وأسمع ما لو يسمع الفيل
لظل يرعد الا ان يكون له من الرسول باذن الله تنويل
حتى وضعت يمينى ما انازعه في كف ذى نقمات قيله القيل
فلهو أخوف عندى اذ أكلمه وقيل انك منسوب ومسؤل
من ضيغم بضراء الارض مخدرة في بطن عثرغيل دونه غيل
يغدوا فيلحم ضرغامين غيثهما لحم من الناس معفور خراديل
اذا يساور قرنا لا يحل له ان يترك القرن الا وهو مفلول
منه تظل سباع الجو نافرة ولا تمشى بواديه الاراجيل
ولا يزال بواديه اخو ثقة مضرج البزوالدرسان مأكول
ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول
فى عصبة من قريش قال قائلهم ببطن مكة لما أسلموا زولوا
زالوا فما زال انكاس ولا كشف عند اللقاء ولا ميل معازيل
شم العرانين أبطال لبوسهم من نسج داود فى الهيجا سرابيل
بيض سوابغ قد شكت لها حلق كانها حلق القفعاء مجدول
ليسوا مفاريح ان نالت رماحهم قوما وليسوا مجازيعاً اذا نيلوا

يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم ضرب اذا عرد السود التنابيل
لا يقع الطعن الا فى نحورهم ومالهم عن حياض الموت تهليل

قال عاصم بن عمرو بن قتادة فلما قال كعب (اذا عرد السود التنابيل) وانما يريدنا معشر الانصار لما كان صاحبنا صنع به ما صنع وخص المهاجرين من قريش من أصحاب رسول الله ﷺ بمدحته غضبت عليه الانصار فقال بعد أن أسلم يمدح الانصار ويذكر بلاءهم مع رسول الله ﷺ وموضعهم من اليمن . وقال غيره ان رسول الله ﷺ قال له حين أنشده بانت سعاد « لولا ذكرت الانصار بخير فإنهم لذلك أهل » فقال كعب هذه الابيات

من سره كرم الحياة فلا يزل فى مقنب من صالح الانصاري
ورثوا المكارم كابر عن كابر ان الخيار هم بنو الاخيار
المكرهين السمهرى باذرع كسوالف الهندى غير قصار
والناظرين باعين محمرة كالجمر غير كليلة الابصار
والبائعين نفوسهم لنبيهم للموت يوم تعانق وكرار
والقائدين الناس عن أديانهم بالمشرفى وبالقنا الخطار
يتطهرون يرونه نسكا لهم بدماء من علقوا من الكفار
دربوا كما دربت ببطن خفية غلب الرقاب من الاسود ضوارى
واذا حللت لينعوك اليهم أصبحت عند معاقل الاغفار
ضربوا عليا يوم بدر ضربة دانت لوقعتها جميع نزار

لو يعلم الاقوام علمي كله فيهم لصدقني الذين اماري
قوم اذا خوت النجوم فانهم للطارقين النازلين مقاري
في الغر من غسان من جرثومة أعيت محافرها على المنقاري

هذا ما رواه ابن اسحاق من قصيدة كعب بن زهير بن ابي سلمة في رسول الله ﷺ فقد نقلتها بأجمعها لأنها هي القصيدة الوحيدة التي ألقيت في مسجد رسول الله ﷺ من القصائد التي مدح بها وكذلك نقلت ما قاله كعب في مدح الأنصار جميعه . ثم لما ألقى كعب بن زهير قصيدته امام رسول الله ﷺ ووصل الى هذا البيت

ان الرسول لنور يستضاء به مهند من سيوف الله مسلول

كساه رسول الله ﷺ بردة له فاشتراها معاوية بن ابي سفيان من ولده فهي التي كان يلبسها الخلفاء في الاعياد . كما رواه الحافظ ابن حجر في الاصابة ويقال انها موجودة الى اليوم في القسطنطينية مع جملة مدخرات إسلامية تاريخية . وفي السيرة الحلبية ان الحافظ ابن كثير رحمه الله قال اشترى معاوية رضي الله عنه البردة التي كانت عند الخلفاء من أهل كعب بأربعين ألف درهم ثم توارثها الخلفاء الامويون ثم العباسيون حتى اخذها التتر منهم سنة أخذ بغداد ، وقال هذه من الامور المشهورة جداً ولكن لم ار ذلك في شيء من الكتب باسناد أرتضيه ثم صار كعب بن زهير من شعراء رسول الله ﷺ الذين يذبون عن الإسلام فقد كتبت السعادة له وصار من انصار

الاسلام بعد ان كان من اعدائه فيستفاد من هذه القصة ما كان عليه رسول الله ﷺ من الصفح عن الجانين بعد المقدرة وما كان عليه من الرفق والتسامح عن كل جان متمرد على الاسلام اذا ندم وتاب من ذنوبه، وآب الى رشده ودخل الاسلام يتحصن به من خزى الدنيا وعذاب الآخرة، وكم قد تقدم فى الاجزاء السالفة من هذا الكتاب عفو رسول الله ﷺ عمن هو شر من كعب بن زهير ولذلك توافد الناس على رسول الله ﷺ من كل فج عميق لنيل السعادة فى الدنيا والآخرة.

وكان كعب بن زهير ممن أدركتهم السعادة ونالوا حظا وافرا فى الاسلام بعد الشقاء الطويل، وكان أخوه بجير بن زهير هو الذى شوقه الى الدخول فى الاسلام وأعلمه ان النبي ﷺ يقبل كل من يأتيه تائباً، وكان بجير هذا من السابقين الى الاسلام ومن الشعراء أيضاً ومن ذوى الرأي والفضل، رضى الله عنه، وقد شرح هذه القصة كثير من علماء الأدب واظهروا جواهر معانيها ودرر مبانيها وعذوبة نظمها، ولذلك لم اتصد الى شرح معاني الالفاظ الغريبة وعلى القارئ مراجعة شروحها اذا شاء

كتابه الى ملك عمان وأخيه

وفي هذه السنة التى هي سنة ثمان من الهجرة كتب رسول الله ﷺ الى ملوك وامراء العرب وذلك بعد أن فتح الله عليه مكة ودانت له

قريش وكثير من قبائل هوازن ، فكتب الى من لم يسبق ان كتب له حينما كتب الى قيصر وكسرى والمقوقس والنجاشي فكان من الذين لم يكتب لهم جيفر ، وعبد، ابنا الجلندي ملكا عمان ، و (عُمَانُ) واقعة شرق حضرموت وهي من القسم الشرقي الجنوبي بجزيرة العرب على رأس الخليج العربي — الفارسي — فكتب اليه كتابا وبعث به عمرو ابن العاص رضي الله عنه وهذا لفظه « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد ابن عبد الله الى جيفر ، وعبد ، ابنى الجلندى سلام على من اتبع الهدى، أما بعد فانى أدعوكما بدعاية الاسلام أسلما تسلما انى رسول الله الى الناس كافة لأنذر من كان حيا ويحق القول على الكافرين، وانكما ان أقررتما بالاسلام وليتكما ، وان أبيتما ان تقرا بالاسلام فان ملككما زائل عنكما ، وخيلى تحل بساحتكما ، وتظهر نبوتى على ملككما » وختم الكتاب . قال عمرو : ثم خرجت حتى انتهيت الى عمان فعمدت الى (عبد) وكان أحلم الرجلين وأسهلهما خلقا فقلت إنى رسول ، رسول الله ﷺ اليك والى أخيك . فقال : أخى المتقدم علي بالسن والملك ، وأنا أوصلك به حتى يقرأ كتابك . ثم قال : وما تدعو اليه ؟ قلت : أدعوك الى الله وحده وتخلع ماعبد من دونه ، وتشهد أن محمداً عبده ورسوله ؛ قال : يا عمرو انك ابن سيد قومك فكيف صنع أبوك يعنى العاص ابن وائل فان لنا فيه قدوة ؟ قلت : مات ولم يؤمن بمحمد ﷺ وودت له لو كان آمن وصدق

به وقد كنت قبل على مثل رأيه حتى هداني الله للاسلام . قال : فمتى تبعته ؟ قلت : قريباً . فسألني أين كان اسلامي ؟ فقلت : عند النجاشي. وأخبرته أن النجاشي قد أسلم . قال : فكيف صنع قومه بملكه ؟ قلت أقروه واتبعوه ، قال: والاساقفة والرهبان ؟ قلت نعم ، قال : أنظر يا عمرو ما تقول أنه ليس من خصلة فى رجل أفضح له من كذب . قلت : وما كذبت ومانستحله فى ديننا .ثم قال : ما أرى هرقل علم باسلام النجاشي؟ قلت له بلى ، قال : بأى شئ علمت ذلك يا عمرو ؟ قلت : كان النجاشي رضى الله عنه يخرج له خراجا فلما أسلم النجاشي وصدق بمحمد ﷺ قال(لا والله ولو سألني درهماً واحداً ما أعطيته) فبلغ هرقل قوله فقال له أخوه : أتدع عبدك لا يخرج لك خراجا ويدين دينا محدثا ؟ فقال هرقل: رجل رغب فى دين واختاره لنفسه ما أصنع به والله لو لا الضن بملكى لصنعت كما صنع ، قال(عبد) انظر ما تقول يا عمرو قلت: والله صدقتك . قال (عبد) فأخبرني ما الذي يأمر به وينهى عنه ؟ قلت : يأمر بطاعة الله عزوجل ،وينهى عن معصيته، ويأمر بالبر وصلة الرحم،وينهى عن الظلم والعدوان وعن الزنا وشرب الخمر وعن عبادة الحجر والوثن والصليب . قال : ما أحسن هذا الذي يدعو اليه لو كان أخى يتابعنى لركبنا حتى نؤمن بمحمد ونصدق به ولكن أخي أضن بملكه من أن يدعه ويصير ذنبا ، يعنى تابعا . قلت : انه ان أسلم ملّكه رسول الله ﷺ على قومه

فأخذ الصدقة من غنيهم فردها على فقيرهم . قال : أن هذا الخلق حسن ، وما الصدقة ؟ قال عمرو فأخبرته بما فرض رسول الله ﷺ من الصدقات فى الاموال ، ولما ذكرت المواشى قال يا عمرو يؤخذ من سوائم مواشينا التى ترعى فى الشجر وترد المياه ؟ فقلت نعم ، فقال : والله ما أرى قومي فى بُعد دارهم وكثرة عددهم يطيعون بهذا . قال عمر فمكثت أياما بباب جيفر وقد أوصل اليه أخوه خبرى ، ثم أنه دعانى فدخلت عليه فأخذ أعوانه بضبعى أي عضدى ، قال دعوه ، فأرسلت فذهبت لأجلس فابوا أن يدعونى أجلس فنظرت اليه فقال : تكلم بحاجتك . فدفعت اليه كتابا مختوما ففض خاتمه فقرأه حتى انتهى الى آخره ثم دفعه الى أخيه فقرأه ، ثم قال : الا تخبرنى عن قريش كيف صنعت ؟ فقلت : تبعوه إما راغب فى الدين وإما راهب مقهور بالسيف . قال : ومن معه ؟ قلت : الناس قد رغبوا فى الاسلام واختاروه على غيره وعرفوا بعقولهم مع هدى الله اياهم انهم كانوا فى ضلال مبين ، فما أعلم أحداً بقى غيرك فى هذه الخرجة ، وأنت ان لم تسلم اليوم وتتبعه تطؤك الخيل وتبيد خضراءك ، يعنى جماعتك ، فأسلم تسلم و يستعملك على قومك ، ولا تدخل عليك الخيل والرجال . قال : دعنى يومي هذا وأرجع الىَّ غداً فلما كان الغد أتيت اليه فأبي أن يأذن لي فرجعت الى أخيه فأخبرته أنى لم أصل اليه فأوصلنى اليه فقال : إنى فكرت فيما دعوتنى اليه فاذا أنا أضعف العرب ان ملكت

رجلا ما فى يدي وهو لا تبلغ خيله ههنا وان بلغت خيله ألفت ، يعني وجدت قتالا ليس كقتال من لاقى ، قلت : أنا خارج غداً . فلما أيقن بمخرجي خلا به أخوه فأصبح فارسل الي فأجاب الى الاسلام هو وأخوه جميعا وصدقا وخليا بيني وبين الصدقة وبين الحكم فيما بينهم وكان لي عونا على من خالفني . هذا ما كان من قصة عمرو بن العاص رضى الله عنه وملكي عمان ومجاهدة عمرو فى اقناع جيفر ، وعبد ، على الدخول فى الاسلام والى اجابة ما دعاهم اليه النبى ﷺ ولم يدخل عمراً المَلَلُ ولا الضجر بل صبر وثابر على النصح والتفاهم حتى فاز في مهمته ، وهكذا ينبغى لكل رجل يتقلد عملا أو يقوم بمهة أن يجد السير فى سبيل عمله ولا يضجر ولا تدخله السأمة فكل من سار على الدرب وصل ، فلو ان عمرو ابن العاص مل أو ضجر لحبط عمله وعاد من حيث أتى بغير نتيجة .

بعث المصدقين

فلما دخلت سنة تسع من الهجرة بعث رسول الله ﷺ المصدقين يأخذون الصدقات من الاعراب وهؤلاء المصدقين هم جباة الزكاة قال ابن سعد : لما رأى رسول الله ﷺ هلال المحرم سنة تسع بعث المصدقين يصدقون العرب فبعث عيينة بن حصن الى بنى تميم ، وبعث بزيد بن الحصين الى أسلم ، وغفار ، وبعث عباد بن بشير الاشهلى الى سُليم ،

ومزينة ، وبعث رافع بن مكيث الى جهينة ، وبعث عمرو بن العاص الى بنى فزارة ، وبعث الضحاك بن سفيان الى بنى كلاب ، وبعث بشر ابن سفيان الى بنى كعب ، وبعث ابن اللتيبية الازدى الى بنى ذبيان . وأمر رسول الله ﷺ المصدقين ان يأخذوا العفو منهم ويتوقوا كرائم أموالهم ، يعني أمر المبعوثين لجمع الزكاة أن يأخذوا ما سهل أخذه وما خف عطاؤه ويتركوا أطيب الأموال لأهلها لأن القصد من الزكاة هو أخذ شئ محدود من أموال الاغنياء ، ويعطى للفقراء وليس الغرض من الزكاة ان يتصدى عمال الزكاة الى أخذ أحسن الأموال وأجودها وترك الردئ منها لصاحب المال لأن فى ذلك إجحافا وضغطا على صاحب المال الذى يجد فى نفسه من ذلك غبنا وضغينة، ولهذه الحكمة أمرهم رسول الله ﷺ أن يأخذوا فضل الأموال ويتركوا كرائمها . قال ابن اسحاق وبعث المهاجر بن أمية الى صنعاء فخرج عليه العنسى وهو بها ، وبعث زياد بن لبيد الى حضرموت وبعث عدى بن حاتم الى طى وبنى أسد ، وبعث العلاء بن الحضرمي الى البحرين وبعث علي بن ابى طالب الى نجران ليجمع صدقاتهم ويقدم عليه بجزيتهم .

بعث قيس بن سعد

الى صداء

بعث رسول الله ﷺ قيس بن سعد بن عبادة الانصارى الخزرجى رضى الله عنهما بعد عودته من مكة فى أول المحرم سنة تسع من الهجرة الى ناحية اليمن فى أربعمائة فارس وأمره ان يقاتل قبيلة صداء حين مروره عليهم فى الطريق فقدم زياد بن الحارث الصدائى فسأل عن ذلك البعث فأخبره فجاء رسول الله ﷺ فقال يارسول الله أنا وافدهم فاردد الجيش وأنا لك بقومي فردهم النبي ﷺ من قناة وقدم الصدائيون بعد خمسة عشر يوما فأسلموا وسيأتى حديث وفدهم مع الوفود .

بعث عيينة بن حصن

الى بنى تميم

بعث رسول الله ﷺ عيينة بن حصن الفزارى الى بنى تميم فى شهر المحرم سنة تسع من الهجرة في خمسين فارسا من قومه ليس فيهم مهاجرى ولا انصارى وكانوا فيما بين السقيا وأرض بنى تميم . وسبب ذلك ان رسول الله ﷺ بعث بشر بن سفيان من بني سعد بن هذيم الى بنى كعب لأخذ صدقاتهم وكانوا مع بنى تميم على ماء فأخذ بشر صدقات بنى كعب فقال لهم بنو تميم وقد استكثروا ذلك لم تعطوهم أموالكم؟

فاجتمعوا وأشهروا السلاح ومنعوا بشرا من أخذ الصدقة فقال لهم بنو كعب نحن أسلمنا ولا بد فى ديننا من دفع الزكاة فقال لهم بنو تميم والله لا ندعه يخرج بعيرا واحدا . ولما رأى بشر رضى الله عنه ذلك قدم المدينة وأخبر رسول الله ﷺ بذلك فخرج عيينة بن حصن فكان يسير الليل ويكمن النهار فهجم عليهم وأخذ منهم أحد عشر رجلا واحدى وعشرين امرأة وثلاثين صبيا ، فجاء بهم الى المدينة فأمر بهم رسول الله ﷺ فحبسوا فى دار رملة بنت الحارث فجاء فى أثرهم جماعة من رؤسائهم منهم عطارد بن حاجب ، والزبرقان بن بدر ، والاقرع بن حابس ، وقيس بن الحارث ، ونعيم بن سعد ، وعمرو بن الأهتم ، ورباح بن الحارث ، فلما رآهم النساء والذرارى بكوا اليهم فجاؤا الى باب رسول الله ﷺ من وراء الحجرات فنادوا بصوت جاف أخرج : الينا نفاخرك ونشاعرك ، فان مدحنا زين وذمناشين ، يا محمد أخرج الينا . فخرج رسول الله ﷺ وقد تأذى من صياحهم وأقام بلال رضى الله عنه الصلاة وتعلقوا برسول الله ﷺ يكلمونه فوقف معهم ، فقالوا نحن ناس من تميم جئنا بشاعرنا وخطيبنا نشاعرك ونفاخرك . فقال لهم النبى ﷺ « ما بالشعر بعثنا ولا بالفخار أمرنا » ثم مضى رسول الله ﷺ فصلى الظهر ثم جلس فى صحن المسجد فاعادوا له مقالتهم الأولى وزادوا (نحن أكرم العرب) فقال لهم رسول الله ﷺ « كذبتم بل مدح الله عز وجل

الزين وشتم الشين وأكرم منهم يوسف بن يعقوب عليهما الصلاة والسلام» ثم قالوا له فأذن لخطيبنا وشاعرنا قال « انى لم أبعث بالشعر ولم أومر بالفخر ولكن هاتوا » فقدموا عطارد بن حاجب فقال الحمد لله الذى له علينا الفضل وهو أهله الذى جعلنا ملوكا ووهب لنا أموالا عظاما نفعل فيها المعروف وجعلنا أعز أهل المشرق وأكثرهم عددا فمن مثلنا فى الناس ألسنا رؤس الناس وأولى فضلهم فمن فاخر فليعدد مثل ما عددنا وانا لو شئنا لأكثرنا وانما أقول قولي هذا لأن يأتوا بمثل قولنا أو أمر أفضل من أمرنا ، ثم جلس فأمر رسول الله ﷺ ثابت بن قيس بن شماس ان يجيبه فقام ثابت رضى الله عنه فقال : الحمد لله الذي السموات والارض خلقه قضى فيهن أمره ووسع كرسيّه علمه ولم يكن شئ قط الا من فضله ، ثم انه كان من فضله أن جعلنا ملوكا واصطفى من خير خلقه رسولا أكرمه نسبا وأصدقه قلبا وأفضله حسبا ، فانزل عليه كتابه وأتمنه على خلقه فكان خيرة الله من العالمين ، ثم دعا الناس الى الايمان فآمن برسول الله ﷺ المهاجرون من قومه وذوى رحمه أكرم الناس أحسابا وأحسن الناس وجوها وخير الناس مقالا ثم كان أول الناس اجابة واستجابة لله حين دعاه رسول الله ﷺ نحن فنحن أنصار الله ورسوله نقاتل الناس حتى يؤمنوا بالله ورسوله فمن آمن بالله ورسوله منع دمه وماله ومن كفر جاهدناه فى الله وكان قتله علينا يسيرا أقول قولي هذا واستغفر الله لي وللمؤمنين

والمؤمنات والسلام عليكم : فقام الزبرقان شاعر بنى تميم فانشد مفاخرا .

نحن الكرام فلاحى يعادلنا منا الملوك وفينا تنصب البيع
وكم قسرنا من الأحياء كلهم عند النهاب وفضل العز يتبع
ونحن نطعم عند القحط مطعمنا من الشواء اذا لم يؤنس القزع
به ترى الناس تأتينا سراتهم من كل أرض هوياثم تصطنع
فننحر القوم غيظا فى أرومتنا للنازلين اذا ما أنزلوا شبعوا
فلا ترانا الى حي نفاخرهم الا استفادوا فكانوا الرأس يقتطع
فمن يفاخرنا فى ذاك نعرفه فيرجع القوم والأخيار تتبع
انا أبينا ولا يأبى لنا أحد انا كذلك عند الفخر نرتفع

فقام شاعر الاسلام حسان بن ثابت رضى الله عنه فاجابه على البديهة .

ان الذوائب من فهر وأخوتهم قد بينوا سنة للناس تتبع
يرضى بهم كل من كانت سريرته تقوى الاله وكل الخير يصطنع
قوم اذا حاربوا ضروا عدوهم أوحاولوا النفع فى أشياعهم نفعوا
سجية تلك فيهم غير محدثة ان الخلائق فاعلم شرها البدع
ان كان فى الناس سباقون بعدهم فكل سبق لأدنى سبقهم تبع
لا يرفع الناس ما أوهت أكفهم عند الدفاع ولا يوهون ما رفعوا
ان سابقوا الناس يوما فاز سبقهم أو وازنوا أهل مجد بالندى منعوا

أعفة ذكرت فى الوحى عفتهم لا يطمعون ولا يرديهم طمع
لا يبخلون على جار بفضلهم ولا يمسهم من مطمع طبع
اذا نصبنا لحى لم يذب لهم كما يذب الى الوحشية الذرع
سموا اذا الحرب نالتنا مخالبها اذا الرعانف من اظفارها خشعوا
لا يفخرون اذا نالوا عدوهم وان أصيبوا فلا خور ولا هلع
كأنهم فى الوغى والموت مكتنف محلية فى أرساغها فدع
خذ منهم ما أتوا عفوا اذا غضبوا ولا يكن همك الامر الذي منعوا
فان فى حربهم فاترك عداوتهم شرا يخاض عليه السم والسلع
أكرم بقوم رسول الله شيعتهم اذا تفاوتت الاهواء والشيع
أهدى لهم مدحتى قلب يوازره فيما أحب لسان حالك صنع
فانهم أفضل الأحياء كلهم ان جد بالناس جد القول واستمعوا

فقال الاقرع بن حابس انى والله يا محمد قد قلت شعرا فاسمعه فقال له ﷺ هات فانشد :

أتيناك كيما يعرف الناس فضلنا اذا خالفونا عند ذكر المكارم
وانا رؤس الناس من كل معشر وان ليس فى أرض الحجاز كدارم

فقال رسول الله ﷺ « قم يا حسان فاجبه » فقال حسان :

بنى دارم لا تفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم

هبلتم علينا تفخرون وأنتم لنا خول من بين ظئر وخادم

فقال رسول ﷺ للاقرع بن حابس « لقد كنت غنيا يا أخا بنى دارم أن تذكر ما كنت ترى ان الناس قد نسوه » فكان هذا القول من رسول الله ﷺ أشد عليهم من قول حسان فقال الأقرع بن حابس لخطيبه يعنى رسول الله ﷺ أخطب من خطيبنا ، ولشاعره أشعر من شاعرنا ، ولاصواتهم أعلى من أصواتنا . ثم دنا من النبى ﷺ فقال : أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله . فقال رسول الله ﷺ « لاضرك ما كان قبل هذا » ورأى النبي ﷺ يقبل الحسن رضى الله عنه فقال يا رسول الله لي من الولد عشرة ما قبلت واحدا منهم فقال رسول الله ﷺ « من لا يرحم لا يُرحم » قال ابن دريد اسم الأقرع « نواس » وانما لقب الأقرع لقرع كان فى رأسه . وكان الاقرع شريفا فى الجاهلية والاسلام وقد نزل فيهم من القرآن قوله تعالى ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِنْ وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّى تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾ وكان عمرو بن الاهتم مدح الزبرقان عند النبى ﷺ فقال : انه لمطاع في أنديته ، سيد فى عشيرته ، فقال الزبرقان لقد حسدنى يارسول الله لشرفى وقد علم أفضل مما قال أنا سيد بنى تميم والمطاع فيهم والمجاب منهم آخذ لهم بحقوقهم وأمنعهم من الظلم وهذا يعلم ذلك . يعنى عمرو بن الاهتم فقال عمرو بن الاهتم أنا أحسدك والله

انك للئيم الخال حديث المال أحمق الوالد مبغض فى العشيرة فعرف عمرو الانكار في وجه رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله والله لقد صدقت في الاولى وما كذبت فى الثانية رضيت فقلت أحسن ما علمت وسخطت فقلت أقبح ما علمت . فقال النبى ﷺ « ان من البيان سحرا ، وان من العلم جهلا ، وان من الشعر لحكما ، وان من القول عيا » ومعنى من العلم جهلا فان العالم يكلف بما لا يعلم فيجهل ذلك فيصرح بعدم العلم به .

ثم انه ﷺ رد عليهم الاسارى والسبى واحسن جوائزهم بعد اسلامهم ومكثوا فى المدينة يتعلمون القرآن والدين ثم لما أرادوا الخروج الى قومهم أعطاهم رسول الله ﷺ كل واحد اثنتى عشرة وقية وقال ما بقى منكم أحد وكان عمرو بن الاهتم فى ركابهم فقال قيس بن عاصم وكان مشاحنا له لم يبق منا الاغلام فى ركابنا وأزرى به فأعطاه رسول الله مثل ما أعطاهم وبلغ عمرو بن الاهتم ما قال قيس في حقه فأنشد ابياتا تتضمن لومه على ذلك ، وكان عمرو خطيبا بليغا شاعراً محسنا يقال ان شعره كان حُللا منشورة وكان جميلا يدعى الكحيل لجماله وهو القائل

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

هذا ما كان من قصة رؤساء بني تميم وندائهم على رسول الله ﷺ من وراء الحجرات بصوت جاف لاجل ان يخرج اليهم حتى يناظروه ويفاخروه ، على ظنهم أن الامر أمر مفاخرة ومباراة في الشعر والخطابة ،

ولم يشعروا أن الاسلام جاء بغير ذلك ، كما انهم لم يظنوا انهم سيفشلون في المفاخرة ، ولكن رسول الله ﷺ عاملهم بما جبل عليه من الرفق واللين والكرم ، والعطف ، فهداهم الله تعالى الى الاسلام والاعتراف برسالة النبي ﷺ وبتفوقه عليهم حتى فيما طلبوا من المفاخرة معه ، وقد تمثل في هذه القصة جفاء الاعراب وغلاظتهم وما هم فيه من القسوة والشدة . وكذلك ما وقع بين الزبرقان وعمرو بن الاهتم ، وحالتهما تمثل عين الرضا ، وعين السخط ، كما قال الشاعر العربي

وعين الرضا عن كل عيب كليلة كما ان عين السخط تبدي المساويا

فمدح أولا عمرو بن الاهتم الزبرقان فلما لم يرض عن مدحه الزبرقان ذمه ، ولما عرف عمرو بن الاهتم في وجه رسول الله ﷺ عدم الرضا من الذم قال والله لقد صدقت في الاولى يعني المدح ، وما كذبت في الثانية يعني الذم ثم عبّر عن عين الرضا وعين السخط فقال : رضيت فقلت أحسن ما علمت ، وسخطت فقلت أقبح ما علمت ، وهذه القاعدة هي طبيعة البشر وقل من يعدل عنها ، فالمرء متى أحب ذكر المحاسن ، ومتى أبغض ذكر المساوي ، والناس على ذلك ، والمنصف منهم ، هو الذي لا يتجاوز الحقيقة في المدح والذم .

سرية قطبة بن عامر بن حديدة

الى خثعم

بعث رسول الله ﷺ قطبة بن عامر بن حديدة الأنصارى الخزرجي رضى الله عنه فى عشرين رجلا الى حي من خثعم بيشة قريب من تربة أو تبالة فى شهر صفر سنة تسع من الهجرة على عشرة أبعرة يعتقبونها وأمره ﷺ أن يشن الغارة ، فخرجوا فأخذوا رجلا فسألوه فاستعجم عليهم فجعل يصيح بالحاضر — وهم القوم النازلون على الماء المقيمون به — ويحذهم فضربوا عنقه ثم أقاموا حتى نام الحاضر فشنوا عليهم الغارة فاقتتلوا قتالا شديداً حتى كثر الجرحى فى الفريقين وساقوا النعم والنساء والشاء الى المدينة فاجتمع القوم وركبوا فى أثرهم وجاء سيل عظيم حال بينهم وبين المسلمين فساقوا النعم والشاء والسبى وهم ينظرون ولا يستطيعون ان يعبروا اليهم حتى غابوا عنهم وأتوا المدينة بسلام وقسمت الغنيمة عليهم بعد أن أخرج الخمس فكان السهم أربعة أبعرة وعدل البعير بعشرة من الغنم .

سرية الضحاك بن سفيان

الى بنى كلاب

بعث رسول الله ﷺ الضحاك بن سفيان بن عوف الطائى الكلابى رضي الله عنه فى جيش الى القرطاء والى بنى كلاب فخرج فى ربيع الأول

كما قال ابن اسحاق و ابن سعد سنة تسع من الهجرة ومعه الاصيدر بن سلمة فلقوهم بالزج (زج لاوة) بنجد فدعوهم الى الاسلام فأبوا فقاتلوهم فهزموهم فلحق الاصيدر أباه سلمة على فرس له فى غدير بالزج فدعاه الى الاسلام وأعطاه الأمان فسبه وسب دينه فضرب الأصيدر عرقوب فرس أبيه فلما وقع الفرس على عرقوبيه ارتكز سلمة على الرمح فى الماء ثم استمسك حتى جاءه أحدهم فقتله ولم يقتله ابنه . هذا ما ذكر ابن اسحاق وغيره .

فعلم من هذه الحادثة ان الأصيدر بن سلمة رضى الله عنه لما دخل الايمان في قلبه جعله لا يرى شيئا فى الدنيا أقدس ولا أعلى ولا أعز ولا أجل من الاسلام ، لا أباه ولا أعز عزيز لديه ، وذلك لما دعا أباه الى الاسلام ولم يجبه ابوه الا بما يكره ، قارن الاصيدر بن سلمه بين العاطفة الأبوية وبين حماية الدين فكان جانب الدين عنده أرجح وأعز من كل عزيز لديه حتى من أبيه فضحى والده فى سبيل الدين فلو كان للدين قيمة فى العصر الحاضر عند المسلمين مثل ما كان الاصيدر بن سلمة لما وصلوا الى ما وصلوا اليه من الحطة والحقارة والخزلان ، أنظر الى هذا الاعرابى لما دخل الايمان في قلبه أصبح بأى شكل ، فالناس يظنون أن الايمان هو عبارة عن ألفاظ جوفاء تقليدية اذا سمع رجل رجلا قال أنا مؤمن قال مثله أنا مؤمن وبمجرد هـذه اللفظة أصبح مؤمنا لأنه تلفظ بها فقط فلذلك

صار الايمان عنده لا قيمة له ولو طُلِبَ منه أن يضحى في سبيله بعوضة أو قرشا لما سمح به لأنه لم يعرف من الايمان غير اسمه ، وعلى ذلك فكثير من الناس يظنون أن الايمان يتأتي بالارث كالانساب والنقود والسلع التى يرثها المرء من أبيه وجده كما قال تعالى ﴿ قَالَتِ الأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ ﴾ فالايمان الحقيقي شئ والاسلام الارثى شئ آخر وعليه فلا يظن ظان أن درجة الايمان فى القلوب واحدة فلو كان الأمر كذلك لما وجدت الرجل من المؤمنين يضحى حياته وأعز عزيز لديه فى سبيل ايمانه وآخر لايقيم للايمان وزنا ، فلذلك ساد ذلك العصر الذهبى ، ولهذا تأخر المسلمون مراحل الى الوراء لأنهم فرَّطوا فى كنزهم الثمين حتى صار المتمسك بايمانه موضع سخرية واستهزاء عند ابنائهم فلا حول ولا قوة الا بالله .

سريه علقمة بن مجزز

الى جمع من الحبشة

بلغ رسول الله ﷺ أن أناسا من الحبشة ترا آهم أهل جدة في مراكب ، وجُدَّة بضم الجيم سميت بذلك لبنائها على ساحل البحر وهى واقعة غرب مكة على بعد خمسين ميلا لأن الجدة شاطئ البحر فبعث رسول الله ﷺ اليهم علقمة بن مجزز بن الاعور الكناني المدلجى رضى

الله عنه فى ثلاثمائة . قال ابن اسحاق وابن سعد كانت فى ربيع الآخر سنة تسع فانتهى الى جزيرة فى البحر فلما خاض البحر اليهم هربوا فلما رجع تعجل بعض القوم الى أهليهم فاذن لهم فأمر عليهم عبد الله بن حذافة السهمى وكانت فيه دعابة فنزلوا ببعض الطريق وأوقدوا ناراً يصطلون عليها — يتدفؤن بها — فقال لهم أميرهم عبد الله عزمت عليكم الا تواثبتم في هذه النار — أي تلقوا بأنفسكم — فقام بعض القوم فتحجزوا حتى ظن أنهم واثبون فيها ، فقال أجلسوا انما كنت أضحك معكم ، فذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال ﷺ « من أمركم بمعصية فلا تطيعوه »

وقد وقعت حادثة أخرى غير هذه وهى شبيهة بها فورد في الصحيحين عن علي بن ابى طالب رضى الله عنه قال بعث رسول الله ﷺ سرية واستعمل عليهم رجلا من الانصار وأمرهم ان يسمعوا له ويطيعوا ، فأغضبوه فقال اجمعوا لي حطباً فجمعوا فقال أوقدوا ناراً ثم قال ألم يأمركم رسول الله ﷺ أن تسمعوا لي قالوا بلى قال فادخلوها فنظر بعضهم الى بعض وقالوا إنما فررنا الى رسول الله ﷺ من النار فكانوا كذلك حتى سكن غضبه وطفئت النار فلما رجعوا ذكروا ذلك لرسول الله ﷺ فقال « لو دخلوها ما خرجوا منها ابدا » وقال « لا طاعة فى معصية الله انما الطاعة فى المعروف » انتهى

فتبين من هذه القصة والتي قبلها أنه لا يسوغ لأي امير كان ان يتصرف فى الجند أو يأمرهم فى غير مصلحة دينية أودفاعا عن الشرف أو مجلبة لمصلحة أمته وقومه وعشيرته وليس على الجند طاعة فى معصية الله تعالى أومضرة لهم أولأي مخلوق ، لإن الله سبحانه وتعالى لم يخلق الكون وينظمه لأجل تلاعب الامراء أولهويّ متبع فقدقال تعالى ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ﴾ وقال رسول الله ﷺ فى هذه القصة « لو دخلوها ما خرجوا منها ابداً » وقال « لا طاعة في معصية الله انما الطاعة فى المعروف » فما ساد دين الاسلام على عموم الاديان الا بهذه الاوامر والنواهي التى هي فى مصلحة الخلق وحفظ كيانهم وإصلاح حالهم في مآلهم ومعادهم ، ورفض العبث فى كل شئ ، لان الدين الاسلامى جاء بالحكمة والاصلاح .

سرية على بن أبى طالب

الى صنم طئ

بعث رسول الله ﷺ علي بن ابى طالب رضى الله عنه في مائة وخمسين رجلا من الانصار على مائة بعير وخمسين فرسا معه راية سوداء ولواء ابيض الى هدم (الفُلس) صنم طئ والغارة عليهم فخرج علي رضى الله عنه فى ربيع الآخر سنة تسع من الهجرة فشنوا الغارة على محلة حاتم وقت الفجر فهدموا الصنم وملؤا أيديهم من السبى والنعم والشاء ، وكان فى السبي أخت

عدي بن حاتم الطائى واسمها سَفَّانة بنت حاتم الطائى والسفانة في الاصل هى (الدُّرَّة) وهرب عدى بن حاتم الى الشام ووجدوا فى خزانة الغلس ثلاثة أسياف وهى (رسوب) و (المخزم) كان الحارث بن أبى شمر قلده إياهما وسيف يقال له (اليماني) وثلاثة أدرع . واستعمل على السبي اباقتادة وعلى الماشية والرقة عبد الله بن عتيك ، وقسم الغنائم في الطريق وعزل الصفى لرسول الله ﷺ ولم يقسم علي رضى الله عنه آل حاتم حتى قدم المدينة ولا يعرف لحاتم بنت غيرهذه ، ولم يقسم أيضا الثلاثة الاسياف حيث انها من أجود أسياف العرب فجعلت هذه الاسياف لرسول الله ﷺ ، وامر رسول الله ﷺ بأخت عدى فقامت اليه وكانت امرأة جذلة ذات وقار وعقل فقالت يا محمد أرأيت أن تخلي عنا ولا تشمت بنا احياء العرب فانى ابنة سيد قومى وان ابى كان يحمى الذمار ، ويفك العاني ، ويشبع الجائع ، ويكسو العارى ، ويقري الضيف ، ويطعم الطعام ويفشى السلام ، ولم يرد طالب حاجة قط ، انا ابنة حاتم طئ ، فقال لها النبى ﷺ « ياجارية هذه صفة المؤمنين حقا لو كان ابوك مسلما لترحمنا عليه ، خلوا عنها فان اباها كان يحب مكارم الاخلاق » ثم قال لها « فلا تعجلى حتى يجيئ من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك فآذنيني » اى أعلميني ، وسألت عن الرجل الذى اشار عليها به فصبرت حتى قدم عليها من تثق به ، قالت فجئت رسول الله ﷺ فقلت : قدم رهط من قومي لى فيهم ثقة فكسانى

رسول الله ﷺ وحملنى وأعطانى نفقة، فخرجت حتى قدمت الشام على اخى. وأسلمت، وحسن إسلامها وسيأتي قريبا خبر اخيها عدى بن حاتم فى خبر الوفود.

فعلم من هذه القصة ان البر والاحسان ومكارم الاخلاق يجعل فاعله محترما ومكرما ولو كان الفاعل لذلك كافرا، وذلك لما أوضحت سفانة بنت حاتم لرسول الله ﷺ ما أوضحته عن مكارم ابيها قام رسول الله ﷺ باحترامها وإكرامها وتمييزها عن غيرها ورعايتها حتى انه قال لها «فلا تعجلي حتى يجئ من قومك من يكون لك ثقة يبلغك الى بلادك» لأن النفوس الشريفة لا تنظر الا الى مكارم الاخلاق والفضائل والشمم واما النفوس الشرسة فلا تعتبر مكارم الاخلاق مزية من المزايا لانها جبلت على الشر، فعلى الانسان الكيّس ان يتمسك بمكارم الاخلاق فان فيها سعادة الدنيا والآخرة، ولا ينظر الى ما عليه شرار الخلق أولئك الذين تمردوا على الانسانية فهم المنبوذون من الفضيلة والشرف وعليهم خزى الدنيا وعذاب الآخرة، فالقدوة لا تكون الا بالافاضل حيث هم أصحاب المسؤدد والمكانة العليا فى الدارين، وهم سادات الناس على الاطلاق، ومكارم الاخلاق من المزايا التى تجعل الانسان محترما عند كافة الناس.

غزوة تبوك

تبوك مشهورة باسمها قديما وحديثا ، وهي واقعة شمال المدينة على عرض (٢٩) درجة وطول (٣٧) درجة ، و بينها و بين المدينة نحو (٣٥٠) ميلا . ويقال لهذه الغزوة ايضا غزوة العسرة لانها وقعت حال عسر الصحابة وضيق حالهم . وسببها ان متنصرة العرب كتبت الى هرقل ملك الروم: ان هذا الرجل الذي قد خرج يدعى النبوة هلك واصابت أصحابه سنون أهلكت أموالهم ، فان كنت تريد أن تلحق دينك فالآن . فجمعت الروم جموعا كثيرة بالشام وأعطى هرقل مرتب سنة لجيوشه وجموعه التي انضمت اليه من قبائل العرب وهم لخم ، وجذام ، وعاملة ، وغسان ، وقدّموا مقدمتهم الى البلقاء .

فلما بلغ رسول الله ﷺ ذلك امر الناس بالجهاز وبعث الى مكة وقبائل العرب يستنفرهم وحض اهل الغنى والثروة على النفقة والحمل فى سبيل الله وكان ذلك فى زمن عسرة الناس وجدب البلاد وشدة الحر ، وحال قرب اوان جدّ الثمار ، وكان الناس يحبون المقام فى ثمارهم وظلالهم وكان رسول الله ﷺ قلما يخرج الى غزوة الا كنى عنها وأظهر القصد الى غيرها الا غزوة تبوك فانه اعلن بالذهاب اليها وذلك لبعد المسافة ، وشدة المشقة ، وكثرة العدو ، ليكون الناس على استعداد تام .

فجاء (البكاؤن)وهم المعوزون الذين لاقدرة لهم على مواد الجهاز يستحملون رسول الله ﷺ وهم (١) سالم بن عمير (٢) علية بن زيد (٣) ابو ليلى عبدالرحمن بن كعب المازنى (٤) العرباض بن سارية (٥) هرم ابن عبدالله (٦) عمرو بن غنمة (٧) عبدالله بن مغفل (٨) عبدالله بن عمرو المازني (٩) عمرو بن الحمام (١٠) معقل المزني (١١) حرمى بن مازن (١٢) النعمان (١٣) سويد (١٤) معقل (١٥) عقيل (١٦) سنان (١٧) عبدالرحمن (١٨) هند ، والجميع بنو مقرن . فقال لهم رسول الله ﷺ «لا اجد ما أحملكم عليه» اى لااجد ما اجهزكم به بسبب العسرة والضائقة الشديدة . فتولوا وأعينهم تفيض من الدمع ، فأنزل الله تعالى فيهم ﴿ لَيْسَ عَلَى الضُّعَفَاءِ وَلَا عَلَى الْمَرْضَى وَلَا عَلَى الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنْفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ مَا عَلَى الْمُحْسِنِينَ مِنْ سَبِيلٍ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ ﴾ وفى صحيح البخارى عن ابى موسى الاشعرى قال : أرسلنى أصحابى الى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم — يعني ما يحملون عليه للجهاد — فقلت : يانبى الله ان أصحابى أرسلوني إليك لتحملهم ، فقال « والله لا أحملكم على شئ » فرجعت

حزينا من منع النبى ﷺ ومن مخافة ان يكون النبى ﷺ وجد فى نفسه علىَّ ، فرجعت الى أصحابى فأخبرتهم الذى قال النبى ﷺ ، وقام علية بن زيد فصلى من الليل و بكى وقال اللهم انك قد أمرت بالجهاد و رغبت فيه ثم لم تجعل عندي ما اتقوى به مع رسولك ولم تجعل فى يد رسولك مايحملنى عليه وانى اتصدق على كل مسلم بكل مظلمة اصابني فيها مال أو جسد أو عرض ، ثم أصبح مع الناس ، فقال النبى ﷺ «أين المتصدق بهذه الليلة؟» فلم يقم احد ، ثم قال « أين المتصدق بهذه الليلة ؟ » فلم يقم احد ، ثم قال « أين المتصدق فليقم » فقام اليه — علية بن زيد — فأخبره فقال ﷺ « أبشر فوالذى نفس محمد بيده لقد كتبت فى الزكاة المتقبلة » روى ذلك يونس والبيهقى فى الدلايل كما ذكره السهيلي فى الروض الأنف .

فبادر أهل الثروة من اجلاء الصحابة رضى الله عنهم بالاعانة لرسول الله ﷺ على تجهيز جيش العسرة فأول من بادر بالنفقة ابو بكر الصديق رضى الله عنه جاءَ بجميع ماله أربعة آلاف درهم فقال له رسول الله ﷺ «هل أبقيت لأهلك شيئاً؟» قال أبقيت لهم الله ورسوله . وجاءَ عمر بن الخطاب رضي الله عنه بنصف ماله فقال له رسول الله ﷺ «هل أبقيت لأهلك شيئاً ؟ » فقال النصف . وجاءَ عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه بمائة أوقية . وجاءَ العباس رضى الله عنه بمال كثير . وجاءَ طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه بمال كثير . وجاءَ سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه

بمال كثير . وتصدق عاصم بن عدى رضى الله عنه بسبعين وسقاً من تمر . وجاء عثمان بن عفان رضى الله عنه بما لم يأت به أحد قبله ولا بعده حتى كثرت الرويات فيما أنفقه وحاصلها انه أنفق نفقة عظيمة فانه جهز عشرة آلاف مقاتل من الصحابة أنفق عليهم عشرة آلاف دينار وقدم لرسول الله ﷺ تسعمائة بعير ، ومائة فرس ، والزاد ، وما يتعلق بذلك حتى ما تربط به الاسقية ، قال ابو سعيد الخدرى رضى الله عنه رأيت رسول الله ﷺ من اول الليل الى أن طلع الفجر رافعاً يديه الكريمتين يدعو لعثمان ابن عفان يقول « اللهم عثمان رضيت عنه فارض عنه » وجاء عثمان رضى الله عنه أيضا بألف دينار فصبها فى حجر النبى ﷺ فجعل رسول الله ﷺ يقلبها بيديه ويقول « ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم » يرددها مراراً . ثم عمل رجال آخرون وقوّى ناس غير هؤلاء ممن هو أضعف منهم حتى أن الرجل ليأتى بالبعير الى الرجل والرجلين فيقول هذا البعير بيننا نعتقبه ويأتي الرجل بالنفقة فيعطيها بعض من بخرج حتى النساء كُنَّ يبعثن بما قدرن عليه من حليهن ، وتبادل الصحابة المساعدة فى التجهيز .

فلما اجتمع المال عند رسول الله ﷺ امر بلالا ينادى : أين عبد الله ابن قيس ، وهو ابو موسى الاشعرى فأجابه قال أجب رسول الله ﷺ قال ابو موسى الاشعري رضى الله عنه فلما أتيته قال « خذ هذه الستة أبعرة فانطلق بها الى أصحابك » فقال بعضهم لبعض أغلقنا رسول الله ﷺ ،

أي حملناه على يمين الغلق وقد حلف أن لا يحملنا ثم حملنا فوالله لا بارك لنا في ذلك فأتوه فذكروه فقال ﷺ « انا ما حملتكم الله حملكم » ثم قال « انى لا أحلف يميناً فأرى غيرها خيراً منها الا كفرت عن يمينى وأتيت الذي هو خير » فهو ﷺ حلف أن لا يحملهم حين لم يكن لديه ما يحملهم عليه ثم لما جاءته الاعانات أرسل اليهم على الفور وأعطاهم ما يحملهم. وحمل العباس بن عبد المطلب رضى الله عنه من البكائين ، رجلين ، وحمل عثمان ابن عفان رضى الله عنه ثلاثة . وحمل يامين بن عمرو النضري رجلين دفع لهما ناضحاله وزوَّد كل واحد منهما صاعين من تمر . وجاء المعذرون من الاعراب ليؤذن لهم فى التخلف فأذن لهم ، وهم اثنان وثمانون رجلا وقعد آخرون من المنافقين بغير عذر و إظهار علة جراءة على الله ورسوله ﷺ وهو قوله تعالى ﴿ وَقَعَدَ الَّذِينَ كَذَبُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ وتخلف نفر من المسلمين من غير شك ولا ارتياب وهم كعب بن مالك ، ومرارة بن الربيع ، وهلال بن أمية ، وفيهم نزل ﴿ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا ﴾ وابوذر الغفارى ، وابوخيثمة ثم لحقاه بعد ذلك .

فاخذ الناس في التهيأ لغزو الروم ونجم النفاق فى المنافقين لأنهم خلفاء اليهود وليكونهم بقوا ولم ينفوا من الارض ولأنه ﷺ خلص من اليهود ولم يخلص من المنافقين ، فقال رسول الله ﷺ ذات يوم وهو فى جهازه ذلك للجد بن قيس احد بنى سلمة « ياجد هل لك العام فى جلاد بنى الاصفر »

فقال يارسول الله أوتأذن لي ولاتفتنى فوالله لقد عرف قومي انه ما من رجل بأشد عجباً بالنساء منى وانى أخشى ان رأيت نساء بنى الأصفر أن لا أصبر فاعرض عنه رسول الله ﷺ وقال قد أذنت لك فجاءه ابنه عبدالله بن الجد وكان بدوياً وهو اخومعاذ بن جبل لامه فقال لأبيه لم ترد على رسول الله ﷺ قوله فوالله مافى بنى سلمة احد اكثر مالا منك فلا تخرج ولاتحمل ؟ فقال يا بنى سلمة مالى وللخروج فى الريح والحر الشديد والعسرة الى بنى الاصفر ووالله ما آمن خوفا من بنى الاصفر وانا في منزلى افأذهب اليهم اغزوهم انى والله يا بنى عالم بالدوائر ، فأغلظ له ابنه وقال لا والله ولكنه النفاق والله لينزلن على رسول الله ﷺ فيك قرآن يقرأبه فأنزل الله فيه ﴿ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ ائْذَنْ لِى وَلَا تَفْتِنِّى أَلَا فِى الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾ وقال قوم من المنافقين بعضهم لبعض لاتنفروا فى الحر ، زهادة فى الجهاد وشكافى الحق وإرجافا برسول الله ﷺ فانزل الله تعالى فيهم ﴿ وَقَالُوا لَا تَنْفِرُوا فِى الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ * فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلًا وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ وبلغ رسول الله ﷺ أن أناساً من المنافقين يجتمعون فى بيت سويلم اليهودى يثبطون الناس عن رسول الله ﷺ في غزوة تبوك ، فبعث اليهم النبى ﷺ طلحة بن عبيدالله رضى الله عنه في نفر من أصحابه وامره ان يحرق عليهم بيت سويلم ففعل

طلحة فاقتحم الضحاك بن خليفة من ظهر البيت فانكسرت رجله واقتحم أصحابه فافلتوا .

فلما تم التجهز للغزو خرج رسول الله ﷺ من المدينة يوم الخميس فى رجب سنة تسع من الهجرة واستخلف على المدينة محمد بن مسلمة الانصاري رضى الله عنه ، وعلى الصلاة ابن ام مكتوم رضى الله عنه ، وخلف على أهله علي بن ابي طالب رضى الله عنه وامره بالاقامة فيهم فارجف به المنافقون وقالوا ما خلفه الا استثقالا له وتخفيفاً منه فلما بلغ ذلك علي بن ابى طالب رضى الله عنه أخذ سلاحه ثم خرج حتى أتى رسول الله ﷺ وهو نازل بالجرف فقال : يانبى الله زعم المنافقون انك انما خلفتني انك استثقلتنى وتخففت مني . فقال ﷺ « كذبوا ولكننى خلفتك لما تركت ورائى فارجع فاخلفنى فى أهلى وأهلك افلاترضى ياعلي أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى الا انه لانبى بعدي » فرجع علي الى المدينة . وكان فى تخلف علي بن ابى طالب رضي الله عنه حكمة عظيمة حيث هو البطل الوحيد الفريد الذى لايستغنى عنه رسول الله ﷺ في غزوة مثل هذه لمكافحة الاقران بميادين الوغى ، وانما اقتضت الحكمة في تخلفه في أهله وتخلف بطل الانصار محمد بن مسلمة رضى الله عنه الذى عرف فى المواقف المتقدمة فى أهل المدينة من نساء وذرية وأموال لكون النبى ﷺ استنفر عموم أصحابه لقتال الروم وأصبحت المدينة خالية من حاميتها فأبقى هذين البطلين

بطل المهاجرين وبطل الانصار ، لحمايتها من اى طارئ يطرأ عليها لأن كل واحد منهما يقوم مقام جيش فلا يجسر احد من الخارج او الداخل أن يتعدى على المدينة واهلها بأي سوء لما كان عليه هذان البطلان من البأس والبسالة والمنعة والنجدة .

فضرب رسول الله ﷺ على ثنية الوداع وفرق الرايات والالوية على قواد الجيش فدفع لواءه الاعظم لابى بكر الصديق رضى الله عنه ورايته العظمى للزبير بن العوام رضى الله عنه ، ودفع راية الاوس لأسيد بن حضير رضى الله عنه ، وراية الخزرج الى الحباب بن المنذر رضي الله عنه ، ودفع لكل بطن من الانصار ومن قبائل العرب لواء وراية وكان عدد الجيش الذى خرج به رسول الله ﷺ من المدينة ثلاثين ألفاً وكانت الخيل عشرة آلاف ولما وصل تبوك بلغ عدد الجيش سبعين ألفا كما جاء في رواية الحاكم فى الاكليل عن ابى زرعة الرازي قال كانوا بتبوك سبعين ألفاً . واذا قارنا بين هذا الجيش وبين الجيش الذي خرج به رسول الله ﷺ في غزوة بدر الذى هو ثلاثمائة وبضع عشرة رجلا وثلاثة أفراس وسبعين بعيراً تعلم قوة تقدم الاسلام في سبع سنين .

ثم عسكر عبدالله بن أبى بن سلول بالمنافقين على ثنية الوداع بأسفلها حذاء (ذُباب) جبل بالجبانة أسفل من ثنية الوداع وكان معه جمع عظيم من المنافقين ، ولما رحل رسول الله ﷺ من ثنية الوداع قاصداً تبوك

انخذل عنه عدوُّ الله ابن سلول بعموم المنافقين وقال يغزو محمد بنى الاصفر مع جهد الحال ، والحر ، والبلد البعيد ، ما لا طاقة له به يحسب محمد ان قتال بنى الاصفر معه اللعب والله لكاني أنظر الى أصحابه مقرونين فى الحبال . يقول ابن سلول هذا القول وهو يعلم ان قوله كذب وباطل مع انه يعتقد ان ما قاله خلاف الواقع وقد قال أمثال ذلك فى كثير من خرجاته مع النبى ﷺ ولم يصح منه شئ وانما يقصد بما يقوله فى هذه الغزوة والتى قبلها الارجاف برسول الله ﷺ و بأصحابه ، وهذه حالة العدو اللدود والحسود العنود الذي لا يرضيه غير زوال الخير عمن يحسده ، ومن ذلك ظهرت الحكمة فى تخلف البطلين العظيمين علي بن طالب ومحمد بن مسلمة الانصارى رضى الله عنهما ، إذ فى بقائهما خير وحاجز لكل ما يريد ابن سلول وقومه ومن على شاكلته من المنافقين عمله بالمدينة وأهلها مدة غياب رسول الله ﷺ وأصحابه عنها . وكان عبدالله بن أبىّ ابن سلول اخا بنى عوف بن الخزرج ، وعبدالله بن نبتل اخا بنى عمرو بن عوف ، ورفاعة بن زيد بن التابوت اخا بنى قينقاع ، وكانوا من عظماء المنافقين وكانوا ممن يكيدون للاسلام وأهله فأنزل الله عز وجل فيهم ﴿ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ ﴾ الآية

وكان قد تخلف ابوخيثمة عن رسول الله ﷺ فلما سار رسول الله ﷺ الى تبوك اتى ابوخيثمة الى أهله يوما شديد الحرّ فوجد امرأتين له

فى عريشين لهما فى حائطه — بستانه — قد رشت كل واحدة منهما عريشها وبردت له فيه ماء وهيأت له فيه طعاما فلما دخل قام على باب العريش فنظر الى امرأتيه وما صنعتا له فقال: رسول الله ﷺ فى الضح ، والريح ، والحر ، وابو خيثمة فى ظل بارد وطعام مهيأ وامرأة حسناء فى ماله مقيم ما هذا بالنصف ، ثم قال : والله لا أدخل عريش واحدة منكما حتى ألحق برسول الله ﷺ فهيآ لى زاداً ففعلتا ثم قدم ناضحه فارتحله ثم خرج فى طلب رسول الله ﷺ فأدرك فى طريقه عمير بن وهب الجمحى سائراً الى رسول الله ﷺ فترافقا حتى اذا دنوا من تبوك قال ابو خيثمة لعمير بن وهب : إن لى ذنبا فلا عليك أن تخلف عنى حتى آتى رسول الله ﷺ ، ففعل حتى إذا دنا من رسول الله ﷺ وهو نازل بتبوك قال الناس هذا راكب على الطريق مقبل فقال رسول الله ﷺ « كن ابا خيثمة » فقالوا يا رسول الله هو والله ابو خيثمة فلما اناخ أقبل فسلم على رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ « أولى لك يا ابا خيثمة » ثم أخبر رسول الله ﷺ الخبر فقال له رسول الله ﷺ خيراً ودعا له . ولحق ابوذر الغفارى رضي الله عنه رسول الله ﷺ ولما رأى رسول الله ﷺ ابا ذر حال نزوله فى بعض الطريق قال «رحم الله اباذر يمشى وحده ويموت وحده ويبعث وحده » فكان كذلك

فمضى رسول الله ﷺ سائراً فجعل يتخلف عنه الرجل فيقال يارسول الله تخلف فلان فيقول « دعوه فان يك فيه خير فسيلحقه الله تعالى بكم وإن يك غير ذلك قد اراحكم الله منه » ونزل رسول الله ﷺ وهو سائر الى تبوك بذى المروة وكان بها ماء وشجر الدوم ونزل ايضاً بوادى القرى ثم لما مر (بالحجر) أى مدائن صالح تقنع ﷺ بردائه وهو على الرحل فما وضع راحلته حتى خلف أبيات ثمود ولما نزل هناك تسارع الناس الى الحجر يدخلون عليهم واستقى الناس من الآبار التى كانت تشرب منها ثمود فعجنوا ونصبوا القدور باللحم فبلغ رسول الله ﷺ ذاك فنودي فى الناس الصلاة جامعة فلما اجتمعوا قال رسول الله ﷺ « لاتدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم الا أن تكونوا باكين أن يصيبكم ما اصابهم ولا تشربوا من مائها ولا تتوضؤا منه للصلاة وأهرقوا القدور وأعلفوا العجين الإبل » ثم ارتحل بهم حتى نزل على البئر التى كانت تشرب منها الناقة وقال « لاتسألوا الآيات قد سألها قوم صالح سألوا نبيهم أن يبعث لهم آية فبعث الله تبارك وتعالى لهم الناقة فكانت ترد هذا الفج وتصدر من هذا الفج فعتوا عن أمر ربهم فعقروها وكانت تشرب مياههم يوما ويشربون لبنها يوما ، فعقروها فأخذتهم صيحة أهمد الله تعالى من تحت اديم السماء منهم الا رجلا واحداً كان في حرم الله تعالى » قيل من هو يارسول الله ؟ قال « ابو رغال ، فلما خرج من الحرم أصابه

ما أصاب قومه » ثم قال رسول الله ﷺ « الا انبئكم بأعجب من ذلك رجل من أنفسكم ينبئكم بما كان قبلكم وبما هو كائن بعدكم ، فاستقيموا وسددوا ان الله تعالى لا يعبأ بعذابكم شيأ وسيأتى الله بقوم لا يدفعون عن أنفسهم شيأ ، وإنما ستهب عليكم الليلة ريح شديدة فلا يقومن احد منكم ومن كان له بعير فليوثق عقاله ، ولا يخرجن احد منكم الا ومعه صاحب له » ففعل الناس ما أمرهم رسول الله ﷺ الا رجلين من بنى ساعدة خرج احدهما لحاجته (يعنى الغائط) وخرج الآخر في طلب بعير له ، فأما الذى ذهب لحاجته فأنه خنق على مذهبه ، واما الذى ذهب فى طلب بعيره فاحتملته الريح حتى طرحته بجبلى طئ ، فأخبر بذلك رسول الله ﷺ فقال « ألم أنهكم أن يخرج منكم احد الا ومعه صاحبه ؟ » ثم دعا رسول الله ﷺ للذي أصيب على مذهبه فشفي ، واما الآخر الذي وقع بجبلى طئ فان طيئاً أهدته لرسول الله ﷺ حين قدم المدينة .

وقد اصاب الناس عطش شديد روى الامام احمد وإبن خزيمة وإبن حبان والحاكم عن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال خرجنا الى تبوك يوم قيظ شديد فنزلنا منزلا واصابنا فيه عطش حتى قلنا ان رقابنا ستقطع حتى أن الرجل ليذهب يلتمس الرجل فلا يرجع حتى يظن ان رقبته ستقطع حتى أن كان الرجل لينحر بعيره فيعصر فرثه فيشربه ويجعل ما بقي على كبده ، فقال ابو بكر رضى الله عنه يارسول الله ان الله عز وجل قد

عودك فى الدعاء خيراً فادع الله تعالى لنا قال « اتحب ذلك ؟ » قال نعم فرفع يديه نحو السماء فلم يرجعها حتى قالت السماء فأظلمت ثم سكبت فملؤا مامعهم ، ثم ذهبنا ننظر فلم نجدها جازت العسكر .

ثم نجم النفاق في وسط الطريق من بعض من صحب رسول الله ﷺ حيث انهم لا يفارقونه فى سفره ولا حضره وغرضهم الوحيد حل عرى الرابطة الاسلامية ولما سئل محمود بن لبيد بن رافع الأنصاري الأوسى هل كان الناس يعرفون النفاق فيهم ؟ قال : نعم والله ان كان الرجل ليعرفه من اخيه ومن ابيه ومن عمه وفي عشيرته ثم يلبس بعضهم بعضاً على ذلك ، ثم قال محمود : لقد اخبرني رجل من قومي عن رجل من المنافقين معروف نفاقه كان يسير مع رسول الله ﷺ حيث سار فلما كان من أمر الناس (بالحجر) ما كان ودعاء رسول الله ﷺ حين دعا فأرسل الله سحابة فأمطرت حتى ارتوى الناس قالوا أقبلنا عليه نقول ويحك هل بعد هذا شئ ؟ قال سحابة مارَّة . وكان رهط من المنافقين منهم وديعة بن ثابت اخو بنى عمرو بن عوف ، ومخشى بن حمير ، يشيرون الى رسول الله ﷺ وهو منطلق الى تبوك فقال بعضهم لبعض أتحسبون جلاد بنى الاصفر كقتال العرب بعضهم بعضاً والله لكأنا بكم غداً مقرونين فى الحبل ، فبلغ رسول الله ﷺ ذلك فانتدب عمار بن ياسر فقال له «أدرك القوم فانهم قد احترقوا فسلهم عما قالوا فأن أنكروا فقل بلى قلتم كذا وكذا»

فانطلق اليهم عمار رضى الله عنه فقال ذلك لهم فأتوا رسول الله ﷺ يعتذرون اليه فقال وديعة بن ثابت ورسول الله ﷺ واقف على ناقته فجعل يقول وهو آخذ بحقبها يارسول الله انما كنا نخوض ونلعب .

قاتل الله المنافقين ما يستحيون ولا يخشون من الله ولا من الكذب على الله تعالى وعلى رسوله ﷺ وعلى المؤمنين وعلى أنفسهم ، وعليهم يصدق القول انهم شر من القردة والخنازير (اذا لم تستح فاصنع ما شئت) ألم يبلغهم ما وقع في غزوة (مؤتة) وقد كان المسلمون ثلاثة آلاف وبنو الاصفر والعرب المتنصرة مائتى ألف فما ذا صنع بنو الاصفر هل قرنوا الصحابة فى الحبال ولكن مكارم أخلاق رسول الله ﷺ فسحت لهم المجال ولكل شئ نهاية ، وسلاح المصلحين الصبر .

فسار رسول الله ﷺ حتى اذا كان قريبا من تبوك قال رسول الله ﷺ لأصحابه « انكم ستأتون غداً ان شاء الله تعالى عين تبوك وانكم لن تأتوها حتى يضحى النهار فمن جاءها فلا يمس من مائها شيأ حتى آتى » فلما اتوها كان قد سبق اليها رجلان والعين مثل الشرك تبض بشئ من مائها فسألهما رسول الله ﷺ «هل مسستما من مائها شيأ؟» قالا نعم ، فسبهما وقال لهما ما شاء الله أن يقول ثم غرفوا من العين قليلا حتى اجتمع في شئ ثم غسل رسول الله ﷺ فيه وجهه ويديه ثم اعاده فيها فجرت العين بماء كثير فاستقى الناس فقال رسول الله ﷺ لمعاذ بن

جبل « يوشك يامعاذ ان طالت بك حياة أن ترى ما هاهنا قد ملئ جنانا »

قال المغيرة بن شعبة رضى الله عنه لما كنا فيما بين الحجر وتبوك ذهب رسول الله ﷺ لحاجته بعد الفجر وتبعته بماء فاسفر الناس بصلاتهم التى هي صلاة الفجر فقدموا عبد الرحمن بن عوف رضى الله عنه فصلى بهم فانتهى ﷺ بعد أن توضأ ومسح خفيه لعبد الرحمن بن عوف وقد صلى ركعة فصلى رسول الله ﷺ مع عبد الرحمن بن عوف ركعة وقام ليأتى بالركعة الثانية وقال لهم ﷺ بعد فراغه « أحسنتم أو اصبتم » فكانت هذه أول مرة صلى رسول الله ﷺ خلف أصحابه ، وفي مسلم لما كان يوم غزوة تبوك اصاب الناس مجاعة بحيث صارت تمص التمرة الواحدة جماعة يتناوبونها فقالوا يارسول الله لو أذنت لنا فننحر نواضحنا فأكلنا وادهنا فقال عمر رضى الله عنه يارسول الله إن فعلت فنى الظهر ولكن ادعهم بفضل أزوادهم وادع الله لهم فيها بالبركة لعل الله أن يجعلها فى ذلك ، فقال رسول الله ﷺ « نعم » فدعا بنطع فبسط ثم دعاهم بفضل أزوادهم فجعل الرجل يأتى بكف ذرة ويجئ الآخر بكف من تمر ويجئ الآخر بكسرة حتى اجتمع على النطع من ذلك شئ يسير فدعا رسول الله ﷺ بالبركة ثم قال لهم « خذوا فى أوعيتكم » فأخذوا حتى ماتركوا فى العسكر وعاء الا ملؤه واكلوا حتى شبعوا وفضلت فضلة فقال رسول الله ﷺ « أشهد أن لا اله الا الله وانى رسول الله لا يلقى الله بها عبد غير شاك

فيحجب عن الجنة »

فلما وصل رسول الله ﷺ تبوك أتاه يُحَنة بن رؤبة صاحب ايلة وصحبته أهل جرباء — قرية بالشام — وأهل أذرح — مدينة تلقاء السراة — وأهل ميناء وأهدى يُحنة لرسول الله ﷺ بغلة بيضاء فكساه رسول الله ﷺ بردة وصالحه على إعطاء الجزية ، وذلك بعد أن عرض عليه الاسلام ولم يسلم . وكتب له ﷺ ولأهل أيلة كتابا صورته « بسم الله الرحمن الرحيم هذا امنة من الله ومن محمد النبي رسول الله ليُحنة بن رؤبة وأهل ايلة سفنهم وسيارتهم فى البر والبحر لهم ذمة الله ومحمد النبي ومن كان معهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر فمن أحدث منهم حدثا فانه لا يحول ماله دون نفسه وانه لطيبة لمن أخذه من الناس ، وانه لا يحل أن يُمنعوا ماء يردونه ولا طريقا يريدونه من بر أو بحر » وكتب ﷺ لأهل أذرح ، وجرباء ، ما صورته « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد النبى ﷺ لأهل أذرح وجرباء أنهم آمنون بأمان الله وامان محمد وان عليهم مائة دينار فى كل رجب وافية طيبة والله كفيل بالنصح والإحسان الى المسلمين » وصالح ﷺ أهل ميناء على ربع ثمارهم

ثم بعث رسول الله ﷺ من تبوك خالد بن الوليد رضى الله عنه فى أربعمائة وعشرين فارسا الى (اكيدر دومة) وهو اكيدر بن عبد الملك من كِندة وكان نصرانيا وكان ملكا عليها فقال رسول الله ﷺ لخالد « انك

ستجده يصيد البقر» فخرج خالد حتى اذا كان من حصنه بمنظر وفى ليلة مقمرة صافية وهو على سطح له ومعه امرأته فبانت البقر تحك بقرونها باب القصر فقالت له امرأته هل رأيت مثل هذا قط قال لا والله قالت فمن يترك هذه قال لا احد فنزل فأمر بفرسه فأسرج له وركب معه نفر من أهل بيته فيهم اخ له يقال له حسان فركب وخرجوا معه بمطاردهم فلما خرجوا تلقتهم خيل رسول الله ﷺ فأخذته وقتلوا اخاه وقد كان عليه قباء من ديباج مخوص بالذهب فاستلبه خالد فبعث به الى رسول الله ﷺ قبل قدومه عليه ، ثم أن خالداً قدم بأكيدر على رسول الله ﷺ بعد ان اشترط على أكيدر فتح دومة الجندل ففعل وصالحه على ألفى بعير ، وثمانمائة رأس ، وأربعمائة درع ، وأربعمائة رمح ، فعزل للنبي ﷺ صفيه خالصا ثم قسم الغنيمة فأخرج الخمس فكان للنبي ﷺ ثم قسم مابقى فى أصحابه فصار لكل واحد منهم خمس فرايض . قال أكيدر عن البقر والله ما رأيتها قط أتتنا الا البارحة ولقد كنت أضمرلها يومين وثلاثة ولكن الله قدر . ولما اتى أكيدر رسول الله ﷺ عرض عليه الاسلام فأبى وأقر بالجزية فقاصاه رسول الله ﷺ على قضية دومة . وأهدى بعض أهل الكتاب (جبنة) لرسول الله ﷺ فدعا بالسكين فسمى الله وقطع وأكل وقد أقام رسول الله ﷺ بتبوك بضع عشرة ليلة على رواية ابن إسحاق ، وعشرين ليلة يصلى ركعتين على رواية الحافظ

الدمياطى فى سيرته .

ولما أصبح رسول الله ﷺ بتبوك حمد الله تعالى وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال « أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله ، وأوثق العرى كلمة التقوى ، وخير الملل ملة إبراهيم ، وخير السنن سنة محمد ، وأشرف الحديث ذكر الله ، وأحسن القصص هذا القرآن ، وخير الامور عوازمها ، وشر الامور محدثاتها ، وأحسن الهدي هدي الانبياء ، وأشرف الموت قتل الشهداء ، وأعمى العمى الضلالة بعد الهدى ، وخير الاعمال ما نفع ، وخير الهدى ما اتبع ، وشر العمى عمى القلب ، واليد العليا خير من اليد السفلى ، وما قل وكفى خير مما كثر وألهى ، وشر المعذرة حين يحضر الموت ، وشر الندامة يوم القيامة ، ومن الناس من لا يأتى الجمعة الا دبرا ، ومنهم من لا يذكر الله الا هجرا ، ومن أعظم الخطايا اللسان الكذاب ، وخير الغنى غنى النفس وخير الزاد التقوى ، ورأس الحكمة مخافة الله عزّ وجل ، وخير ما وقر في القلب اليقين ، والارتياب من الكفر ، والنياحة من عمل الجاهلية ، والغلول من حر جهنم ، والسكركى من النار ، والشعر من إبليس ، والخمر جماع الاثم ، وشر المأكل مال اليتيم ، والسعيد من وعظ بغيره ، والشقي من شقى فى بطن أمه ، وانما يصير أحدكم الى موضع أربعة أذرع والامر الى الآخرة ، وملاك العمل خواتمه ، وشر الرؤيا رؤيا الكذب ، وكل ما هو آت قريب ، وسباب المؤمن فسوق ، وقتاله كفر ، وأكل لحمه من

معصية الله ، وحرمة ماله كحرمة دمه ، ومن يتألى على الله يكذبه ، ومن يغفر يُغفر له ، ومن يعف يعف الله عنه ، ومن يكظم الغيظ يأجره الله ، ومن يصبر على الرزية يعوضه الله ، ومن يتبع السمعة يسمع الله به ، ومن يتصبر يضعف الله له ، ومن يعص الله يعذبه الله » ثم استغفر ثلاثا روى هذه الخطبة بنصها الحافظ ابن القيم فى زاد المعاد . وهذه الخطبة قد جمعت جوامع الكلم ، وجواهر الحكم ، ومكارم الاخلاق ، ودرر البلاغة ، فلو ان المسلمين اقتصروا عليها وعملوا بموجبها لأصبحوا فى أعلى قمم المجد والسعادة ، حيث قد شملت عموم أسباب السعادة فى الدنيا والآخرة ، ولو استعملها خطباء المساجد فى ايام الجمع لاغنتهم عن تلك الخطب التى لا تأثير ولا عظة ولا بلاغة فيها ومهما بالغ الخطباء فى تنظيم خطبهم فلا يستطيعون أن يصلوا الى كلمة من كلمات هذه الخطبة ولا الى حكمة من حكمها وفوق ذلك فمن أين يستطيع الخطيب أن يصل الى التأثير الذى يحصل فى القلوب من هذه الخطبة الصادرة من سيد الفصحاء ، والبلغاء ، والحكماء والوعاظ ، فان النفس المؤمنة لا يؤثر فيها الا ما كان صادراً عن الله تعالى أو عن سيد الخلق ﷺ ، وهذا كاف وواف بالمقصود وأقرب الى القلوب من غيره .

ولما أراد رسول الله ﷺ الخروج من تبوك استشار أصحابه فى مجاوزتها ، فقال له عمر بن الخطاب رضى الله عنه ان كنت أمرت بالسير

فسر . فقال رسول الله ﷺ « لو أمرت بالسير لم أستشركم فيه » فقال عمر : يا رسول الله ان للروم جموعا كثيرة وليس بها احد من أهل الاسلام وقد دنونا وقد أفزعهم دنوك فلو رجعنا هذه السنة حتى نرى أو يحدث الله أمرا . فانصرف رسول الله ﷺ قافلا الى المدينة ، وكان فى طريقه ماء يخرج من وشل ما يروى الراكب والراكبين والثلاثة بواد يقال له (وادى الشقق) فقال رسول الله ﷺ « من سبقنا الى ذلك الماء فلا يستقين منه شيأ حتى نأتيه » فسبقه اليه نفر من المنافقين فاستقوا فلم يروا فيه شيأ فقال ﷺ « من سبقنا الى هذا الماء ؟ » فقيل له يا رسول الله فلان وفلان فقال « أولم أنههم أن يستقوا منه شيأ حتى آتيه » ثم لعنهم رسول الله ﷺ ودعا عليهم ، ثم نزل فوضع يده تحت الوشل فجعل يصب فى يده ما شاء الله أن يصب ثم نضحه به ومسحه بيده ودعا بما شاء الله أن يدعو به فانخرق من الماء كما يقول من سمعه ما أن له حسا كحس الصواعق فشرب الناس واستقوا حاجتهم منه فقال رسول الله ﷺ « لئن بقيتم أو بقى منكم ليسمعن بهذا الوادى وهو أخصب ما بين يديه وما خلفه »

ثم سار فى طريقه فتآمر ناس من المنافقين برسول الله ﷺ أن يطرحوه من العقبة في الطريق فلما بلغوا العقبة أرادوا أن يسلكوها معه فلما غشيهم رسول الله ﷺ أخبرهم فقال « من شاء منكم أن يأخذ ببطن الوادى فانه أوسع لكم وأخذ رسول الله ﷺ العقبة وأخذ الناس ببطن

الوادى الا النفر الذين همّوا بالمكر برسول الله ﷺ لما سمعوا بذلك استعدوا وتلثموا وقد هموا بأمر عظيم وأمر رسول الله ﷺ حذيفة بن اليمان وعمار بن ياسر فمشيا معه وأمر عماراً أن يأخذ بزمام الناقة وأمر حذيفة يسوقها فبينما هم يسيرون إذ سمعوا وكزة القوم من ورائهم قد غشوه فغضب رسول الله ﷺ وأمر حذيفة ان يردهم وأبصر حذيفة غضب رسول الله ﷺ فرجع ومعه محجن واستقبل وجوه رواحلهم فضربها ضربا بالمحجن وأبصر القوم وهم متلثمون ولا يشعر الا أن ذلك فعل المسافر فأرعبهم الله سبحانه حين أبصروا حذيفة وظنوا أن مكرهم قد ظهر عليهم فأسرعوا حتى خالطوا الناس وأقبل حذيفة حتى أدرك رسول الله ﷺ فلما أدركه قال « اضرب الراحلة يا حذيفة وامش أنت ياعمار» فأسرعوا حتى استووا بأعلاها فخرجوا من العقبة ينظرون الناس. فقال النبي ﷺ « هل عرفت من هؤلاء الرهط أو الركب احد ؟ » قال حذيفة عرفت راحلة فلان وفلان قال وكانت ظلمت الليل قد غشيتهم وهم متلثمون فقال رسول الله ﷺ « هل علمتم ما كان شأن الركب وما أرادوا ؟ » قالوا لا والله يا رسول الله قال « فانهم مكروا ليسيروا معي حتى اذا طلعت فى العقبة طرحونى منها » قالوا أولا تأمر بهم يارسول الله اذاً فنضرب أعناقهم قال « أكره أن يتحدث الناس ويقولون ان محمداً قد وضع يده فى أصحابه ان الله قد أخبرنى بأسمائهم وأسماء آبائهم وسأخبرك

بهم إن شاء الله غداً عند وجه الصبح ، فانطلق حتى إذا أصبحت فأجمعهم » فلما أصبح أخبر حذيفة بأسماء أولئك المنافقين ولم يطلع عليهم احداً غيره وبذلك كان يقال لحذيفة انه صاحب السر الذى لا يعلمه غيره ثم جاء أسيد بن حضير رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ فقال يا رسول الله ما منعك البارحة من سلوك الوادى فقد كان أسهل من سلوك العقبة فقال « أتدرى ما أراد المنافقون ؟ » وذكر له القصة ، فقال : يا رسول الله قد نزل الناس واجتمعوا فمر كل بطن أن يقتل الرجل الذى همّ بهذا فان أحببت بين بأسمائهم والذى بعثك بالحق لا أبرح حتى آتيك برؤسهم فقال رسول الله ﷺ « إنى أكره أن يقول الناس ان محمداً قاتل بقوم حتى اذا أظهره الله تعالى بهم أقبل عليهم بقتلهم » فقال : يا رسول الله هؤلاء ليسوا بأصحاب ، فقال رسول الله ﷺ « أليس يظهرون الشهادة » ثم جمعهم رسول الله ﷺ وأخبرهم بما قالوه وما أجمعوا عليه فحلفوا بالله ما قالوا ولا ارادوا الذى ذكر فأنزل الله تعالى ﴿ يَحْلِفُونَ بِاللهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ ﴾ الآية ، ونزل ﴿ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا ﴾ ثم سار الى المدينة .

هذا ما كان من شأن المنافقين مع رسول الله ﷺ وما أرادوا أن يفعلوه من الغدر والخيانة به ثم لما هم أسيد بن حضير بقتلهم منعه رسول الله ﷺ من قتلهم وصرح له انه يكره ان يقال محمد يقتل أصحابه ، وهذا

التسامح فوق تحمل البشر فقد حدثنا التاريخ عن كثير من الملوك انهم قتلوا إخوانهم وأبناءهم بل وآباءهم لمجرد التهمة من كونهم يريدون بهم سوءاً ، فما بالك وقد تحققت جريمتهم عند رسول الله ﷺ وكل ماهموا به من المكر برسول الله ﷺ. وهذا أعظم دليل على عظيم ما كان يتحمله رسول الله ﷺ من المنافقين وغيرهم ، وعلى مبالغته فى التسامح ، الذى هو فوق طاقة البشر ، ولذلك قلنا غير مرة أن الله تعالى خلق الانبياء على خُلُق عظيم وجعل لهم صبراً خارقاً فوق طاقة البشر وذلك ليكونوا قدوة للمصلحين حيث ان مبنى الاصلاح على التسامح والمدارة وجلب القلوب الى الهدى والفلاح ، ولو أراد النبى ﷺ معاقبتهم لفعل ولم تنتطح فى ابادتهم عنزان ، ولكنه ﷺ هو المشرع لكل مايحتاجه البشر فى أمر دينهم ودنياهم من سياسة واجتماع ، وهو القدوة فى كل شئ .

مسجد الضرار

ثم أقبل رسول الله ﷺ الى المدينة قافلا من تبوك حتى نزل (بذي اوان) بلد بينه وبين المدينة ساعة من نهار ، وكان أصحاب مسجد الضرار قد اتوه وهو يتجهز الى تبوك فقالوا : يا رسول الله انا قد بنينا مسجداً لذى العلة والحاجة والليلة المطرة والليلة الشاتية وانا نحب ان تأتينا فتصلى لنا فيه ، فقال ﷺ « انى على جناح السفر — أو كما قال —

ولو قد قدمنا ان شاء الله لاتينا كم فصلينا لكم فيه » فلما نزل (بذى أوان) أتاه خبر المسجد فدعا رسول الله ﷺ مالك بن الدخشم أخا بنى سالم ابن عوف الأنصارى ومعن بن عدى وأخاه عاصم بن عدى العجلانى فقال «انطلقا الى هذا المسجد الظالم أهله فاهدماه واحرقاه» فخرجا سريعين حتى أتيا بنى سالم بن عوف وهم رهط مالك بن الدخشم فقال مالك لمعن: أنظرنى حتى أخرج اليك بنار من أهلى فدخل الى أهله فأخذ سعفا من النخل فأشعل فيه نارا ثم خرجا يشتدان حتى دخلاه وفيه أهله فحرقاه وهدماه وتفرقوا عنه ونزل فيهم من القرآن ﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِداً ضِرَاراً وَكُفْراً وَتَفْرِيقاً بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَاداً لِمَنْ حَارَبَ اللهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلاَّ الْحُسْنَى وَاللهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ وكان الذين بنوه اثنى عشر رجلا (١) خذام بن خالد أحد بنى عمرو بن عوف وهو الذي أخرج ارضه من داره (٢) ثعلبة بن حاطب (٣) معتب بن قشير (٤) ابو حبيبة بن الأزعر (٥) عبادة بن حنيف (٦) جارية بن عامر وابناه (٧) مجمع بن جارية (٨) زيد بن جارية (٩) نبتل بن الحارث (١٠) بخرج من بنى ضبيعة (١١) بجاد بن عثمان (١٢) وديعة بن ثابت وهو من بنى أمية رهط أبى لبابة بن عبد المنذر .

قال ابن اسحاق وكانت مساجد رسول الله ﷺ فيما بين المدينة الى تبوك معلومة مسماة ، مسجد بتبوك ، ومسجد بثنية مداران ، ومسجد

بذات الزراب ، ومسجد بالأخضر ، ومسجد بذات الخطمى ، ومسجد بالا ، ومسجد بطرف البتراء من ذنب كواكب ، ومسجد بالشق شق نارا ، ومسجد بذي الحليفة ، ومسجد بصد حوض ، ومسجد بالحجر ، ومسجد بالصعيد ، ومسجد بذي المروة ، ومسجد بالفيفاء ، ومسجد بذي خشب .

فلما دنا رسول الله ﷺ من المدينة خرج الناس لتلقيه وخرج النساء والصبيان والولائد يقلن :

طلع البدر علينا من ثنيات الوداع
وجب الشكر علينا ما دعا لله داع

فلما أشرف على المدينة قال «هذه طابة وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه» فلما دخل قال العباس : يا رسول الله ائذن لي أمتدحك ؟ قال رسول الله ﷺ « قل لا يفضض الله فاك » قال :

من قبلها طبت في الظلال وفى مستودع حيث يخصف الورق
ثم هبطت البلاد لا بشر أنت ولا مضغة ولا علق
بل نطفة تركب السفين وقد ألجم نسرا وأهله الغرق
تنقل من صلب الى رحم اذ مضى عالم بدا طبق
حتى استوى بيتك المهيمن من خندف عليا تحتها النطق
دانت لما ولدت أشرقت الأر ض وضاءت بنورك الأفق

فنحن من ذلك النور فى الضيا ء وسبل الرشاد تخترق

ولما قدم رسول الله ﷺ المدينة بدأ بالمسجد فصلى ركعتين ثم جلس للناس ثم قال « الحمد لله الذي رزقنا فى سفرنا هذا من أجر وحسنة » وكان قدومه ﷺ فى رمضان سنة تسع من الهجرة. وكان المنافقون الذين تخلفوا عن رسول الله ﷺ يخبرون عنه أخبار السوء يقولون ان محمداً وأصحابه قد جهدوا فى سفرهم وهلكوا، فبلغهم تكذيب حديثهم وعاقبة رسول الله ﷺ وأصحابه فساءهم ذلك، فأنزل الله تعالى ﴿ إِنْ تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ ﴾ قال ابن سعد وجعل المسلمون يبيعون أسلحتهم ويقولون قد انقطع الجهاد، فبلغ ذلك رسول الله ﷺ فنهاهم وقال « لا تزال عصابة من أمتي يجاهدون على الحق حتى يخرج الدجال.

قضية الثلاثة الذين تخلفوا عن تبوك

كان تخلف عن رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك ثلاثة أنفار من أجلاء الأنصار وهم كعب بن مالك، ومرارة بن الربيع العمرى، وهلال ابن أمية الواقفي، وهم الذين اعترفوا بذنبهم. وأما باقى من تخلف وهم بضعة وثمانون رجلا فقد اعتذروا وقبل منهم. وهذه قصة الثلاثة أرويها عن صحيح البخارى قال: كعب بن مالك لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها الا فى غزوة تبوك غير أنى كنت تخلفت فى غزوة بدر

ولم يعاتب أحد تخلف عنها إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الاسلام وما أحب ان لي بها مشهد بدر وان كانت بدر أذكر فى الناس منها ، كان من خبرى أنى لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه فى تلك الغزاة والله ما اجتمعت عندى قبلها راحلتان قط حتى جمعتهما فى تلك الغزوة ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة الا ورى بغيرها حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ فى حر شديد واستقبل سفرا بعيدا ومفاوز وعددا كثيرا فجلى للمسلمين أمرهم ليتأهبوا أهبة غزوهم فأخبرهم بوجهه الذي يريد والمسلمون مع رسول الله كثير ولا يجمعهم كتاب حافظ — يريد الديوان — قال : كعب فما رجل يريد ان يتغيب الا ظن ان سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله ، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه فطفقت أغدو لكى أتجهز معهم فارجع ولم أقض شيئاً فأقول في نفسي أنا قادر عليه فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد الناس الجد فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم اقض من جهازى شيئا فقلت أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم الحقهم فغدوت بعد ان فصلوا لا تجهز فرجعت ولم أقض شيئا ، ثم غدوت ثم رجعت ولم أقض شيئا ، فلم يزل بى حتى اسرعوا وتفارط الغزو وهممت

أن ارتحل فأدركهم وليتنى فعلت فلم يقدر لي ذلك ، فكنت اذا خرجت فى الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنتى أني لا أرى الا رجلا مغموصا عليه النفاق أو رجلا ممن عذر الله من الضعفاء ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتى بلغ تبوك فقال وهو جالس فى القوم بتبوك « مافعل كعب » فقال رجل من بنى سلمة — هو عبدالله بن أنيس — : يارسول الله حبسه برداه والنظر فى عِطفه . — يسخر به — فقال معاذ بن جبل: بئسما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه الا خيرا فسكت رسول الله ﷺ . قال كعب : فلما بلغنى انه توجه قافلا حضرني همي فطفقت أتذكر الكذب وأقول بما ذا أخرج من سخطه غداً واستعنت على ذلك بكل ذى رأى من اهلى فلما قيل ان رسول الله ﷺ قد اظل قادما زاح عنى الباطل وعرفت انى لن اخرج منه أبداً بشئ فيه كذب فاجمعت صدقه وأصبح رسول الله ﷺ قادما وكان اذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ثم جلس للناس فلما فعل ذلك جاءه المخلفون فطفقوا يعتذرون اليه ويحلفون له وكانوا بضعة وثمانين رجلا فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم وبايعهم واستغفر لهم ووكل سرائرهم الى الله فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ثم قال « تعال » فجئت أمشى حتى جلست بين يديه فقال لي « ما خلفك الم تكن قد ابتعت ظهرك ؟ » فقلت بلى اني والله يا رسول الله لو جلست عند غيرك من اهل الدنيا لرأيت ان

سأخرج من سخطه بعذر والله لقد اعطيت جدلا ولكنى والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترض به عنى ليوشكن الله ان يسخطك علي ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه انى لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر ما كنت قط أقوى ولا أيسر منى حين تخلفت عنك . فقال رسول الله ﷺ « أما هذا فقد صدق فقم يقضي الله فيك » فقمت وثار رجال من بنى سلمة فاتبعونى فقالوا لي : والله ما علمناك كنت أذنبت ذنباً قبل هذا ولقد عجزت ان لا تكون اعتذرت الى رسول الله ﷺ بما اعتذر اليه المخلفون قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك ، فو الله ما زالوا يؤنبونى حتى اردت ان ارجع فأكذب نفسى ، ثم قلت لهم هل لقى هذا معى احد ؟ قالوا نعم رجلان قالا مثل ما قلت فقيل لهما مثل ما قيل لك ، فقلت من هما ؟ قالوا مرارة بن الربيع العمري وهلال ابن امية الواقفي ، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدراً لي فيهما اسوة فمضيت حين ذكروهما لي ، ونهى رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه ، فاجتنبنا الناس وتغيروا لنا حتى تنكرت فى نفسى الأرض فما هى التى اعرف ، فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباى فاستكانا وقعدا فى بيوتهما يبكيان ، واما أنا فكنت أشبَّ القوم وأجلَدهم فكنت اخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين واطوف فى الأسواق ولا يكلمنى احد ، وآتى رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو

فى مجلسه بعد الصلاة فأقول في نفسى هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا ، ثم اصلي قريبا منه فأسارقه النظر فاذا اقبلت على صلاتى اقبل إلي واذا التفت نحوه اعرض عنى ، حتى اذا طال على ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط ابى قتادة وهو ابن عمى واحب الناس الي فسلمت عليه فو الله ما رد علي السلام ، فقلت يا ابا قتادة أنشدك بالله هل تعلمنى احب الله ورسوله فسكت فعدت له فنشدته فسكت فعدت له فانشدته فقال الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناى وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال فبينا انا امشى بسوق المدينة اذا نبطى من انباط اهل الشام — فلاح — ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة ويقول من يدل على كعب بن مالك فطفق الناس يشيرون له حتى اذا جاءنى دفع الي كتابا من ملك غسان فاذا فيه : اما بعد فانه قد بلغنى ان صاحبك قد جفاك ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة فالحق بنا نواسك ؛ فقلت لما قرأتها وهذا ايضاً من البلاء فتيممت بها التنور فسجرته بها حتى اذا مضت اربعون ليلة من الخمسين اذا رسول ، رسول الله ﷺ يأتينى فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تعتزل امرأتك ، فقلت اطلقها ام ما ذا افعل ؟ قال لا بل اعتزلها ولا تقربها . وارسل الى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتى الحقى بأهلك فتكونى عندهم حتى يقضى الله فى هذا الأمر ، قال كعب فجاءت امرأة هلال بن امية رسول الله ﷺ فقالت يارسول الله

ان هلال بن امية شيخ ضائع ليس له خادم فهل تكره ان اخدمه ؟ قال « لا ولكن لا يقربك » قالت له : والله ما به حركة الى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من امره ما كان الى يومه هذا . فقال لي بعض اهلي لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما اذن لامرأة هلال بن امية ان تخدمه ، فقلت والله لا استأذن فيها رسول الله ﷺ وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ اذا استأذنته فيها وانا رجل شاب . فلبثت بعد ذلك عشر ليالي حتى كملت لنا خمسون ليلة وانا على ظهر بيت من بيوتنا فبينا انا جالس على الحال الذى ذكر الله قد ضاقت علىَّ نفسى وضاقت علىَّ الأرض بما رحبت سمعت صوت صارخ فأوفى — اطلع — على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ابشر : قال فخررت ساجداً وقد عرفت ان قد جاء فرج وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر فذهب الناس يبشروننا وذهب قبل صاحبيَّ مبشرون وركض الى رجل فرسا وسعى ساع من اسلم فأوفى على الجبل وكان الصوت اسرع من الفرس فلما جاءنى الذى سمعت صوته يبشرنى نزعت له ثوبىَّ فكسوته اياهما ببشراه ، والله ما املك غيرهما يومئذ واستعرت ثوبين فلبستهما وانطلقت الى رسول الله ﷺ فيتلقاني الناس فوجا ، فوجا ، يهنؤني بالتوبة يقولون : لتهنئك توبة الله عليك . قال كعب : حتى دخلت المسجد فاذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام الى طلحة بن عبد الله يهرول

حتى صاحبي وهنانى ، والله ما قام الي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة . قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور « أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك » قال قلت : أمن عندك يا رسول الله أم من عند الله ؟ قال « لا بل من عند الله » وكان رسول الله ﷺ اذا سر إستنار وجهه حتى كانه قطعة قمر وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت يا رسول الله ان من توبتى أن انخلع من مالي صدقة الى الله والى رسوله ﷺ ؟ قال رسول الله ﷺ « أمسك عليك بعض مالك فهو خير لك » قلت فانى أمسك سهمى الذى بخيبر ، فقلت يا رسول الله ان الله انما نجانى بالصدق وان من توبتى أن لا أحدث الا صدقا ما بقيت ، فو الله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله فى صدق الحديث منذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ما تعمدت منذ ذكرت لرسول الله ﷺ الى يومي هذا كذبا وانى لارجو أن يحفظنى الله فيما بقيت ، وأنزل الله تعالى على رسوله ﷺ ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ ﴾ الى قوله ﴿ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴾ فو الله ما أنعم الله على من نعمة قط بعد أن هدانى للاسلام أعظم فى نفسى من صدقى لرسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا فان الله تعالى قال للذين كذبوا حين أنزل الوحى شر ما قال لاحد فقال

تبارك وتعالى ﴿سَيَحْلِفُونَ بِاللهِ لَكُمْ إِذَا انْقَلَبْتُمْ﴾ الى قوله ﴿فَإِنَّ اللهَ لَا يَرْضَى عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ قال كعب كنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه فبذلك قال ﴿وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا﴾ وليس الذين ذكر الله مما خلفنا عن الغزو إنما هو تخليفه اياانا وارجاءه أمرنا عمن حلف له واعتذر اليه فقبل منه . هذه رواية البخارى وقد استنبط الحافظ ابن حجر من هذه القصة فوائد جمة فى فتح البارى منها قوله وإن الامام لا يهمل من تخلف عنه فى بعض الأمور بل يذكره ليراجع التوبة ، وأن يبدأ القادم بالمسجد قبل بيته فيصلى ثم يجلس لمن يسلم عليه ، ومشروعية السلام على القادم وتلقيه ، والحكم بالظاهر وقبول المعاذير ، واستحباب بكاء العاصى أسفا على ما فاته من خير ، وفيها اجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر الى الله تعالى ، وفيها ترك السلام على من أذنب ، وجواز هجره أكثر من ثلاث ، وأن التبسم قد يكون من غضب كما يكون عن تعجب ، ومعاتبة الكبير أصحابه ، ومن يعز عليه دون غيره ، وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب ، ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب ، وأخر من كذب للعقاب الطويل ، وفيها عظم مقدار الصدق فى القول والفعل ، وفيها جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير

اذنه ومن غير الباب اذا علم رضاه ، وفيها ايثار طاعة الرسول على مودة القريب ، وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق الى البشارة بالخير واعطاء البشير أنفس ما يحضر الذى يأتيه بالبشارة ، وتهنئة من تجددت له نعمة ، والقيام اليه اذا أقبل ، واجتماع الناس عند الأمام فى الأمور المهمة ، وسروره بما يسر أتباعه ، ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم ، والقيام له ، والتزام المداومة على الخير الذى ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة . هذا بعض ما استنبطه الحافظ ابن حجر من ذلك .

وحاصل هذه القصة انه لا تصلح الأمة ما لم تكن مرتبطة برئيسها ارتباطا محكما في السراء والضراء ، وأن لا تتخلى عنه فى الشدة والرخاء ، ولا تتركه يكابد المشقة وحده وان تكون معه كالجسم الواحد . فاذا تأخر رجل ، واثنان ، وثلاثة ، بدأ التفكك فلا يمضى على ذلك زمن قصير حتى تنحل تلك الكتلة وتتبعثر تبعثر الرماد فى الريح الشديدة . وهذا الذى جعل الاسلام قويا فى نهضته ، قويا في صدق ايمانه ، قويا فى رابطته ، قويا فى بأسه على عدوه ، قويا فى حبه ، قويا فى بغضه ، قويا فى حاضره ، قويا فى باديته ، قويا في وطنه ، قويا فى غربته ، قويا فى عزمه ، قويا فى صدقه ، قويا في كل شئ . ولما ترك المسلمون هذه المبادئ وتخلوا عن هذه الرابطة تفككت عروته ، وتلاشى جمعه ، وتدهور عرشه ، وتمزق شمله ، وتشتتت مشاربه ، وأصبح فى هذا العصر واهي القوى ،

منحل العرى ، غريبا فى وطنه ، بعيدا في منزله ، ضعيفا فى بيته ، لا يسمع له نداء ، ولا يصغى لاستصراخه ، ولا يحن لتألمه ، ولا يبكي على مصابه ، ولا يستفز لنحيبه ، ولا يجاب على سؤاله . فلو آب المسلمون الى رشدهم ، وتتبعوا سيرة نبيهم ﷺ وساروا على سير سلفهم الصالح ، ونهضوا من سباتهم العميق ، وفاقوا من نومهم المستميت ، وفتحوا اسماعهم وأبصارهم وقلوبهم ، وصغوا الى نداء ربهم ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنْصَارَ اللهِ ﴾ وعملوا بقول نبيهم ﷺ « المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً » وقوله « مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى » لعادوا الى ما كانوا عليه من سالف المجد ، والسؤدد ، والعزة ، والمنعة ، والرابطة ، والاخاء . حيث أن سبيل الهدى والرشاد مفتوح بابه ولم يوصد قط فى وجه الطارقين له وكل من سار على الدرب وصل ، ذلك هدى الله يهدى به من يشاء الى صراطه المستقيم . فالذى دعا كعب بن مالك ورفاقه الى تحمل هذا الهجر وهذه المقاطعة حتى من أزواجهم هو قوة الرابطة الايمانية التى ملأ الله بها قلوبهم فجعلهم يصدقون فى القول والعمل ، ولو لا ذلك لوسعهم ما وسع الذين أعتذروا من الخروج ، وانما لقوة يقينهم بأن الله تعالى مطلع على سرائرهم وأنهم سيرجعون اليه فينبئهم بما كانوا يعملون ، اعترفوا بذنبهم وأنابوا الى الله تعالى والى رسوله وتابوا من ذنبهم فتاب الله عليهم ،

فلو أن كل فرد من أفراد المسلمين اقتدى بهؤلاء الأتقياء الأطهار في صدق الحديث والصبر على المكاره والتمسك بالايمان الصحيح واليقين بالله تعالى فى كل شئ لعاش سعيداً ولقى الله تعالى بوجه مشرق بالسرور وحاز على سعادة الدنيا والآخرة . فعسى الله سبحانه وتعالى ان ينهض بالمسلمين من رقدتهم ، الطويلة التى هى أقرب الى الموت من الحياة ، وان ينفخ فى أرواحهم اليقظة كى يفيقوا من سباتهم العميق ويتنبهوا للذل الذى وقعوا فيه ، والعبودية التى وصلوا اليها ، والاسترقاق الذى هم فيه ، ويرشدهم ، الى التمسك بشريعة سيد الأمم من عرب وعجم ، حيث هى المصباح الذى يستضئ به كافة العالم الاسلامي فى مشارق الأرض ومغاربها ، وعليها مدار الاجتماع الاسلامي بل والانسانى ، اذ لا سبيل الى النجاة مما هم فيه الا بها ، والله الهادى الى صراطه المستقيم .

وأنزل الله تبارك وتعالى من القرآن فى غزوة تبوك ﴿ لَقَدْ تَابَ اللهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رَؤُفٌ رَحِيمٌ . وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّى ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ . يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ . مَا كَانَ لِأَهْلِ

الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ وَلَا يَطَؤُنَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ . وَلَا يُنْفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾

وفد ثقيف واسلامهم

فلما قدم رسول الله ﷺ المدينة من غزوة تبوك فى شهر رمضان سنة تسع من الهجرة قدم عليه وفد ثقيف في ذلك الشهر قال ابن إسحاق : وكان من حديثهم ان رسول الله ﷺ لما انصرف عنهم اتبع اثره عروة ابن مسعود حتى أدركه قبل أن يصل الى المدينة فأسلم وسأله ان يرجع الى قومه بالاسلام فقال له رسول الله ﷺ كما يتحدث قومه «انهم قاتلوك» وعرف رسول الله ﷺ ان فيهم نخوة الامتناع الذي كان منهم ، فقال عروة : يارسول الله انا احب اليهم من ابكارهم ، وكان فيهم كذلك محببا مطاعاً ، فخرج يدعوا قومه الى الاسلام رجاء ان لايخالفوه لمنزلته فيهم فلما أشرف لهم على علية له وقد دعاهم الى الاسلام وأظهر لهم دينه رموه

بالنبل من كل وجه فاصابه سهم فقتله ، فتزعم بنو مالك انه قتله رجل منهم يقال له وهب بن جابر من بنى عتاب بن مالك فقيل لعروة ماترى فى دمك قال كرامة اكرمنى الله بها وشهادة ساقها الله الىّ وليس فىّ الا ما في الشهداء الذين قتلوا مع رسول الله ﷺ قبل ان يرتحل عنكم فأدفنوني معهم ، فدفنوه معهم ، فزعموا ان رسول الله ﷺ قال فيه « ان مثله فى قومه كمثل صاحب يس فى قومه » ثم اقامت ثقيف بعد قتل عروة اشهراً ثم ائتمروا بينهم ورأوا انه لا طاقة لهم بحرب من حولهم من العرب وقد بايعوا واسلموا ، وكان عمرو بن امية من أدهى العرب فمشى الى عبد ياليل بن عمرو حتى دخل داره ثم أرسل اليه ان عمرو بن أمية يقول لك أخرج إلي فقال عبد ياليل للرسول ويلك أعمرو أرسلك إلي ؟ قال نعم وهاهو ذا واقف فى دارك ، فقال ان هذا لشئ ما كنت أظنه بعمرو ، ولعمرو كان أمنع فى نفسه من ذلك ، فخرج اليه فلما رآه رحب به فقال له عمرو انه قد نزل أمر ليست معه هجرة انه قد كان من أمر هذا الرجل ما قد رأيت وقد أسلمت العرب كلها وليست لكم بحربهم طاقة فانظروا فى أمركم ، فعند ذلك ائتمرت ثقيف بينها وقال بعضهم لبعض أفلا ترون أنه لا يأمن لكم سرب ولا يخرج منكم احد الا اقتطع ، فائتمروا بينهم وأجمعوا أن يرسلوا الى رسول الله ﷺ رجلا كما أرسلوا عروة فكلموا عبد ياليل بن عمرو ابن عمير ، وكان فى سن عروة بن مسعود وعرضوا ذلك فأبي أن يفعل

وخشى أن يصنع به اذا رجع كما صنع بعروة فقال لست فاعلا حتى ترسلوا معى رجالا فأجمعوا أن يبعثوا معه رجلين من الاحلاف وثلاثة من بنى مالك فيكونوا ستة . فبعثوا مع عبد ياليل ، الحكم بن عمرو بن وهب بن معتب ، وشرحبيل بن غيلان بن سلمة بن معتب ، ومن بني مالك ، عثمان بن ابى العاص بن بشر بن عبد دهمان اخا بنى يسار ، وأوس بن عوف اخا بنى سالم ، ونمير بن خرشة بن ربيعة اخا بني الحارث ،

فخرج بهم عبديا ليل وهو ناب القوم وصاحب أمرهم ولم يخرج بهم الاخشية أن تصنع به ثقيف مثل ما صنعت بعروة بن مسعود فأراد ان يشغل كل رجل منهم اذا رجعوا الى الطائف برهطه . فلما ادنوا من المدينة ونزلوا قناة وجدوا بها المغيرة بن شعبة يرعى فى نوبته ركاب اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان رعيتها نوبا على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما رآهم ترك الركاب عند الثقفيين وذهب يشتد ليبشر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقدومهم عليه فلقيه ابو بكر الصديق رضى الله عنه قبل ان يدخل على رسول الله ﷺ فأخبره عن ركب ثقيف ان قد قدموا يريدون البيعة والاسلام بأن يشرط لهم رسول الله ﷺ شروطا ويكتتبوا من رسول الله ﷺ كتابا فى قومهم وبلادهم واموالهم فقال ابو بكر للمغيرة اقسمت عليك بالله لا تسبقنى الى رسول الله ﷺ حتى اكون انا احدثه ، ففعل المغيرة فدخل ابو بكر على رسول الله ﷺ

فأخبره بقدومهم عليه ، ثم خرج المغيرة الى اصحابه فروح الظهر معهم وعلمهم كيف يحيون رسول الله ﷺ فلم يفعلوا الا بتحية الجاهلية ، ولما قدموا على رسول الله ﷺ ضرب عليهم قبة في ناحية مسجده كما يزعمون فكان خالد بن سعيد بن العاص هو الذى يمشى بينهم و بين رسول الله ﷺ حتى اكتتبوا كتابهم ، وكان خالد هو الذى كتب كتابهم بيده ، وكانوا لا يطعمون طعاما يأتيهم من عند رسول الله ﷺ حتي يأكل منه خالد حتى اسلموا وفرغوا من كتابهم ، وقد كان فيما سألوه رسول الله ﷺ ان يدع لهم الطاغية وهى (اللات) لا يهدمها ثلاث سنين فأبى رسول الله ﷺ ذلك عليهم فما برحوا يسألونه سنة ، سنة ، ويأبى عليهم حتى سألوه شهراً واحداً بعد قدومهم فأبي عليهم ان يدعها شيأ مسمي، وانما يريدون بذلك فيما يظهرون ان يسلموا بتركها من سفهائهم ونسائهم وذراريهم، ويكرهون ان يروعوا قومهم بهدمها حتى يدخلهم الاسلام ، فأبى رسول الله ﷺ عليهم الا ان يبعث ابا سفيان بن حرب والمغيرة بن شعبة فيهدماها ، وقد كانوا سألوه مع ترك الطاغية ان يعفيهم من الصلاة وان لا يكسروا اوثانهم بأيديهم ، فقال رسول الله ﷺ « اما كَسْر اوثانكم بأيديكم فسنعفيكم منه، واما الصلاة فانه لا خير فى دين لا صلاة فيه » فقالوا : يا محمد فسنؤتيكها وإن كانت دناءة . فلما اسلموا وكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا امَّر عليهم عثمان بن ابى العاص وكان من احدثهم سنا وذلك انه كان احرصهم على

التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن ، فقال ابو بكر رضى الله عنه لرسول الله ﷺ يا رسول الله انى قد رأيت هذا الغلام منهم من أحرصهم على التفقه فى الاسلام وتعلم القرآن ، وكان يأتيهم بلال حين أسلموا وصاموا مع رسول الله ﷺ ما بقى من رمضان بفطورهم وسحورهم من عند رسول الله ﷺ ، قالوا فيأتينا بالسحور وانا لنقول انا لنرى الفجر قد طلع فيقول قد تركت رسول الله ﷺ يتسحر لتأخير السحور ، ويأتينا بفطورنا وانا لنقول ما نرى الشمس ذهبت كلها بعد فيقول ما جئتكم حتى أكل رسول الله ﷺ ، ثم يضع يده فى الجفنة فيلتقم منها ، قال عثمان بن أبي العاص كان آخر ما عهد الىّ رسول الله ﷺ حين بعثنى على ثقيف أن قال « يا عثمان تجاوز في الصلاة واقدر الناس بأضعفهم فان فيهم الكبير والصغير والضعيف وذا الحاجة »

فلما فرغوا من أمرهم وتوجهوا الى بلادهم راجعين بعث رسول الله ﷺ معهم أبا سفيان بن حرب ، والمغيرة بن شعبة ، لهدم الطاغية ، فخرجا مع القوم حتى اذا قدموا الطائف أراد المغيرة أن يقدم أبا سفيان فأبى ذلك أبو سفيان عليه وقال أدخل أنت على قومك ، وأقام أبو سفيان بماله بذى الهرم فلما دخل المغيرة بن شعبة علاها يضربها بالمعول وقام قومه دونه بنو معتب خشية ان يرمى أو يصاب كما أصيب عروة وخرج نساء ثقيف حسرا يبكين عليها ويقلن .

لتبكين دفاع . أسلمها الرضاع . لم يحسنوا المصاع

ومعنى ذلك انه سلمها اللئام حين كرهوا القتال . و روى السهيلي عن بعض أهل السير أن المغيرة بن شعبة قال لأبي سفيان حين هدم اللات ألا أضحكك من ثقيف ؟ فقال بلى فأخذ المعول وضرب به (اللات) ضربة ثم صاح وخر على وجهه فارتجت الطائف بالصياح سروراً بأن اللات قد صرعت المغيرة ، وأقبلوا يقولون كيف رأيتها يامغيرة دونكها ان استطعت ألم تعلم أنها تهلك من عاداها ، ويحكم الا ترون ما تصنع ؟ فقام المغيرة يضحك منهم ويقول ثم ياخبثاء والله ما قصدت الا الهزأ بكم ثم أقبل على هدمها حتى استأصلها وأقبلت عجائز ثقيف تبكي حولها .

وكان ابو مليح بن عروة وقارب بن الأسود قدما على رسول الله ﷺ قبل وفد ثقيف حين قتل عروة بريدان فراق ثقيف وأن لا يجامعاهم على شيء أبداً ، فأسلما ، فقال لهما رسول الله ﷺ « توليا من شئتما ؟ » فقالا : نتول الله ورسوله . فقال رسول الله ﷺ « وخالكما اباسفيان ابن حرب » فقالا : وخالنا ابا سفيان . فلما أسلم أهل الطائف ووجه رسول الله ﷺ أباسفيان والمغيرة الى هدم الطاغية سأل رسول الله ﷺ أبو مليح بن عروة أن يقضي عن ابيه عروة دينا كان عليه من مال الطاغية؟ فقال له رسول الله ﷺ « نعم » فقال له قارب بن الأسود وعن الأسود يارسول الله فأقضه ؟ وعروة والأسود أخوان لاب وأم فقال رسول الله

ﷺ « إن الأسود مات مشركا » فقال قارب يا رسول الله لكن تصل مسلماً ذا قرابة (يعنى نفسه) إنما الدَّين علىَّ و إنما انا الذي أطلب به . فأمر رسول الله ﷺ ابا سفيان أن يقضى دين عروة والاسود من مال الطاغية . فلما جمع المغيرة مالها قال لأبى سفيان إن رسول الله ﷺ قد أمرك أن تقضى عن عروة والأسود دينهما فقضى عنهما . هذا ما ذكره ابن هشام وغيره من أصحاب السِّيَر فى وفد ثقيف .

واليك صورة الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لثقيف

« بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبى رسول الله الى المؤمنين إن عضاه وَجّ وصيده لا يعضد ، من وجد يفعل شيئاً من ذلك فانه يجلد وتنزع ثيابه ، فان تعدى ذلك فانه يؤخذ فيبلغ به النبي محمداً و إن هذا أمر النبى محمد ﷺ » وكتب خالد بن سعيد بأمر الرسول محمد بن عبد الله فلا يتعداه احد يظلم نفسه فيما أمره به محمد ﷺ . هذه رواية ابن اسحاق ووج وادٍ بالطائف وقيل الطائف كله والعضاه كل شجر له شوك وروى ابو داود والترمذي مرفوعا « ألا إن صيد وَجّ وعضاهه حرام مُحرَّم » وفى سنن ابى داود الطيالسى عن عثمان بن ابى العاص ان النبى صلى الله عليه وسلم أمره أن يجعل مسجد الطائف حيث كانت طاغيتهم .

هذا ما ذكره أصحاب السنن فى أمر وَجّ ومسجد الطائف والله أعلم

حجة أبى بكر الصديق

رضى الله عنه

بعث رسول الله ﷺ في أواخر ذي القعدة سنة تسع من الهجرة ابا بكر الصديق رضى الله عنه أميراً على الحج سنة تسع ليقيم للمسلمين حجهم والناس من أهل الشرك على منازلهم من حجهم ، فخرج ابو بكر والمؤمنون ، قال ابن سعد فى ثلاثمائة رجل من المدينة و بعث معه رسول الله ﷺ بعشرين بدنة قلدها و أشعرها بيده عليها ناجية بن جندب الاسلمى ، وساق ابو بكر خمس بدنات ، فنزلت سورة (براءة) فى نقض ما بين رسول الله ﷺ و بين المشركين من العهد الذى كانوا عليه . فبعث رسول الله ﷺ علىّ بن ابى طالب رضى الله عنه ليقرأها على الناس فخرج علي بن طالب رضى الله عنه على ناقة رسول الله ﷺ العضباء فلما كان بالعرج لقى ابا بكر الصديق رضى الله عنه و كان ابو بكر ثوب للصبح فلما استوى للتكبير سمع رغوة خلف ظهره فوقف على التكبير فقال: هذه رغوة ناقة رسول الله ﷺ الجدعاء لقد بدا لرسول الله ﷺ فى الحج فلعله أن يكون رسول الله ﷺ فنصلى معه ، فاذا علي بن ابى طالب عليها فلما رآه ابو بكر قال له استعملك رسول الله ﷺ على الحج ؟ قال لا و لكن بعثنى أقرأ براءة على الناس وأنبذ إلى كل ذي عهد عهده . فقدموا مكة فلما كان قبل التروية بيوم قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم عن

مناسكهم حتى اذا فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . ثم خرجوا حتى اذا كان يوم عرفة قام ابو بكر فخطب الناس فعلمهم مناسكهم حتى اذا فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . ثم كان يوم النحر فأفاضوا فلما رجع ابو بكر خطب الناس فحدثهم عن إفاضتهم وعن نحرهم وعن مناسكهم فلما فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها. فلما كان يوم النفر الاول قام ابو بكر فخطب الناس فحدثهم كيف ينفرون وكيف يرمون ، يعلمهم مناسكهم فلما فرغ قام عليٌّ فقرأ على الناس براءة حتى ختمها . رواه النسائى . ثم اذّن عليٌّ فى الناس عند الجمرة بالذي امره رسول الله ﷺ ونبذ الى كل ذي عهد عهده وقال : ايها الناس لا يدخل الجنة كافر ، ولا يحج بعد العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ومن كان له عهد عند رسول الله ﷺ فهو الى مدته : وجاء فى الصحيحين ما يؤيد ذلك عن ابى هريرة رضى الله عنه قال بعثنى ابو بكر فى تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى أن لا يحج بعد هذا العام مشرك ، ولا يطوف بالبيت عريان ، ثم أردف النبى ﷺ أبا بكر بعلي ابن ابى طالب رضى الله عنهما فأمره أن يؤذن ببراءة قال فأذن معنا علي كرم الله وجهه فى أهل منى يوم النحر ببراءة وأن لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوف بالبيت عريان .

=*=

قدوم وفود العرب

قال النووى : الوفود الجماعة المختارة للتقدم فى لقاء العظماء واحدهم وافد . وقال ابن اسحاق : لما افتتح رسول الله ﷺ مكة وفرغ من تبوك وأسلمت ثقيف وبايعت ضربت اليه وفود العرب من كل وجه ، وانما كانت العرب تربص بالاسلام أمر هذا الحى من قريش ، وأمر رسول الله ﷺ ، وذلك أن قريشاً كانوا أئمة الناس وهداتهم وأهل البيت والحرم وصريح ولد اسماعيل بن ابراهيم عليهما السلام وقادة العرب لا ينكرون ذلك ، وكانت قريش هى التى نصبت لحرب رسول الله ﷺ وخلافه ، فلما افتتحت مكة ودانت له قريش ودوخها الاسلام عرفت العرب انه لا طاقة لهم بحرب رسول الله ﷺ ولا عداوته فدخلوا فى دين الله كما قال الله عز وجل ﴿ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجًا فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا ﴾ أى فأحمد الله على ما أظهر من دينك واستغفره انه كان توابا .

وفد بنى عامر

قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عامر فيهم عامر بن الطفيل ، وأربد بن قيس ، وجبار بن سلمى ، وكان هؤلاء الثلاثة رؤساء القوم وشياطينهم ، فقدم عامر بن الطفيل عدوّ الله على رسول الله ﷺ وهو يريد الفتك والغدر به ، وقد قال له قومه : يا عامر ان الناس قد أسلموا فأسلم ، قال والله لقد كنت آليت أن لا أنتهى حتى تتبع العرب عقبى أفأنا أتبع عقب هـذا الفتى من قريش ، ثم قال لأربد بن قيس . اذا قدمنا على الرجل فأنى سأشغل عنك وجهه فاذا فعلت ذلك فأعلمه بالسيف. فلما قدموا على رسول الله ﷺ قال عامر بن الطفيل : يامحمد خالنى (١) ؟ قال ﷺ « لا والله حتى تؤمن بالله وحده » قال : يا محمد خالنى ، وجعل يكلمه وينظر من أربد ما كان أمره به فجعل أربد لا يجيء شيأ ، فلما رأى عامر ما يصنع أربد قال : يا محمد خالنى ؟ قال « لا حتى تؤمن بالله وحده لا شريك له » فلما أبى عليه رسول الله ﷺ قال : أما والله لأملأنها عليك خيلا ورجالا . فلما ولى قال رسول الله ﷺ « اللهم أكفني عامر بن الطفيل » فلما خرجوا من عند رسول الله ﷺ قال عامر لأربد : ويلك يا أربد أين ما كنت أمرتك به ، والله ما كان على ظهر

(١) أى اعمل بينى و بينك متاركة .

الأرض رجل هو أخوف عندى على نفسى منك ، وايم الله لا أخافك بعد اليوم أبدا . قال أربد : لا أبالك لا تعجل علي والله ما هممت بالذي أمرتنى به من أمره الا دخلت بيني وبين الرجل حتى ما أرى غيرك أفاضربك بالسيف؟ . وخرجوا راجعين الى بلادهم حتى اذا كانوا ببعض الطريق بعث الله على عامر بن الطفيل الطاعون فى عنقه فقتله الله فى بيت امرأة من بنى سلول فجعل يقول يا بنى عامر أغُدَّة كغدة الأبل ، وموتا فى بيت سلولية . ثم خرج أصحابه حين واروه حتى قدموا أرض بنى عامر شاتين فلما قدموا أتاهم قومهم فقالوا : ما وراءك يا أربد ؟ قال لا شئ والله لقد دعانا الى عبادة شئ لوددت أنه عندى الآن فأرميه بالنبل حتى أقتله . فخرج بعد مقالته بيومين معه جمل له فأرسل الله تعالى عليه وعلى جمله صاعقة فأحرقتهما . وكان أربد بن قيس أخا لبيد بن ربيعة لأمه فقال لبيد قصيدة يبكيه بها .

وفد بنى سعد بن بكر

بعث بنو سعد بن بكر الى رسول الله ﷺ رجلا منهم يقال له ضمام بن ثعلبة وافداً فقدم عليه وأناخ بعيره على باب المسجد ثم عقله ثم دخل المسجد ورسول الله ﷺ جالس فى أصحابه وكان ضمام رجلا جلداً اشعر ذا غديرتين فأقبل حتى وقف على رسول الله ﷺ فى أصحابه فقال : أيكم ابن عبد المطلب؟

فقال رسول الله ﷺ « أنا ابن عبد المطلب » قال : أمحمد ؟ قال « نعم » قال : يا ابن عبد المطلب اني سائلك ومغلظ عليك فى المسئلة فلا تحدث بها علي فى نفسك ؟ قال « لا أجد فى نفسي فسل عما بدالك » قال : أنشدك الله آلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله بعثك الينا رسولا ؟ قال « اللهم نعم » قال : فأنشدك الله آلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله امرك أن تأمرنا ان نعبده وحده ولا نشرك به شيأ وأن نخلع هذه الأنداد التى كان آباؤنا يعبدونها معه ؟ قال « اللهم نعم » قال : فأنشدك الله آلهك وآله من كان قبلك وآله من هو كائن بعدك آلله أمرك أن نصلى هذه الصلاة الخمس ؟ قال « اللهم نعم » . ثم جعل يذكر فرائض الاسلام فريضة ، فريضة الزكاة ، والصيام ، والحج ، وشرائع الاسلام كلها ينشده عند كل فريضة منها كما ينشده فى التي قبلها حتى فرغ قال : فأنى أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله ، وسأؤدي هذه الفرائض وأجتنب ما نهيتنى عنه ثم لا أزيد ولا أنقص . ثم انصرف الى بعيره راجعاً . فقال رسول الله ﷺ « ان صدق ذو العقيصتين دخل الجنة » فأتى بعيره فاطلق عقاله ثم خرج حتى قدم على قومه فاجتمعوا اليه فكان أول ما تكلم به أن قال : بئست اللات والعزى ، قالوا : مه يا ضمام اتق البرص ، اتق الجذام ، اتق الجنون ، قال : ويلكم انهما والله لا يضران ولا ينفعان ان الله قد بعث رسولا وأنزل عليه كتابا

استنقذكم به مما كنتم فيه وأنى أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله، وقد جئتكم من عنده بما أمركم به ونهاكم عنه. فو الله ما أمسى من ذلك اليوم وفى حاضره رجل، ولا امرأة إلا مسلما. قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما: فما سمعنا بوافد قوم كان أفضل من ضمام بن ثعلبة. هذه رواية ابن هشام عن ابن اسحاق وقال عمر بن الخطاب رضى الله عنه ما رأيت أحداً أحسن مسئلة ولا أوجز من ضمام.

وفد عبد القيس

عبد القيس قبيلة كبيرة يسكنون البحرين وهو المسمى اليوم الاحساء، وينسبون الى عبد القيس بن أقصى بن دعمى والظاهر أنهم القبيلة المسماة فى هذا العصر بقبيلة (العجمان) لأنهم هم الذين يقطنون تلك الجهة. أما حديث الوفد فانه قدم على رسول الله ﷺ الجارود ابن عمرو بن خنس أخو عبد القيس وكان نصرانيا فى وفد عبد القيس، فلما أتوا رسول الله ﷺ قال «ممن القوم؟» قالوا من ربيعة فقال «مرحبا بالوفد غير خزايا ولا ندامى» فقالوا يا رسول الله ان بيننا و بينك هذا الحي من كفار مضر وإنا لا نصل اليك الا في شهر حرام فمرنا بأمر فصل نأخذ به ونأمر به من وراءنا وندخل الجنة فقال ﷺ «آمركم بأربع، وأنهاكم عن أربع، آمركم بالايمان بالله وحده، أتدرون ما الايمان بالله؟ شهادة

أن لا إله إلا الله ، وأن محمداً رسول الله ، واقام الصلاة ، وايتاء الزكاة ، وصوم رمضان ، وأن تعطوا الخمس من المغنم ، وأنهاكم عن أربع عن الدباء ، والحنتم ، والنقير ، والمزفت ، فاحفظوهن وادعوا اليهن من وراءكم » هذه رواية الصحيحين وزاد مسلم قالوا يا رسول الله ما علمك بالنقير ؟ قال « بلى جذع تنقرونه ثم تلقون فيه من التمر ثم تصبون عليه الماء حتى يغلى فاذا سكن شر بتموه ، فعسى أحدكم أن يضرب ابن عمه بالسيف » وفي القوم رجل اسمه جهم بن قثم به ضربة كذلك ، قال وكنت أخبؤها حياء من رسول الله ﷺ . قالوا : ففيم نشرب يا رسول الله ؟ قال « اشربوا فى أسقية الأدم التى يلاث على افواهها » قالوا يا رسول الله ان أرضنا كثيرة الجرذان لا تبقى فيها أسقية الأدم ، قال ﷺ « وان أكلها الجرذان » مرتين أو ثلاثا . ثم قال رسول الله ﷺ لأشبح عبد القيس « ان فيك خصلتين يحبهما الله الحلم والاناة » قال ابن اسحاق فعرض النبى ﷺ على الجارود الاسلام ودعاه اليه ورغبه فيه ، فقال : يا محمد انى قد كنت على دين وانى تارك دينى لدينك أفتضمن لي دينى ؟ فقال رسول الله ﷺ « نعم أنا ضامن لك ان هداك الله الى ما هو خير منه » فأسلم وأسلم أصحابه ثم سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم الحملان فقال « والله ما عندى ما أحملكم عليه » قال : يا رسول الله ان بيننا وبين بلادنا ضوال من ضوال الناس أفنبلغ عليها الى بلادنا قال

« لا اياك واياها فانما تلك حرق النار » فخرج من عنده الجارود راجعاً الى قومه وكان حسن الاسلام صلبا على دينه حتى هلك وقد أدرك الردة ، فلما رجع من قومه من كان أسلم منهم الى دينهم الأول مع المغرور بن المنذر بن النعمان بن المنذر قام الجارود فتشهد شهادة الحق ودعا الى الاسلام فقال : أيها الناس انى أشهد ان لا اله الا الله وان محمداً عبده ورسوله وأكفر من لم يشهد . وقد كان رسول الله ﷺ بعث العلاء بن الحضرمى قبل فتح مكة الى المنذر بن ساوى العبدى فأسلم فحسن اسلامه ثم هلك بعد رسول الله ﷺ قبل ردة أهل البحرين والعلاء عنده أمير لرسول الله ﷺ على البحرين . وفى السيرة الشامية (سبيل الهدى والرشاد) أن الجارود وفد مع حليف له يقال له سلمة بن عياض الازدى فقال الجارود لسلمة : ان خارجا خرج بتهامة يزعم أنه نبي فهل لك أن نخرج اليه فان رأينا خيراً دخلنا فيه وأنا أرجو أن يكون هو النبي الذى بشر به عيسى ابن مريم ، لكن يضمر كل واحد منا له ثلاث مسائل يسأله عنها لايخبر بها صاحبه فلعمرى انه ان أخبرنا بها انه لنبي يوحى اليه . فلما قدما عليه ﷺ قال له الجارود : بم بعثك به ربك يا محمد ؟ قال « بشهادة أن لا اله الا الله وانى عبد الله ورسوله ، والبراءة من كل ند ، أو دين يعبد من دون الله ، وباقام الصلاة لوقتها ، وايتاء لزكاة لحقها ، وصوم رمضان ، وحج البيت من استطاع اليه سبيلا بغير الحاد ، من عمل صالحا فلنفسه

ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد » قال الجارود : يا محمد ان كنت نبيا فأخبرنا عما أضمرنا عليه فخفق رسول الله ﷺ خفقة كأنها سنة ثم رفع رأسه الشريف والعرق يتحدر عنه فقال « أما أنت يا جارود فانك أضمرت ان تسألني عن دماء الجاهلية وعن حلف الجاهلية ، وعن المنيحة ، آلا وان دم الجاهلية موضوع ، وحلفها مردود ، ولاحلف فى الاسلام ، الا وان أفضل الصدقة أن تمنح أخاك ظهر دابة ، او لبن شاة ، فانها تغدو برفده وتروح بمثله ، وأما أنت يا سلمة فانك أضمرت على أن تسألنى عن عبادة الاوثان ، وعن يوم السباسب ، وعن عقل الهجين ، فأما عبادة الاوثان فان الله تعالى يقول ﴿ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ﴾ واما يوم السباسب فقد أعقبه الله ليلة خيراً من ألف شهر فاطلبوها فى العشر الأواخر من رمضان فانها ليلة بلجة سمحة لاريح فيها تطلع الشمس فى صبيحتها لاشعاع لها ، وأما عقل الهجين فان المؤمنين أخوة تتكافأ دماؤهم يجير أقصاهم على أدناهم أكرمهم عند الله أتقاهم » فقالا نشهد أن لا اله الا الله وحده لا شريك وأنك عبده ورسوله .

وفد بنى حنيفة

روى البخاري فى صحيحه عن ابى رجاء العطاردي قال : لما بُعث رسول الله ﷺ فسمعنا به لحقنا بمسيلمة الكذاب فلحقنا بالنار ، وكنا نعبد الحجر فى الجاهلية فاذا وجدنا حجرا هو احسن منه القينا ذلك واخذناه فاذا لم نجد حجرا جمعنا حثية من تراب ثم جئنا بغنم فحلبناها عليه ثم طفنا به وكنا اذا دخل رجب قلنا جاء منصل الأسنة فلا ندع سهما فيه حديدة ولا حديدة في رمح الا نزعناها والقيناها . فقدم مسيلمة الكذاب على عهد رسول الله ﷺ المدينة فجعل يقول ان جعل لي محمد الأمر من بعده تبعته ، وقدمها فى بشر كثير من قومه فأقبل النبي ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس ، وفى يد النبى ﷺ قطعة جريد حتى وقف على مسيلمة فى اصحابه فقال ﷺ « ان سألتنى هذه القطعة ما أعطيتكها ولن تعدو أمر الله فيك ولئن أدبرت ليعقرنك الله وانى أراك الذي أريت فيه ما رأيت ، وهذا ثابت بن قيس يجيبك عنى » ثم انصرف قال ابن عباس رضى الله عنهما : فسألت عن قول النبي ﷺ « أنك الذي أريت فيه ما رأيت » فأخبرنى ابو هريرة أن النبى ﷺ قال « بينا أنا نائم رأيت فى يدي سوارين من ذهب فأهمنى شأنهما فأوحى إلي في المنام أن انفخهما فنفختهما فطارا فأولتهما كذابين يخرجان من بعدى

فهذان هما احدهما العنسى صاحب صنعاء والآخر مسيلمة الكذاب صاحب اليمامة » هذه رواية البخارى واما ما ورد فى السير تتمة لرواية البخاري فقد اعطى رسول الله ﷺ لكل واحد من وفد بنى حنيفة خمس أوراق من فضة بما فيهم مسيلمة فأسلم رجال الوفد كلهم غير مسيلمة فانه آمن بنبوة النبى ﷺ وبنبوته بعده ، فلما رجعوا وانتهوا الى اليمامة ارتد عدوُّ الله مسيلمة وتنبأ وكذب وادعى انه اشرك معه ﷺ فى النبوة فتكلم بالهذيان ليضاهي به القرآن فمن قوله : لقد انعم الله على الحبلى أخرج منها نسمة تسعى من بين شفاف وحشا . وقال: والطاحنات طحنا ،والعاجنات عجنا ، والخابزات خبزا ، والثاردات ثرداً ، واللاقمات لقما ، ووضع عنهم الصلاة واحل لهم الخمر والزنا . وكتب مسيلمة الى رسول الله كتابا فقال: من مسيلمة رسول الله ، الى محمد رسول الله ، أما بعد فانى أشركت في الأمر معك وان لنا نصف الأمر ولقريش ، وليس قريش قوما يعدلون. وبعثه مع رجلين الى رسول الله ﷺ ، روى ابو داود الطيالسى فى مسنده قال : جاء ابن النواحة وابن اثال رسولين لمسيلمة الكذاب الى رسول الله ﷺ فقال لهما رسول الله ﷺ « تشهدان انى رسول الله؟ » فقالا نشهد ان مسيلمة رسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « آمنت بالله ورسوله ولو كنت قاتلا رسولا لقتلتكما » قال : عبد الله فمضت السنة بأن الرسل لا تقتل . فكتب اليه رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن

الرحيم من محمد رسول الله الى مسيلمة الكذاب سلام على من التبع الهدى، أما بعد فان الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين ».
وكان ذلك فى آخر سنة عشر .

قال السهيلى فأما مسيلمة فقتله خالد بن الوليد وافنى قومه قتلا وسبيا واما مسعود بن كعب العنسى — الذى تنبأ في صنعاء اليمن — فاتبعته قبائل من مذحج واليمن على امره وغلب على صنعاء وكان يقال له ذو الخمار ويلقب عيهلة ، وكان يدعى ان سحيقا وشريقا يأتيانه بالوحى ، ويقول هما ملكان يتكلمان على لسانى ، وهو من ولد مالك بن عنسى قتله فيروز الديلمي ، وقيس بن مكشوح ، وداذويه رجل من الأبناء ، دخلوا عليه من سرب صنعته لهم امرأة كان قد غلب عليها من الأبناء فوجدوه سكران لا يعقل من الخمر فخبطوه بأسيافهم وهم يقولون :

ضل نبى مات وهو سكران والناس تلقى جلهم كالذبان
النور والنار لديهم سيان

وسيأتى ذكر قتل مسيلمة ، والأسود العنسي ، في الجزء الخامس من هذا التاريخ فى خلافة أبى بكر الصديق رضى الله عنه مفصلا واقتصر هنا على ذكر الوفود واشرت الى قتلهما لبيان نتيجتهما .

وفد طيّ وزيد الخيل

قدم على رسول الله ﷺ وفد طيّ وفيهم زيد الخيل بن مهلهل ابن زيد بن منهب الطائى وقيل له زيد الخيل لخمس افراس كانت له لها اسماء اعلام ، ومن الوفد وزر بن سروس النبهانى ، وقبيصة بن الأسود ابن عامر بن جوين الجرمي وهو النصرانى ، ومالك بن عبد الله بن خيبري بن افلت بن سلسلة ، وقعين بن خلف الظربى رجل من جديلة . فعقلوا رواحلهم بفناء المسجد ودخلوا فجلسوا قريبا من النبى ﷺ حيث يسمعون صوته فلما نظر النبى ﷺ اليهم قال « انى خير لكم من العزى ولاتها ، ومن الجمل الأسود الذي تعبدونه من دون الله ، ومما حارت مناع من كل ضار غير نفاع » فقام زيد الخيل فكان من اعظمهم خلقاً واحسنهم وجها وشعراً وكان يركب الفرس العظيم الطويل فتخط رجلاه فى الأرض فقال له النبى ﷺ وهو لا يعرفه « الحمد لله الذى أتى بك من سهلك وحزنك وسهل قلبك للايمان » ثم قبض على يده فقال « من انت ؟ فقال : انا زيد الخيل بن مهلهل ، وانا اشهد ان لا اله الا الله وانك عبد الله ورسوله . فقال ﷺ « بل انت زيد الخير » ثم قال « يا زيد ما خبرت عن رجل شيأ قط الا رأيته دون ما خبرت عنه غيرك » ومعناه كما جاء فى رواية ابن هشام عن ابن اسحاق « ما ذكرلي

رجل من العرب بفضل ثم جاءنى الا رأيته دون ما يقال فيه الا زيد الخيل فانه لم يبلغ كل ما كان فيه» فبايعه وحسن اسلامه، وعرض رسول الله ﷺ الاسلام على رجال الوفد فأسلموا وحسن اسلامهم ، وكتب رسول الله ﷺ لزيد الخيل كتابا على ما اراد وأقطعه قرى كثيرة مع فيد وكتب لكل واحد منهم على قومه الاوزر بن سروس فقال : انى لأرى رجلا ليملكن رقاب العرب ولا والله لا يملك رقبتى عربى ابداً ثم لحق بالشام وتنصر وحلق رأسه . فقال زيد الخيل حين انصرافه :

أنيخت بأجام المدينة أربعا وعشرا يغنى فوقها الليل طائر
فلما قضت أصحابها كل بغية وخط كتابا فى الصحيفة ساطر
شددت عليها رحلها وشليلها من الدرس والشعراء والبطن ضامر

واهدى زيد الخيل لرسول الله ﷺ مخدما ، والرسوب ، وكانا سيفين لصنم بلى القلس فخرج من عند رسول الله ﷺ راجعا الى قومه فقال رسول الله ﷺ « ان ينج زيد من حمى المدينة فانه » فلما انتهى من بلد نجد الى ماء من مياهه يقال له قردة اصابته الحمى بها ولما أحس زيد بالموت قال :

أمر تحل قومى المشارق غدوة وأترك فى بيت بقردة منجد
الارب يوم لو مرضت لعادنى عوائد من لم يبر منهن يجهد

فأقام بقردة ثلاثة ايام ومات ، فاقام عليه قبيصة بن الأسود بن

عامر المناحة سنة ، ثم توجه براحلته ورحله وفيها كتاب رسول الله ﷺ فلما رأت امرأته الراحلة ليس عليها زيد ضربتها بالنار فاحترقت واحترق الكتاب . وكان زيد موصوفا بحسن الجسم وكان أحد شعراء الجاهلية وفرسانهم المعدودين .

وفد عدى بن حاتم

كان يقول عدى بن حاتم ما من رجل من العرب كان اشد كراهية لرسول الله ﷺ حين سمع به منا ، اما انا فكنت إمرءً شريفا وكنت نصرانيا وكنت اسير فى قومى بالمرباع فكنت فى نفسى على دين وكنت ملكا في قومي لما كان يصنع أبى فلما سمعت برسول الله ﷺ كرهته فقلت لغلام كان لي عربى وكان راعيا لابلى لا ابالك اعدد لي من ابلي اجمالا ذللا سمانا فاحتبسها قريبا منى فاذا سمعت بجيش لمحمد قد وطئ هذه البلاد فآذنى ، ففعل ثم اتانى ذات غداة فقال : يا عدى ما كنت صانعا اذا غشيتك خيل محمد فاصنعه الآن فانى قد رأيت رايات فسألت عنها فقالوا هذه جيوش محمد فقلت . فقرب الي اجمالي فقربها فاحتملت بأهلي وولدي ثم قلت ألحق بأهل دينى من النصارى بالشام فسلكت الجوشية وخلفت بنتا لحاتم فى الحاضر فلما قدمت الشام أقمت بها وتخالفنى خيل لرسول الله ﷺ فتصيب ابنة حاتم فيمن أصابت فقدم بها على

رسول الله ﷺ فى سبايا من طيء وقد بلغ رسول الله ﷺ هربى الى الشام قال فجعلت بنت حاتم فى حظيرة بباب المسجد كانت السبايا تحبس فيها فمر بها رسول الله ﷺ فقامت اليه وكانت امرأة جزلة فقالت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علىَّ من الله عليك ، قال ﷺ « ومن وافدك ؟ » قالت عدى بن حاتم ، قال ﷺ « الفار من الله ورسوله ؟ » قالت ثم مضى رسول الله ﷺ وتركنى حتى اذا كان من الغد مر بي فقلت له مثل ذلك فقال لي مثل ما قال بالأمس قالت حتى اذا كان بعد الغد مر بى وقد يئست منه فأشار إلي رجل من خلفه أن قومي فكلميه ، قالت فقمت اليه فقلت يا رسول الله هلك الوالد وغاب الوافد فامنن علي من الله عليك ؟ فقال ﷺ « قد فعلت فلا تعجلى بخروج حتى تجدى من قومك من يكون لك ثقة حتى يبلغك الى بلادك ثم آذنيني » فسألت عن الرجل الذى أشار الي أن أكلمه فقيل علي ابن ابي طالب رضي الله عنه وأقمت حتى قدم ركب من بلى او قضاعة قالت وانما أريد أن آتى أخى بالشام فجئت رسول الله ﷺ فقلت يارسول الله قد قدم رهط من قومي لي فيهم ثقة و بلاغ قالت فكسانى رسول الله ﷺ وحملنى وأعطانى نفقة فخرجت معهم حتى قدمت الشام .

قال عدي فو الله اني لقاعد في أهلى اذ نظرت الى ظعينة تصوب إلىَّ تؤمنا فقلت ابنة حاتم قال فاذا هى ، هى ، فلما وقفت علىَّ انسلحت

تقول: القاطع الظالم احتملت بأهلك وولدك وتركت بقية والدك عورتك؟ قال قلت أى أخية لا تقولي الا خيراً فو الله ما لي من عذر لقد صنعت ما ذكرت، قال ثم نزلت فأقامت عندي فقلت لها وكانت امرأة حازمة: ما ذا ترين فى أمر هذا الرجل؟ قالت: أرى والله أن تلحق به سريعا فان يكن الرجل نبيا فللسابق اليه فضله، وان يكن ملكا فلن تذل فى عز اليمن وأنت أنت، قال قلت والله ان هذا الرأى! فخرجت حتى قدمت على رسول الله ﷺ المدينة فدخلت عليه وهو في مسجده فسلمت عليه فقال «من الرجل؟» فقلت: عدى بن حاتم، فقام رسول الله ﷺ وانطلق بى الى بيته، فو الله انه لعامد بي اليه اذ لقيته امرأة ضعيفة كبيرة فاستوقفته فوقف لها طويلا تكلمه فى حاجة، قلت فى نفسى والله ما هذا بملك، ثم مضى بي رسول الله ﷺ حتى اذا دخل بى بيته تناول وسادة من أدم محشوة ليفا فقذفها إلىَّ فقال «اجلس على هذه» قلت بل أنت فاجلس عليها، فقال «بل أنت فاجلس عليها وجلس رسول الله ﷺ بالارض قلت فى نفسى والله ما هذا بأمر ملك، ثم قال إيه يا عدى بن حاتم ألم تك ركوسا؟» قلت بلى قال «أو لم تكن تسير فى قومك بالمرباع؟» قلت بلى قال «فان ذلك لم يكن يحل لك فى دينك» قلت أجل والله، وعرفت انه نبي مرسل يعلم ما يجهل، ثم قال ﷺ «لعلك يا عدى انما يمنعك من دخول فى هذا الدين ما ترى من حاجتهم فو الله

ليوشكن المال ان يفيض فيهم حتى لا يوجد من يأخذه ، ولعلك انما يمنعك من دخول فيه ما ترى من كثرة عدوّهم وقلة عددهم فوالله ليوشكن أن تسمع بالمرأة تخرج من القادسية على بعيرها تزور هذا البيت لا تخاف ، ولعلك انما يمنعك من دخول فيه انك ترى أن الملك والسلطان في غيرهم وأيم الله ليوشكن أن تسمع بالقصور البيض من أرض بابل قد فتحت عليهم » قال عدي فأسلمت . وكان عدى يقول قد مضت اثنتان وبقيت الثالثة والله لتكونن قد رأيت القصور البيض من أرض بابل قد فتحت ، وقد رأيت المرأة تخرج من القادسية على بعيرها لا تخاف حتى تحج هذا البيت ، وأيم الله لتكونن الثالثة ليفيض المال حتى لا يوجد من يأخذه . هذه رواية ابن اسحاق ولنأتى على تتمة أمره قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة : عدى بن حاتم بن عبد الله بن سعد الطائي ولد الجواد المشهور أسلم فى سنة تسع وثبت على اسلامه فى الردة وأحضر صدقة قومه الى أبى بكر رضي الله عنه وشهد فتح العراق ثم سكن الكوفة وشهد صفين مع علي رضى الله عنه ومات بعد الستين ، وقد أسن بلغ عشرين ومائة سنة ، قال عدي أتيت عمر رضى الله عنه فى أناس من قومي فجعل يعرض الرجل ويعرض عنى فاستقبلته فقلت أتعرفني ؟ قال : نعم آمنت اذ كفروا ، وعرفت اذ أنكروا ، ووفيت اذ غدروا ، وأقبلت اذ أدبروا ، وان أول صدقة بيضت وجوه أصحاب رسول الله ﷺ صدقة طيئ . أخرجه أحمد وابن سعد

هـذه قصة وفد عدى بن حاتم الطائى رضى الله عنه وما كان من حديثه مع النبى ﷺ وملاطفته له وقد جاء له من مكارم الاخلاق في القسم الثانى من هذا الـكتاب فى تاريخ الخلفاء الشئ الـكثير وقد اقتصرت على ذكر وفادته واسلامه هنا . ومنه يتضح للقارئ مكارم اخلاق النبى ﷺ وحسن سياسته ورعايته لأمراء العرب وذوي الشخصيات البارزة منهم فانه ﷺ قابل عدى بن حاتم تلك المقابلة الحسنة وأخذه الى بيته واعطاه الوسادة وجلس على الأرض حتى جعل عدى بن حاتم يقول : والله ما هذا بأمر ملك . حيث ان الملوك لا يقدمون أحداً على أنفسهم ولو كانوا ملوكا مثلهم وانما يجاملون بما لا يكون فوق كرامة أنفسهم ، ولم يكن ذلك خاص باخلاق الملوك وحدهم بل أنك تجـد بعض افراد الناس من لا يبالغون فى تجلة احد بما يفوق على موضعهم اذا كان أقل منهم منزلة او مماثلا لهم ، فكان رأى عدى بن حاتم مصيب فى ان هذه الاخلاق لا تكون الا للأنبياء وحدهم مع ان الانبياء صلوات الله عليهم هم المشرعون لمكارم الاخلاق وهم القدوة فى كل شئ .

قدوم فروة بن مسيك المرادى

قدم فروة بن مسيك المرادي على رسول الله ﷺ سنة تسع مفارقا لملوك كندة ومباعدا لهم ولما توجه فروة الى رسول الله ﷺ قال :

لما رأيت ملوك كندة أعرضت كالرجل خان الرجل عرق نسائها

قربت راحلتى أؤم محمدا أرجوا فواضلها وحسن ثنائها

فلما انتهى الى رسول الله ﷺ قال له رسول الله ﷺ « يا فروة هل ساءك ما أصاب قومك يوم الردم؟ » قال يا رسول الله من ذا يصيب قومه مثل ما أصاب قومى يوم الردم لا يسوءه ذلك ، فقال له رسول الله ﷺ « أما ان ذلك لم يزد قومك فى الاسلام الا خيراً » واستعمله النبى ﷺ على مراد ، وزبيد ، ومذحج ، كلها . وبعث معه خالد بن سعيد بن العاص على الصدقة فكان معه فى بلاده حتى توفى رسول الله ﷺ فقال له رسول الله ﷺ لما استعمله « أدع الناس وتألفهم فاذا رأيت الغفلة فاغتنمها واغز » واستعمله عمر رضى الله عنه على صدقات مذحج ثم سكن الكوفة وكان من وجوه قومه .

فكان من حسن سياسة النبى ﷺ اذا وجد في احد الامراء خيراً أيده فى امارته على قومه بل وعلى غيرهم كما صنع مع فروة هذا وكما صنع مع وائل بن حجر الحضرمي كما سيأتي حيث لم يكن غرضه الاستعمار ، بل غرضه الوحيد الاصلاح والعدل .

وفد عمرو بن معدى كرب

مع بنى زبيد

قدم على رسول الله ﷺ عمرو بن معدى كرب في اناس من بنى زبيد فأسلم وكان عمرو قد قال لقيس بن مكشوح المرادي حين انتهى اليهم أمر رسول الله ﷺ : يا قيس انك سيد قومك وقد ذكر لنا ان رجلا من قريش يقال له محمد قد خرج بالحجاز يقال انه نبي فانطلق بنا اليه حتى نعلم علمه فان كان نبيا كما يقول فانه لن يخفى عليك اذا لقيناه اتبعناه وان كان غير ذلك علمنا علمه . فأبى عليه قيس ذلك وسفه رأيه فركب عمرو بن معدي كرب حتى قدم على رسول الله ﷺ فنزل على سعد بن عبادة رضى الله عنه فأكرمه وراح به الى النبى ﷺ فأسلم وأجازه النبي ﷺ فرجع الى قومه فأقام فيهم مسلما مطيعا ، وكان عليهم فروة بن مسيك فلما مات النبى ﷺ ارتد عمرو بن معدى كرب فأسره المهاجر ابن ابي أمية وارسله الى ابى بكر رضى الله عنه فعاود الاسلام ، وكان فى عهد رسول الله ﷺ وجه رسول الله ﷺ خالد بن سعيد بن العاص الى اليمن وقال له « ان مررت بقرية فلم تسمع أذانا فأسبهم » فمر ببنى زبيد فلم يسمع أذانا فسباهم فاتاه عمرو بن معدى كرب فكلمه فيهم فوهبهم اياه فوهب له عمرو سيفه الصمصامة فتسلحه خالد بن سعيد فقال له وعمر على صمصامة السيف السلام . قال مالك بن عبد الله الخثعمى ما

رأيت أشرف من رجل برز يوم اليرموك فخرج اليه علج فقتله ثم آخر فقتله ثم انهزموا وتبعهم ثم انصرف الى خباء له عظيم فنزل ودعا بالجفان ودعا من حوله فقلت من هذا قال عمرو بن معدى كرب . وقال قيس ابن أبي حازم شهدت القادسية وكان سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه أميرا على الناس فجعل عمرو بن معدي كرب يمر على الصفوف ويقول يا معشر المهاجرين كونوا أسودا أشداء فان الفارس اذا القى رمحه يئس، فرماه أسوار من الاساورة بنشابة فأصاب سية قوسه فحمل عليه عمرو فطعنه فدق صلبه ونزل اليه فأخذ سلبه ثم جاءته نشابة فاصابت قربوس سرجه فحمل على صاحبها فأخذه كما تؤخذ الجارية فوضعه بين الصفين ثم احتز رأسه وقال اصنعوا هكذا . وحمل عمرو بن معدي كرب يوم القادسية وحده فضرب فيهم ثم لحقه المسلمون وقد أحدقوا به وهو يضرب فيهم بسيفه فنحوهم عنه فقال :

والقادسية حين زاحم رستم كنا الكماة نهز كالأسطان
ومضى ربيع بالجنود مشرقا ينوي الجهاد وطاعة الرحمن

وكتب عمر بن الخطاب رضى الله عنه الى سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه أنى أمددتك بألفى رجل عمرو بن معدي كرب ، وطلحة ابن خويلد . ولما ولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه النعمان بن مقرن على الجند لحرب الفرس كتب اليه لما توجه الى نهاوند ان فى جندك عمرو

ابن معدى كرب وطلحة بن خويلد فأحضرهما وشاورهما فى الحرب ولا تعطهما من الأمر شيئا فان كل صانع أعلم بصناعته . ولما افتتح سعد العراق ودرله الخراج أوفد عمرو بن معدى كرب الى عمر بن الخطاب يذكر له شجاعته وحسن موازرته . ولما كانت وقعة نهاوند قتل النعمان بن مقرن أمير الجيش فانهزم المسلمون وقاتل عمرو بن معدى كرب يومئذ حتى كان الفتح وقد شهد صفين وعمره مائة وخمسون سنة وعن رميح بن هلال عن أبيه رأيت عمرو بن معدى كرب فى خلافة معاوية شيخا عظيم الخلقة أعظم ما يكون من الرجال أخشن الصوت اذا التفت ، التفت بجميع جسده قال ابن عبد البر كان عمرو شاعرا محسنا ومما يستحسن من شعره قصيدته التى منها أولها :

أمن ريحانة الداعي السميع يؤرقنى وأصحابى هجوع

ويقول فيها :

اذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه الى ما تستطيع

فهذا عمرو بن معدى كرب الزبيدى من أعظم أبطال الاسلام فى الحرب ، ومن أشجعهم فى مصارعة الأقران ، وأقدمهم جرأة ، ومن أثبتهم جاشا ، وأسنهم عمراً وتاريخه مجيد ، وفعله حميد ، وبطشه فى الأعداء شديد ، فرحم الله عمراً ومن كان على شاكلته وهكذا الأبطال يخلد مجدهم ، ويتناقل فخارهم ويسجل تاريخهم مدى الأجيال والعصور ،

وكل ما تقدم هو نبذة من تاريخه . وسيأتي تاريخه مفصلا فى القسم الثانى من هذا الكتاب فى تاريخ الخلفاء وتاريخ طاحة الاسدى .

قدوم الأشعث بن قيس

فى وفد كندة

قدم على رسول الله ﷺ الأشعث بن قيس في ثمانين راكبا من كندة وافدين على رسول الله ﷺ فلما وفدوا المدينة ترجلوا جميعهم وتكحلوا ، عليهم جبب الحبرة وقد كففوها بالحرير ، فلما دخلوا على رسول الله ﷺ فى المسجد قال « ألم تسلموا » قالوا بلى ، قال « فما بال هذا الحرير فى أعناقكم ؟ » فشقوه منها فألقوه ، ثم قال له الأشعث بن قيس يا رسول الله نحن بنو آكل المرار وأنت ابن آكل المرار فتبسم رسول الله ﷺ وقال « ناسبوا بهذا النسب العباس بن عبد المطلب ، وربيعة بن الحارث » وكان العباس وربيعة رجلين تاجرين وكانا اذا شاعا في بعض العرب فسئلا ممن هما قالا نحن بنو آكل المرار يتعززان بذلك ، وذلك أن كندة كانوا ملوكا ، ثم قال لهم لا بل نحن بنو النضر بن كنانة لا تقفوا منا ولا ننتفي من أبينا . فقال الأشعث بن قيس لقومه هل فرغتم يا معشر كندة والله لا أسمع رجلا يقولها الا ضربته ثمانين . قال ابن هشام الأشعث بن قيس من ولد آكل المرار من قبل النساء ، وآكل

المرار هو الحارث بن عمرو بن حجر الكندى ، والمرار شجر قد اكل منه فى غزوة ، والاشعث بن قيس هو من كندة وكان من ملوك كندة وهو صاحب مرباع حضرموت وكان أبداً أشعث الرأس فسمى الاشعث ، وكان الاشعث قد ارتد فيمن ارتد من الكنديين وأسر فاحضر الى أبى بكر الصديق رضى الله عنه فقال لأبى بكر استبقنى لحربك وزوجنى أختك فأطلقه وزوجه أخته أم فروة ، فاخترط سيفه ودخل سوق الابل فجعل لا يرى جملا ولا ناقة الا عرقبه ، فصاح الناس كفر الاشعث فلما فرغ طرح سيفه وقال انى والله ما كفرت ولكن زوجنى هذا الرجل يعنى أمير المؤمنين أبا بكر الصديق رضى الله عنه أخته ولو كنا فى بلادنا كانت وليمة غير هذه ، يا أهل المدينة كلوا ويا أصحاب الابل تعالوا خذوا شرواها. ثم شهد الاشعث اليرموك بالشام والقادسية وغيرها بالعراق وسكن الكوفة وشهد مع علي رضى الله عنه صفين وله معه أخبار مات بعد قتل علي بن أبي طالب رضى الله عنه بأربعين ليلة وصلى عليه الحسن بن علي رضى الله عنهما وله من العمر ثلاث وستون سنة رضى الله عنه . وللاشعث ابن قيس حوادث واخبار قد ذكرتها فى القسم الثانى من هذا الكتاب فى تاريخ الخلفاء الأربعة .

وفد صرد بن عبد الله الجرشى

قدم على رسول الله ﷺ صرد بن عبد الله الازدى الجرشى فأسلم وحسن اسلامه وكان فى وفد من الأزد فأمره رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وأمره أن يجاهد بمن أسلم من كان يليه من أهل الشرك من قبائل اليمن فخرج صرد بن عبد الله يسير بأمر رسول الله ﷺ حتى نزل بجرش وهو يومئذ مدينة مغلقة وبها قبائل من قبائل اليمن وقد ضوت اليهم خثعم فدخلوها معهم حين سمعوا بسير المسلمين اليهم فحاصروهم فيها قريبا من شهر وامتنعوا فيها منه ثم انه رجع عنهم قافلا حتى اذا كان الى جبل لهم يقال له (شكر) ظن أهل جرش انه انما ولى عنهم منهزما فخرجوا فى طلبه حتى اذا أدركوه عطف عليهم فقتلهم قتلا شديداً ، وقد كان أهل جرش بعثوا رجلين منهم الى رسول الله ﷺ بالمدينة يرتادان وينظران فبينا هما عند رسول الله ﷺ عشية بعد صلاة العصر اذ قال رسول الله ﷺ « بأى بلاد الله شكر؟ » فقام الجرشيان فقالا يا رسول الله ببلادنا جبل يقال له (كشر) وكذلك يسميه أهل جرش . فقال ﷺ « إنه ليس بكشر ولكنه شكر » قالا فما شأنه يا رسول الله ؟ قال « ان بدن الله لتنحر عنده الآن » فجلس الرجلان الى أبى بكر رضى الله عنه فقال لهما: ويحكما ان رسول الله ﷺ الآن لينعي لكما قومكما فقوما الى رسول الله

ﷺ فأسألاه ان يدعو الله أن يرفع عن قومكما ، فقاما اليه فسألاه ذلك فقال «اللهم ارفع عنهم» فخرجا من عند رسول الله ﷺ راجعين الى قومهما فوجدا قومهما قد أصيبوا يوم أصابهم صرد بن عبد الله فى اليوم الذى قال فيه رسول الله ﷺ ما قال وفى الساعة التى ذكر فيها ما ذكر ، فعند ذلك خرج وفد جرش حتى قدموا على رسول الله ﷺ فأسلموا وحمى لهم حمى حول قريتهم على أعلام معلومة للفرس والراحلة والمثيرة بقرة الحرث فمن رعاه من الناس فماله سحت فقال فى تلك الغزوة رجل من الأزد وكانت خثعم تصيب من الأزد فى الجاهلية وكانوا يعدون فى الشهر الحرام .

يا غزوة ما غزونا غير خائبة ... فيها البغال وفيها الخيل والحمر
حتى أتينا حميراً فى مصانعها ... وجمع خثعم قد شاعت لها النذر
اذا وضعت غليلا كنت أحمله ... فما أبالى أدانوا بعد أم كفروا

قدوم رسول ملوك حمير بكتابهم

قدم على رسول الله ﷺ كتاب ملوك حمير حين رجوعه من غزوة تبوك ورسلهم اليه باسلامهم وهم الحارث بن عبد كلال ، ونعيم بن عبد كلال ، والنعمان قيل ذي رعين ، ومعافر ، وهمدان ، وبعث اليه زرعة ذويزن مالك بن مرة الرهاوي باسلامهم ومفارقتهم الشرك وأهله

فكتب لهم رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله النبى الى الحارث بن عبد كلال ، والى نعيم بن عبد كلال ، والى النعمان قيل ذى رعين ، و معافر ، وهمدان ، أما بعد ذلكم فاني أحمد اليكم الله الذي لا اله الا هو أما بعد فانه قد وقع بنا رسولكم متلقينا من أرض الروم فلقينا بالمدينة فبلغ ما أرسلتم به وخبر ما قبلكم وأنبأنا باسلامكم وقتلكم المشركين وان الله قد هداكم بهداه ان أصلحتم وأطعتم الله ورسوله ، وأقمتم الصلاة ، وآتيتم الزكاة ، وأعطيتم من المغانم خمس الله ، وسهم النبي ﷺ ، وصفيه ، وما كتب على المؤمنين من الصدقة من العقار عشر ما سقت العين وسقت السماء ، وعلى ما سقى الغرب نصف العشر ، إن فى الابل الأربعين ابنة لبون ، وفى الثلاثين من الابل ابن لبون ذكر ، وفى كل خمس من الابل شاة ، وفي كل عشر من الابل شاتان ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفي كل أربعين من الغنم سائمة وحدها شاة ، وانما فريضة الله التى فرض على المؤمنين فى الصدقة فمن زاد خيراً فهو خير له ، من وأدى ذلك وأشهد على اسلامه وظاهر المؤمنين على المشركين فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ما عليهم وله ذمة الله وذمة رسوله ، وانه من أسلم من يهودى أو نصرانى فانه من المؤمنين له مالهم وعليه ما عليهم ، ومن كان على يهوديته أو نصرانيته فانه لا يرد عنها وعليه الجزية على كل حالم ذكر ،

أو أنثى ، حرّ ، أو عبد ، دينار واف من قيمة المعافر أو عوضه ثيابا ، فمن أدى ذلك الى رسول الله ﷺ فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منعه فانه عدو لله ولرسوله . أما بعد فان رسول الله محمد النبي أرسل الى زرعة ذي يزن أن اذا أتاكم رسلي فأوصيكم بهم خيرا ، معاذ بن جبل ، وعبد الله بن زيد ، ومالك بن عبادة ، وعقبة بن غر ، ومالك بن مرة ، وأصحابهم ، وأن أجمعوا ما عندكم من الصدقة والجزية من مخالفيكم وأبلغوها رسلي ، وأن أميرهم معاذ بن جبل فلا ينقلبن الا راضيا . أما بعد فان محمداً يشهد أن لا اله الا الله وأنه عبده ورسوله ، ثم ان مالك بن مرة الرهاوي قد حدثني أنك أسلمت من أول حمير وقتلت المشركين فأبشر بخير ، وآمرك بحمير خيراً ، ولا تخونوا ، ولا تخاذلوا ، فان رسول الله ﷺ هو مولى غنيكم وفقيركم ، وان الصدقة لا تحل لمحمد ولا لأهل بيته ، انما هي زكاة تزكى بها فقراء المسلمين وابن السبيل ، وان مالكا قد بلغ الخبر وحفظ الغيب وآمركم به خيراً ، وانى قد أرسلت اليكم من صالح أهلى وأولى دينهم وأولى علمهم وآمركم بهم خيراً فانهم منظور اليهم والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته » ولما بعث رسول الله ﷺ معاذ أوصاه وعهد اليه ثم قال له « يسر ، ولا تعسر ، و بشر ، ولا تنفر ، وانك ستقدم على قوم من أهل الكتاب يسئلونك ما الجنة فقل شهادة ان لا اله الا الله وحده لا شريك له » فخرج معاذ حتى اذا قدم اليمن قام بما أمره به

رسول الله ﷺ فأتته امرأة من أهل اليمن فقالت يا صاحب رسول الله ما حق زوج المرأة عليها ؟ قال: ويحك ان المرأة لا تقدر على أن تؤدى حق زوجها فاجهدى نفسك فى أداء حقه ما استطعت . قالت : والله لئن كنت صاحب رسول الله ﷺ انك لتعلم ما حق الزوج على المرأة . قال : ويحك لو رجعت اليه فوجدته تنشعب منخراه قيحا ودما فمصصت ذلك حتى تذهبيه ما أديت حقه .

هذا ما كان من أمر قدوم رسل ملوك حمير، وما كتب لهم رسول الله ﷺ من التشريع بما هو خاص بالزكاة ، والغنائم ، وأرسل رسله ليعلموهم أمر دينهم ودنياهم، وحثهم على مكارم الاخلاق وغير ذلك ، وهذا يدل على ان العرب قد فهمت معنى الاسلام وأنه الحصن الحصين الذى يصونهم ويربط أواصرهم ويجمع كلمتهم ، ويجعلهم أمة واحدة، وجسما واحداً، وكتلة واحدة ، حيث ان الشرك قد فرق بينهم وجعلهم شعوبا وقبائل على أديان مختلفة ، ومذاهب متفرقة ، ومشارب متباينة وسبب التشاحن والبغضاء فيما بينهم ، حتى سحق القوى الضعيف ، وأكل السمين الهزيل ، وقد مضى على ذلك التطاحن عدة قرون حتى استعمرتهم الحبشة مرة ، والفرس أخرى ، وصاروا اذلاء فى قلب أرضهم ووطنهم . ولما اعتنقوا الاسلام وتشرب قلبهم بالايمان الصحيح صاروا سادات الامم في الشرق والغرب عدة قرون ، ثم لما حادوا عن اساس دينهم وتقاعدوا

عن مبادئ شريعتهم ضربهم الخمول والهوان حتى ذهب ملكهم العظيم من أيديهم وتفرقت كلمتهم وانكسرت شوكتهم وخسروا كل شئ ، فعلم مما تقدم انه لاسبيل الى السعادة الا عن طريق الايمان الصحيح اذليس هناك طريق غيره ، والله الهادي الى صراطه المستقيم .

وفد فروة بن عمرو الجذامي

بعث فروة بن عمرو بن النافرة الجذامي الى رسول الله ﷺ رسولا باسلامه وأهدى له بغلة بيضاء يقال لها فضة ، وحماراً يقال له يعفور ، وفرسا يقال له الظرب ، وثيابا . وقباء مرصعا بالذهب ، فقبل رسول الله ﷺ الهدية وأعطى الرسول أثنتى عشرة أوقية من فضة ، وكان فروة عاملا للروم على من يليهم من العرب وكان منزله معان وما حولها من أرض الشام ، فلما بلغ الروم ذلك من اسلامه طلبوه حتى أخذوه فحبسوه عندهم فقال فى حبسه ذلك .

طرقت سليمى موهنا أصحابى ... والروم بين الباب والقروانى
صد الخيال وساءه ماقد رأى ... وهممت أن أغفي وقد أبكانى
لاتكحلن العين بعد اثمدا ... سلمى ولا تدهن للاتيان
ولقد علمت أبا كبيشة انى ... وسط الاعزة لايحصى لسانى
فلئن هلكت لتفقدن اخاكم ... ولئن بقيت لتعرفن مكانى
ولقد جمعت أجل ماجمع الفتى ... من جودة وشجاعة وبيان

فقال له الملك ارجع عن دين محمد ونحن نعيدك الى ملكك ؟ قال لاأفارق دين محمد ﷺ فانك تعلم أن عيسى عليه الصلاة والسلام بشر به ولكنك تضن بملكك ، فلما اجتمعت الروم على صلبه على ماء يقال له عفرى بفلسطين فقال رضى الله عنه .

الاهل أتى سلمى بان حليلها على ماء عفراء فوق احدي الرواحل
على ناقة لم يضرب الفحل أمها مشذبة أطرافها بالمناجل

قال الزهري بن شهاب انهم لما قدموه ليقتلوه قال .

بلغ سراة المسلمين بأنني سلم لربي أعظمي ومقامي

ثم ضربوا عنقه وصلبوه على ذلك الماء . هذا مارواه ابن هشام عن ابن اسحاق قال الحافظ ابن حجر فى الاصابة أسلم ولم يره رسول الله ﷺ ولا اجتمع به .

هكذا يكون المؤمن متمسكا بايمانه فان فروة بن عمرو الجذامي رضى الله عنه قد ضحى ملكه وحياته وأهله وأعز عزيز لديه لأجل الاسلام فلو أن المسلمين اليوم متمسكون باسلامهم تمسك فروة بن عمرو رضى الله عنه لما وصلوا الى ماوصلوا اليه من التفكك والانخذال بسبب تفريطهم فى دينهم وجامعتهم الاسلامية ، حيث أن التمسك بالاسلام لايكون جعجعة باللسان ، أو إرثا عن الاباء والاجداد . أو تفوها مجرداً عن الايمان الصحيح ، أو انه حبرا على ورق كما هو المعروف عند بعض العصريين

اليوم بل هو ايمان بالله تعالى وبرسوله ﷺ إيماناً صحيحاً قوياً ثابتاً كثبوته في قلب فروة بن عمرو رضى الله عنه ذلك الذي لا يرى شيأ أعظم ولا أقدس من الايمان بالله تعالى و برسوله ﷺ ذلك الايمان الذي جعله يضحي نفسه بسخاء وبأعز عزيز لديه من ملك وفخر وعز ، وأهل ، وولد ، ووطن ، ومال ، وراحة ، وهناء ، فى سبيله ولاجله . فهذا الايمان الصحيح وليس هو كما يظنه بعض العصريين أنه نفخة شدق ، وسفسطة ، وخيال ،

قدوم وفد بنى الحارث بن كعب

قال ابن اسحاق بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه فى شهر ربيع الاخر سنة عشر من الهجرة الى بنى الحارث بن كعب بنجران وأمره أن يدعوهم الى الاسلام قبل ان يقاتلهم ثلاثا فان استجابوا فاقبل منهم وان لم يفعلوا فقاتلهم فخرج خالد حتى قدم عليهم فبعث الركبان يضربون في كل وجه ويدعون الى الاسلام ويقولون : أيها الناس اسلموا تسلموا . فاسلم الناس ودخلوا فيما يدعو اليه ، فاقام فيهم خالد يعلمهم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه ﷺ وبذلك كان أمره رسول الله ﷺ ان هم أسلموا ولم يقاتلوا ، ثم كتب خالد ابن الوليد رضى الله عنه الى رسول الله ﷺ : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد النبى

رسول الله ﷺ من خالد بن الوليد السلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته فانى أحمد اليك الله الذى لااله الا هو ، اما بعد يارسول الله صلى الله عليك فانك بعثتنى الى بنى الحارث ابن كعب وأمرتنى اذا أتيتهم ان لاأقاتلهم ثلاثة ايام وأن ادعوهم الى الاسلام فان اسلموا أقمت فيهم وقبلت منهم وعلمتهم معالم الاسلام وكتاب الله وسنة نبيه وان لم يسلموا قاتلتهم ، وانى قدمت عليهم فدعوتهم الى الاسلام ثلاثة ايام كما أمرنى رسول الله ﷺ وبعثت فيهم ركبانا قالوا يابنى الحارث أسلموا فأسلموا ولم يقاتلوا وأنا مقيم بين اظهرهم آمرهم بما امرالله به وانهاهم عما نهاهم الله عنه وأعلمهم معالم الاسلام وسنة النبي ﷺ حتى يكتب الى رسول الله والسلام عليك يارسول الله ورحمة الله وبركاته : فكتب اليه رسول الله ﷺ « بسم الله الرحمن الرحيم من محمد النبي رسول الله الى خالد بن الوليد سلام عليك فانى أحمد اليك الله الذي لاآله الاهو أما بعد فكتابك جاءنى مع رسولك تخبران بنى الحارث بن كعب قد أسلموا قبل ان تقاتلهم وأجابوا الى مادعوتهم اليه من الاسلام وشهدوا أن لا إله الاالله وأن محمدا عبدالله ورسوله وأن قدهداهم الله بهداه فبشرهم وأنذرهم وأقبل وليقبل معك وفدهم والسلام عليك ورحمة الله وبركاته » فأقبل خالد الى رسول الله ﷺ وأقبل معه وفد بنى الحارث بن كعب منهم قيس بن الحصين ذوالغصة ، ويزيد بن عبدالمدان ، وعمرو بن

عبدالله الضبابى ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ فرآهم قال « من هؤلاء القوم الذين كأنهم رجال الهند ؟ » قيل يارسول الله هؤلاء رجال بنى الحارث بن كعب ، فلما وقفوا على رسول الله ﷺ سلموا عليه وقالوا نشهد أنك رسول الله وأنه لا إله الا الله قال رسول الله ﷺ « وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وانى رسول الله » ثم قال رسول الله ﷺ « انتم الذين اذا زجروا استقدموا » فسكتوا فلم يراجعه أحد ، ثم اعادها الثانية فلم يراجعه منهم أحد ، ثم اعادها الثالثة فلم يراجعه منهم أحد ، ثم اعادها الرابعة فقال يزيد بن عبدالمدان نعم يارسول الله نحن الذين اذا زجروا استقدموا قالها أربع مرار ، فقال رسول الله ﷺ « لو أن خالد المَ يكتب الي أنكم أسلمتم ولم تقاتلوا لالقيت رؤسكم تحت أقدامكم » فقال يزيد بن عبدالمدان : أما والله ما حمدناك ولا حمدنا خالداً . قال « فمن حمدتم » قالوا : حمدنا الله عزوجل الذي هدانا بك يا رسول الله ، قال « صدقتم » ثم قال رسول الله ﷺ « بم كنتم تغلبون من قاتلكم فى الجاهلية ؟ » قالوا لم نكن نغلب أحدا قال « بلى قد كنتم تغلبون من قاتلكم » قالوا كنا نغلب من قاتلنا يارسول الله انا كنا نجتمع ولا نتفرق ولا نبدأ أحدا بظلم . قال « صدقتم » وأمر رسول الله ﷺ على بنى الحارث بن كعب قيس بن الحصين فرجع وفد بنى الحارث الى قومهم فى بقية شوال فلم يمكثوا بعدان رجعوا الى قومهم الا اربعة اشهر حتى توفى

رسول الله ﷺ وكان رسول الله ﷺ قد بعث اليهم بعد ان ولى وفدهم عمرو بن حزام ليفقههم فى الدين ويعلمهم السنة ومعالم الاسلام ويأخذ منهم صدقاتهم وكتب له كتابا عهد اليه فيه عهده وأمره فيه بأمره وهو « بسم الله الرحمن الرحيم هذا بيان من الله ورسوله يا أيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود عهد من محمد النبي رسول الله لعمرو بن حزام حين بعثه الى اليمن آمره بتقوى الله فى أمره كله فان الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون وآمره ان يأخذ بالحق كما أمره الله وأن يبشر الناس بالخير ويأمرهم به ويعلم الناس القرآن ويفقههم فيه وينهى الناس فلا يمس القرآن انسان الا وهو طاهر، ويخبر الناس بالذى لهم والذى عليهم ويلين فى الحق ويشتد عليهم في الظلم فان الله كره الظلم ونهي عنه فقال الا لعنة الله على الظالمين ، ويبشر الناس بالجنة وبعملها ، وينذر الناس النار وعملها ، ويستألف الناس حتى يفقهوا فى الدين ، ويعلم الناس معالم الحج وسنته وفريضته وما أمر الله به والحج الاكبر الحج الأكبر ، والحج الاصغر هو العمرة ، وينهى الناس أن يصلى أحدهم فى ثوب واحد صغير الا ان يكون ثوبا يثنى طرفيه على عاتقه ، وينهي الناس أن يحتبي أحدهم فى ثوب واحد يفضى بفرجه الى السماء ، وينهى أن لا يعقص أحد شعر رأسه فى قفاه ، وينهي اذا كان بين الناس هيج عن الدعاء الى القبائل والعشائر وليكن دعواهم الى الله عزوجل وحده لاشريك له فمن لم يدع

الى الله ودعا الى القبائل والعشائر فليقطعوا بالسيف حتى يكون دعواهم الى الله وحده لاشريك له، ويأمر الناس باسباغ الوضوء وجوههم وأيديهم الى المرافق وأرجلهم الى الكعبين ويمسحون برؤسهم كما أمرهم الله ،وأمر بالصلاة لوقتها ، واتمام الركوع والسجود والخشوع ويغلس بالصبح ، ويهجر بالهاجرة حين الشمس ، وصلاة العصر والشمس فى الارض مدبرة ، والمغرب حين يقبل الليل لايؤخر حتى تبدو النجوم فى السماء ، والعشاء أول الليل ، وأمر بالسعى الى الجمعة اذا نودى لها والغسل عند الرواح اليها ، وآمر أن يأخذ من المغانم خمس الله ، وما كتب على المؤمنين فى الصدقة من العقار عشر ماسقت العين وسقت السماء ، وعلى ماسقى الغرب نصف العشر ، وفى كل عشر من الأبل شاتان ، وفى كل عشرين أربع شياه ، وفي كل أربعين من البقر بقرة ، وفى كل ثلاثين من البقر تبيع جذع أو جذعة ، وفى كل أربعين من الغنم سائمة واحدها شاة فانها فريضة الله التى افترض على المؤمنين فى الصدقة ، فمن زاد خيرا فهو خيرله ، وانه من أسلم من يهودي أو نصراني اسلاما خالصا من نفسه ودان بدين الاسلام فانه من المؤمنين له مثل مالهم وعليه مثل ما عليهم ، ومن كان على نصرانيته أو يهوديته فانه لايردعنها ؛ وعلى كل حالم ذكر أو أنثى حر أوعبد دينار واف أو عوضه ثيابا فمن أدي ذلك فان له ذمة الله وذمة رسوله ومن منع ذلك فانه عدو لله ولرسوله وللمؤمنين جميعا ،

صلوات الله على محمد والسلام عليه ورحمة الله وبركاته .

ان من تدبر هذا الكتاب الذي كتبه رسول الله ﷺ لعمر بن حزام يجده جامعا لمبادئ الاسلام من توحيد وعبادات ومعاملات وهو المبدأ الاساسى الذي يسير عليه أمراء الاسلام في معاملة أهل الكتاب الذين لايريدون الدخول فى الاسلام ويختارون البقاء على مذهبهم من يهودية ونصرانية وعدم اجبار أحد منهم أو اكراهه على الدخول فى دين الاسلام بالسيف كما يفتريه أعداء الاسلام على نبي الاسلام وأمراء الاسلام وأهل الاسلام ، ويظهر له جليا انهم على الله وعلى رسوله وعلى المسلمين كاذبون مفترون ، ويعلم علم اليقين أن الاسلام هو نور يستضيئ به عموم البشر ، وأن تشريعه أعدل تشريع على وجه الارض وذلك انه لم يفرض على كل شخص من أهل الكتاب في العام غير دينار واحد وهو لا يساوى اكثر من نصف جنيه ، واذا دفع ذلك الذمى الدينار يكون مصانا فى نفسه وأهله وولده وماله ومحمي من كل تعد أجنبي لايطالب بالدفاع عن نفسه وأهله وولده وماله اذا داهم العدو ، ولا يؤخذ منه فلس باسم حرب أو دفاع ، بل يبقى مصانا فى بيته مع أهله وذويه ، والمسلمون هم الذين يقومون بالدفاع عنهم مقابل ذلك الدينار الذى لا يساوى مثقال ذرة امام تلك الحماية العظمى ، فاذا قابلنا بين ذلك و بين ماهو جار على المسلمين اليوم من المستعمرين نجد ان المسلم الذي قد استعمرت بلاده يدفع

ثلث ايراده لمن استعمر بلاده باسم حماية أووصاية : أو احتلال ومع ذلك فلا يسلم فى حالة وقوع الحرب من سلب ماله بل وتجنيده وتجنيد اولاده وسوقهم كرها الى ميدان الوغي لالمصلحته بل لمصلحة المستعمر لبلاده باسم الدفاع عن وطنه المغتصب مع انه لاوطن له بل الوطن أصبح للمستعمر وهو مسخور لذلك المغتصب لبلاده . فليتأمل المنصف وليحكم بالحق بين حالة الاسلام فى قوته ، وبين حالة المستعمرين فى قوتهم ، حيث الامر ظاهر .

قدوم رفاعة بن زيد الجذامى الضبيبى

وفد على رسول الله ﷺ فى هدنة الحديبية قبل خيبر رفاعة بن زيد بن وهب الجذامى فى عشرة من قومه وأهدى لرسول الله ﷺ غلاما أسود يقال له (مدعم) وأسلموا وحسن إسلامهم ، وكتب له رسول الله ﷺ كتابا الى قومه وهو « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من محمد رسول الله ﷺ لرفاعة بن زيد انى بعثته الى قومه عامة ومن دخل فيهم يدعوهم الى الله والى رسوله فمن أقبل منهم ففي حزب الله وحزب رسوله ومن أدبر فله أمان شهرين » فلما قدم رفاعة على قومه أجابوا وأسلموا ثم ساروا الى الحرة حرة الرجاء ونزلوها .

وفد همدان

بعث رسول الله ﷺ خالد بن الوليد رضى الله عنه الى أهل اليمن يدعوهم الى الاسلام ، قال البراء : فكنت فيمن خرج مع خالد بن الوليد فأقمنا ستة أشهر ندعوهم الى الاسلام فلم يجيبوا ثم ان النبى ﷺ بعث على بن أبى طالب فأمره أن يقفل خالداً الا رجلا ممن كان مع خالد أن يعقب مع على فلما دنونا من القوم خرجوا الينا فصلى بنا على ثم صفنا صفا واحداً ثم تقدم بين أيدينا فقرأ عليهم كتاب رسول الله ﷺ فاسلمت همدان جميعا ، فكتب علي الى رسول الله ﷺ باسلامهم فلما قرأ رسول الله ﷺ الكتاب خر ساجداً ثم رفع رأسه فقال « السلام على همدان ، السلام على همدان » مرتين ثم قدم وفد همدان على رسول الله ﷺ منهم مالك بن نمط وأبو ثور وهو ذوالمشعار ومالك بن أيفع ، وضمام بن مالك السلمانى ، وعمير بن مالك الخارفى ، ونمط بن قيس ، فلقوا رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات — وهي الثياب المخططة من برد اليمن — والعمائم العدنية — نسبة الى عدن — برجال الميس على المهرية — الرواحل المهرية نسبة الى قبيلة مهرة باليمن — والأرحبية . ومالك بن نمط يرتجز .

اليك جاوزنا سواد الريف فى هبوات الصيف والخريف
مخطمات بحبال الليف

فقام مالك بن نمط بين يدى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله نصيت من همدان من كل حاضر وباد، أنوك على قلص نواج، متصلة بحبائل الاسلام ، لاتأخذهم فى الله لومة لائم ،من مخلاف ،خارف ويام شاكر، أهل السواد والقود ،اجابوا دعوة الرسول،وفارقوا آلهات الانصاب، عهدهم لا ينقض ،ما اقامت لعلع،وماجرى اليعفور بصلع . فكتب لهم رسول الله ﷺ كتابا فيه « بسم الله الرحمن الرحيم هذا كتاب من رسول الله محمد ﷺ لمخلاف خارف وأهل جناب الهضب وحقاف الرمل مع وافدها ذى المشعار لمالك بن نمط، ومن أسلم من قومه على انهم فراعها ووها طهاما أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة يأكلون علافها ويرعون عافيها لهم بذلك عهد الله وذمام رسوله وشاهدهم المهاجرون والأنصار » فقال فى ذلك مالك بن نمط .

ذكرت رسول الله فى فخمة الدجا ونحن باعلى رحرحان وصلدد
وهن بنا خوص طلائح تعتلى بركبانها فى الاحب متمدد
على كل فتلاء الذراعين جسرة تمر بنا مر الهجيف الخفيدد
حلفت برب الراقصات الى منى صوادر بالركبان من هضب قردد
بأن رسول الله فينا مصدق رسول أتى من عند ذي العرش مهتدي
فما حملت من ناقة فوق رحلها اشد على أعدائه من محمد
وأعطى اذا ماطالب العرف جاءه وأمض بحد المشرفى المهندي

فقال رسول الله ﷺ « نعم الحي همدان ماأسرعها الى النصر وأصبرها على الجهد » .

وفد تجيب

تجيب قبيلة من كندة وكندة قبيلة من حضرموت كما قال ابن خلدون فى تاريخه وقال القلقشنده فى نهاية الارب : وكان لكندة ملك بالحجاز واليمن ، وفد على رسول الله ﷺ وفد تجيب وكانوا ثلاثة عشر رجلا وقد ساقوا معهم صدقات أموالهم التى فرض الله عليهم فسر رسول الله ﷺ بهم وأكرم مثواهم فقالوا يارسول الله انا سقنا اليك حق الله فى أموالنا . فقال رسول الله ﷺ « ردوها فأقسموها على فقرائكم » قالوا يارسول الله ماقدمنا عليك الا بما فضل عن فقرائنا . قال أبو بكر الصديق رضى الله عنه : يارسول الله ماقدم علينا وفد من العرب مثل هذا الوفد . فقال رسول الله ﷺ « ان الهدى بيد الله عزوجل فمن اراد به خيرا شرح صدره للايمان » وجعلوا يسألونه عن القرآن والسنن ، فازداد رسول الله ﷺ فيهم رغبة وارادوا الرجوع الى أهليهم فقيل لهم مايعجلكم قالوا نرجع الى من وراءنا فنخبرهم برؤية رسول الله ﷺ وتلاقينا اياه وماورد علينا ، ثم جاؤا الى رسول الله ﷺ فودعوه فأرسل اليهم بلالا فأجازهم

بأرفع ما كان يجيزبه الوفود ، ثم قال لهم رسول الله ﷺ « هل بقى منكم أحد؟ » قالوا غلام خلفناه على رحالنا وهو أحدثنا سنا . قال « فأرسلوه الينا » فأرسلوه فأقبل الغلام حتى أتي رسول الله ﷺ وقال : يارسول الله أنا من الرهط الذين أتوك آنفا فقضيت حوائجهم فاقض حاجتى ؟ قال له ﷺ «وما حاجتك ؟» قل تسأل الله عزوجل ان يغفرلى ويرحمنى ويجعل غنانى فى قلبي . فقال رسول الله ﷺ «اللهم اغفرله وارحمه واجعل غناه فى قلبه» ثم امر له ﷺ بمثل ما أمر به لرجل من اصحابه ثم انهم بعد وافوا رسول الله ﷺ بمنى فى الموسم الا ذلك الغلام فقال لهم رسول الله ﷺ « مافعل الغلام الذى أتانى معكم ؟ » قالوا يارسول الله مارأينا مثله قط ولاحدثنا بأقنع منه بما رزقه الله لو أن الناس أقتسموا الدنيا مانظر نحوها ولا التفت اليها ، فقال رسول الله ﷺ « الحمد لله اني لأرجوأن يموت جميعاً » فقال رجل منهم : أوليس يموت الرجل جميعاً يارسول الله ؟ فقال رسول الله ﷺ « تشعب أهواؤه وهمومه فى أودية الدنيا فلعل الأجل يدركه فى بعض تلك الاودية فلا يبالى الله عزوجل في ايها هلك » ولما توفى رسول الله ﷺ ورجع من أهل اليمن عن الاسلام قام ذلك الغلام فى قومه فذكرهم الله والاسلام فلم يرجع منهم أحد وجعل ، أبو بكر الصديق رضى الله عنه يذكر ذلك الغلام و يسأل عنه ولما بلغه ماقام به كتب الى زياد بن الوليد والى حضرموت يوصيه به خيراً

وفد بنى ثعلبة

وفد على رسول الله ﷺ مرجعه من الجعرانة ، أربعة نفر من بنى ثعلبة وهم مقرُّون بالاسلام فاذا رسول الله ﷺ قدخرج من بيته ورأسه يقطر ماء قال بعضهم : فرمى ببصره الينا فاسرعنا اليه وبلال يقيم الصلاة فسلمنا عليه وقلنا يارسول الله انا رسل من خلفنا من قومنا ونحن مقرون بالاسلام وقد قيل لنا ان رسول الله ﷺ يقول لا اسلام لمن لا هجرة له ، فقال رسول الله ﷺ « حيثما كنتم واتقيتم الله فلا يضركم » ثم صلى رسول الله ﷺ بنا الظهر ثم انصرف الى بيته فلم يلبث أن خرج الينا فدعا بنا فقال « كيف بلادكم ؟ » فقلنا مخصبون فقال الحمد لله فأقمنا أياما وضيافته ﷺ تجرى علينا . ثم لما جاؤا يودعونه ﷺ قال لبلال أجزهم فاعطى كل واحد منهم خمس أواق فضة — والأوقية أربعون درهما —

وفد بني سعد هذيم من قضاعة

عن النعمان رضى الله عنه قال قدمت على رسول الله ﷺ وافدا فى نفر من قومي وقد اوطأ رسول الله ﷺ البلاد وجعلها موطأة واستولى على العرب والناس صنفان امامداخل فى الاسلام راغب فيه ، واما خائف فنزلنا ناحية من المدينة ثم خرجنا نؤم المسجد حتى انتهينا الى بابه فنجد

رسول الله ﷺ يصلى على جنازة في المسجد فقمنا خلفه ناحية ولم ندخل مع النـاس فى صلاتهم وقلنا حتى يصلى رسول الله ﷺ ونبايعه ، ثم انصرف رسول الله ﷺ فنظر الينا فدعا بنا فقال « ممن أنتم ، » فقلنا من بنى سعد هذيم ، فقال « أمسلمون أنتم » قلنا نعم ، قال « هلا صليتم على أخيكم ؟ » قلنـا يارسول الله ظننا ان ذلك لايجوز لناحتى نبايعك ، فقال رسول الله ﷺ « اينما أسلمتم فانتم مسلمون » قال فاسلمنا وبايعنا رسول الله ﷺ بايدينا على الاسلام ثم انصرفنا الى رحالنـا وقد كنا خلفنا عليها أصغرنا فبعث رسول الله ﷺ في طلبنا فأتى بنا اليـه فتقدم صاحبنا فبايعه ﷺ على الاسلام فقلنا يارسول الله أنه اصغرنا وانه خادمنا فقال ﷺ « سيد القوم خادمهم بارك الله عليه » قال النعمان رضى الله عنه فكان والله خيرنا وأقرأنـا للقرآن لدعاء رسول الله ﷺ له ثم أمره رسول الله ﷺ علينا فكان يؤمنا ولما أردنا الانصراف أمر بلالا فاجازنا باواق من فضة لكل رجل منا فرجعنا الى قومنا فرزقهم الله الاسلام .

وفد بنى فزارة

لما رجع رسول الله ﷺ من تبوك قدم عليه وفد بنى فزارة بضعة عشر رجلا فيهم خارجة بن الحصين ، والحسن بن قيس ابن أخى عيينة بن حصن وهو أصغرهم . وبنو فزارة هم من ذبيان من قبائل غطفان (مطير)

من العدنانية قال فى العبر : كانت منازل فزارة بنجدو وادى القرى فنزلوا فى دار بنت الحارث وجاؤا رسول الله ﷺ مقرين بالاسلام وهم مسنتون — مجدبون — على ركاب عجاف — هزال — فسأل رسول الله ﷺ عن بلادهم فقال أحدهم وهو خارجة : أسنتت بلادنا ، وهلكت مواشينا ، وجدب جنابنا وغرث عيالنا — جاعت — فادع لنا ربك يغيثنا وأشفع لنا الى ربك وليشفع لنا ربك اليك ، فقال رسول الله ﷺ « سبحان الله ويلك هذا انما شفعت الى ربى عزوجل فمن الذى يشفع ربنا اليه لا اله الا هو العظيم وسع كرسيه السموات والأرض فهى تئط من عظمته وجلاله كما تئط الرحل الحديد » وقال رسول الله ﷺ « ان الله عزوجل ليضحك من شفقكم وازلكم وقرب غياثكم » فقال الأعرابى يارسول الله ويضحك ربنا عزوجل ؟ قال (نعم) فقال الأعرابى لن يعدمك من رب يضحك خيراً . فضحك النبي ﷺ من قوله وصعد المنبر فتكلم بكلمات وكان لايرفع يديد فى شئ من الدعاء الارفع الاستسقاء فرفع يديد حتى رؤى بياض أبطيه وكان مما حفظ من دعائه « اللهم اسق بلادك وبهائمك وانشر رحمتك وأحي بلادك الميت أللهم اسقنا غيثا مغيثا مريحا مريعا طبقا واسعا عاجلا غير أجل نافعا غير ضار اللهم سقيا رحمة لاسقيا عذاب ولاهدم ولاغرق ولامحق اللهم اسقنا الغيث وانصرنا على الاعداء » كذا رواه ابن القيم في زاد المعاد .

والذى يلفت النظر هنا قول خارجة ابن الحصين الفزارى لرسول الله ﷺ (وليشفع لمار بك اليك) فانكر عليه رسول الله ﷺ ذلك القول واعلم انه قول باطل لايجوز التلفظ به لان الله سبحانه وتعالى هو القاهر فوق عباده وهو الشفوق على خلقه واليه المشتكي واليه وباذنه تشفع الرسل ، عنده وعليه فينبغي لكل مسلم اذا رأي خطأ من بعض الناس ان يرده الى الصواب وينبهه عن خطئه ولايتركه يسبح فى جهله ، واذا وجده ضالا معاندا لا يريد الحق فليشهر أمره بين الناس ويظهر مضاره ويرد عليه جهادا حتى لايتعدى تضليله الى الغير وليحذر الناس شره حيث السكوت على أمثال هؤلاء مضر بالعقائد الاسلامية وتضليل لبسطاء الناس ، لكونهم يعتقدون ان كل قول لم ينبه عليه جائز ، ولذلك نجد كثيرا من أقوال العوام ماهو مغاير للعقائد الاسلامية ولم نجد أحدا من العلماء تصدى لتعليمه أو لتصحيح قوله أو للتنبيه على أن أمثال هذه الاقوال باطلة ولايجوز التكلم بها ، وهذا السكوت جعل البسطاء من العوام يعتقدون ان ما يتفوهون به من تلك الالفاظ المغايرة للعقائد الدينية جائزة ، بل وانها من الدين ، لانهم ما وجدوا من أرشدهم الى الصواب . فلا حول ولا قوة الا بالله .

وفد بني أسد

وفد على رسول الله ﷺ رهط من بنى أسد منهم ضرار بن الازور، وسلمة بن حبيش، وقتادة بن القائف، وابو مكعب، ووابصة بن معبد وطلحة بن عبدالله الذى ادعى النبوة بعد ذلك ثم أسلم وحسن اسلامه، ومعاذة بن عبد الله بن خلف، وحضرمى بن عامر، وبنو أسدهم من خزيمة بن مدركة بن الياس يمت نسبهم الى عدنان، قال في العبر كانت منازلهم بارض نجد فى مجاورة طى عند جبلى (اجا، وسلمى) التى صار اسم ذلك الاقليم اليوم (حايل) وكان رسول الله ﷺ جالسا فى المسجد مع أصحابه فسلموا عليه فقال شخص منهم يا رسول الله صلى الله عليك وسلم أشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له وانك عبده ورسوله وجئناك يارسول الله ولم تبعث الينا بعثا ونحن لمن وراءنا، وقال حضرمى بن عامر أتيناك نتدرع الليل البهيم فى سنة شهباء ذات قحط ولم تبعث الينا وأسلمنا ولم نقاتلك كما قاتلك العرب فأنزل الله على رسوله ﷺ ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ وسألوه ﷺ عما كانوا يفعلونه فى الجاهلية من (العيافة) وهى زجر الطير والتخرص على الغيب و (الكهانة) وهى

الأخبار عن الكائنات فى المستقبل وضرب الحصباء ، فنهاهم ﷺ عن ذلك ، فقالوا يارسول الله بقيت خصلة قال « ماهي » قالوا (الخط) وهو خط الرمل ومعرفة مايدل عليه ، قال ﷺ « علمه نبى فمن صادف مثل علمه علم » وفى رواية لمسلم « فمن وافق خطه فذاك والا فلا » وأقاموا أياما يتعلمون الفرائض ثم جاؤا رسول الله ﷺ فودعوه وأمرلهم بجوائز ثم انصرفوا الى اهليهم وقد استهدى رسول الله ﷺ من معاذة بن عبدالله بن خلف ناقة تكون جيدة للركوب والحلب من غير أن يكون لها ولدمعها فطلبها اى بحث معاذة عنها فلم يجدها الا عند ابن عم له فجاء بها الى رسول الله ﷺ فحلبها فشرب منها ثم سقاه ثم قال « اللهم بارك فيها وفيمن منحها » فقال يارسول الله وفيمن جاء بها فقال « وفيمن جاء بها » هذا ماكان من أمر وفد بنى أسد ثم لما سألوا رسول الله ﷺ عن (العيافة) و (الكهانة) نهاهم عنها وذلك لأنه لايعلم الغيب الا الله ، ولا يزال هذا الامر قديما وحديثا يستعمله كثير من الناس فبعضهم يعتقد وقوعه ، و بعضهم يتفاءل به ، وأما أهل اليقين من الناس فلا يرفع له رأسا ، ولا يعيره التفاتة لأنه خيال لاحقيقة له ، وقد ألف فى هذا الفن كثير من الناس ، وله سوق رائج عند أهل الاوهام من الناس وأصحاب الوسوسة ويجادلون فى صحة وقوعه ، ومن المستحيل أقناعهم لاعقلا ولا نقلا ، ولم يكن ذلك خاصا بالمسلمين أو باهل الشرق ، بل له عند أهل الغرب من الافرنج

قبولا ورواجا أعظم مماهوعندالشرقين، ولهم فيه تصانيف عديدة، وسوقه أشد رواجا عندهم ، وكأن هذا الفن ملازم لجميع العصور ، والطبقات ، والشعوب ، والملل ، والنحل ، غير ان لكل زمان ولكل أمة فيه صفة ، وصيغة وشكل وطريقة خاصة تتلائم مع تلك العصور .

وفد بني عذرة

قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عذرة فى صفر سنة تسع اثنا عشر رجلا فيهم جمرة بن النعمان فقال رسول الله ﷺ «من القوم» فقال متكلمهم من لاتنكره نحن بنوعذرة أخوة قصى لأمه نحن الذين عضدوا قصيا وأزاحوا من بطن مكة خزاعة وبنى بكر ولنا قرابات وأرحام ،قال رسول الله ﷺ « مرحبا بكم وأهلا ماأعرفنى بكم » فأسلموا وبشرهم رسول الله ﷺ بفتح الشام وهرب هرقل الى ممتنع من بلاده ونهاهم رسول الله ﷺ عن سؤال الكاهنة ، وعن الذبائح التى كانوا يذبحونها ، وأخبرهم ان ليس عليهم الا الأضحية ،فاقاموا اياما بدار رملة ثم انصرفوا وقد أجيز واكسى احدهم بردة .

جاء فى هذه القصة نهي النبي ﷺ عن سؤال الكاهنة ، وعن الذبائح اما الذبائح فجاءت مطلقة سواء لصنم ، اولقبر ، اولاى شيء ، سوى الولائم ، والاضحية ، والهدى ، وهذه المسألة من المسائل التى ابتلى بها

كثير من الناس فى كل العصور قديما وحديثا ، والمانعون لها لا يزلون يشدون النكير على فاعلها ، وفاعلها يلتمس لنفسه عذرا بانه ماقصد بذبحها الا تقربا الى الله تعالى ، مع ان ظاهر فعله يدل على ان القصد غير الله تعالى وصار من الصعب تفهيمهم كثير من الناس ان ذلك يخالف الشريعة الاسلامية . فلاحول ولاقوة الا بالله .

وفد بهراء

قالت كريمة بنت المتداد سمعت أمي ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب تقول قدم وفد بهراء من اليمن على رسول الله ﷺ وهم ثلاثة عشر رجلا فأقبلوا يقودون رواحلهم حتى انتهوا الى باب المقداد ونحن فى منازلنا ببنى جذيلة فخرج اليهم المقداد فرحب بهم فانزلهم وجاءهم بجفنة من حَيْس قد كنا هيأناها قبل ان يحلوا لنجلس عليها ، فحملها المقداد وكان كريما على الطعام فأكلوا منها حتى نهلوا وردت الينا القصعة وفيها أكل فجمعنا تلك الأكل فى قصعة صغيرة ثم بعثنا بها الى رسول الله ﷺ مع سدرة مولاتي فوجدته فى بيت أم سلمة فقال رسول الله ﷺ « ضباعة ارسلت بهذه ؟ » قالت سدرة نعم يا رسول الله ، قال « ضحى » ثم قال « ما فعل ضيف أبي معبد ؟ » قلت عندنا . قالت فأصاب منها رسول الله ﷺ اكلا هو ومن معه فى البيت حتى لانهلوا واكلت معهم سدرة ثم

قال « اذهبي بما بقي الى ضيفكم » قالت سدرة فرجعت بما بقي في القصعة الى مولاتي قالت فاكل منها الضيف ما اقاموا نرددها عليهم وتفيض حتى جعل القوم يقولون يا ابا معبد انك لتنهلنا من احب الطعام الينا ما كنا نقدر على مثل هذا الا في الحين ، وقد ذكرنا ان الطعام ببلادكم انما هو العلق ونحوه ، ونحن عندك في الشبع . فاخبرهم ابو معبد بخبر رسول الله ﷺ انه اكل منها اكلا ثم ردها فهذه بركة اصابع رسول الله ﷺ فجعل القوم يقولون نشهد انه رسول الله وازدادوا يقينا وذلك الذى أراد رسول الله ﷺ . وتعلموا الفرايض واقاموا أياما ثم جاؤا رسول الله ﷺ يودعونه وامرلهم بجوائزهم وانصرفوا الى اهلهم . كذا فى زاد المعاد ، وهذه القصة تعد من ضمن معجزاته ﷺ .

وفد بلى

قدم وفد بلى وهم من قضاعة على رسول الله ﷺ فى ربيع الاول من سنة تسع فانزلهم رويفع بن ثابت البلوى عنده وقدم بهم على رسول الله ﷺ وقال هؤلاء قومي ، فقال له رسول الله ﷺ « مرحبا بك وبقومك » فاسلموا وقال لهم رسول الله ﷺ « الحمدلله الذى هداكم للاسلام فكل من مات على غير الاسلام فهو فى النار » فقال له ابو الضبيب شيخ الوفد يارسول الله انى رجل فى رغبة فى الضيافة فهل لى في ذلك اجر؟

قال « نعم وكل معروف صنعته الى غنى او فقير فهو صدقة » قال يارسول الله ماوقت الضيافة ؟ قال « ثلاثة ايام فما كان بعد ذلك فهو صدقة ، ولايحل للضيف ان يقيم عندك فيحرجك » قال يارسول الله رايت الضالة من الغنم اجدها فى الفلاة من الارض ؟ قال « هى لك اولأخيك او للذئب » قال فالبعير ؟ قال « مالك وله دعه حتى يجده صاحبه » قال رويفع ثم قاموا فرجعوا الى منزلي فاذا رسول الله ﷺ يأتي منزلي يحمل تمرا فقال « استعن بهذا التمر » وكانوا يأكلون منه ومن غيره فأقاموا ثلاثا ثم ودعوا رسول الله ﷺ فأجازهم ورجعوا الى بلادهم .

جاء فى هذه القصة فضل الضيافة وكونها من اجل مكارم الاخلاق وذلك لانها من ضمن اسباب الروابط الاجتماعية ، حيث ان الانسان اذا اكرم ضيفه اوجد له عنده منزلة ومكانة ومودة لاينساها مدى الدهر ، ويرى المضاف نفسه انه مدين لمضيفه بماقلدبه عنقه من مكارم الاخلاق ، فتراه اذا كان من ذوي الاخلاق الفاضلة يترقب الفرص لاجل ان يقوم له بالمثل اوبافضل منه ، والضيافة هى من سنن الأمة العربية جاهلية واسلاما وهى من اجل مايتنافسون فيها ويتبارون عندها ، فلاتجد امة من الامم قديما وحديثا من يجاريهم فى ذلك ولهم فى الضيافة حوادث كثيرة سجلها لهم علماء الادب فى دواوينهم . وجاء في هذه القصة ايضا حكم الضالة من الغنم والابل ، فاعلمهم رسول الله ﷺ جواز اكل الضالة من الغنم لانه اذا تركها ولم

يستفد منها اكلها الذئب لان الذئاب والوحوش المفترسة لاتترك الشاة تمر امامهم بدون اقتناصها والتلذذ من لحمها ، ولذلك لا يمكن لصاحبها العثور عليها الا نادرا ، واما لو جاء صاحبها ووجد شاته عند رجل وجدها ضالة فله أخذها ، واما الابل فاعلمهم رسول الله ﷺ انها لاتحل لهم لانها قادرة على السير ولا يتسنى لذئب ان ينال منها شيأ فهي تبقى ضالة حتى يجدها صاحبها .

وفد بني مرة

وفد على رسول الله ﷺ وفد بنى مرة وهم ثلاثة عشر رجلا راسهم الحارث بن عوف فقال يارسول الله انا قومك وعشيرتك نحن قوم من بني لؤي بن غالب فتبسم رسول الله ﷺ وقال للحارث « اين تركت اهلك ؟ » فقال بسلاح وما والاها ، فقال « كيف البلاد ؟ » قال والله انا لمستنون ومافى المال مخ — راى صوت يردده — فادع الله لنا؟ فقال رسول الله ﷺ « اللهم اسقهم الغيث » فاقاموا اياما ثم ارادوا الانصراف الى بلادهم فجاؤا رسول الله ﷺ مودعين له فامر بلالا ان يجيزهم فأجاز كل واحد بعشرة اواق من الفضة ، وفضل الحارث بن عوف فأعطاه اثنى عشر أوقية ، ورجعوا الى بلادهم فوجدوا البلاد مطيرة فسألوا قومهم متى مطرتم ، فاذا هو ذلك اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ وأخصبت لهم بعد ذلك بلادهم .

وفد خولان

قدم على رسول الله ﷺ وفد خولان وهى قبيلة من اليمن فى شهر شعبان سنة عشر وهم عشرة فقالوا يارسول الله نحن على من وراءنا من قومنا ونحن مؤمنون بالله عزوجل ومصدقون برسوله وقد ضربنا اليك آباط الابل وقد ركبنا حزون الأرض وسهولها والمنة لله ولرسوله علينا وقدمنا زائرين لك ، فقال رسول الله ﷺ « أماما ذكرتم من مسيركم الي فان لكم بكل خطوة خطاها بعير أحدكم حسنة ، واما قولكم زائرين فانه من زارنى بالمدينة كان فى جواري يوم القيامة » قالوا يارسول الله هذا السفر الذي لاتوى على — التوى هلاك المال — ثم قال رسول الله ﷺ « مافعل عم أنس ، » وهو صنم خولان الذى كانوا يعبدونه ،قالوا أبشر بدلنا الله به ماجئت به وقد بقيت منا بقايا من شيخ كبير وعجوز كبيرة متمسكون به ولوقدمنا عليه لهدمناه ان شاء الله فقد كنا منه فى غرور وفتنة ، فقال لهم رسول الله ﷺ « وما أعظم مارايتم من فتنته ؟ » قالوا لقد رأيتنا اسنتنا حتى اكلنا الرمة فجمعنا ماقدرنا عليه وابتعنا به مائة ثور ونحرناها (لعم أنس) قربانا فى غداة واحد وتركناها تردها السباع ونحن أحوج اليها من السباع فجاءنا الغيث من ساعتنا ، ولقد رأينا العشب يواري الرجل ويقول قائلنا أنعم علينا (عم أنس) وذكروا لرسول

الله ﷺ ما كانوا يقسمون لصنمهم هذا من أنعامهم وحروثهم وانهم كانوا يجعلون من ذلك جزأله وجزأالله بزعمهم ، قالوا كنا نزرع الزرع فنجعل له وسطه فنسميه له ونسمي زرعا آخر حجرة الله فاذا مالت الريح فالذي سميناه لله جعلناه (لعم أنس) واذا مالت الريح فالذي جعلناه (لعم أنس) لم نجعله لله ، فذكر لهم رسول الله ﷺ أن الله أنزل على فى ذلك « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والانعام نصيبا فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل الى الله وما كان لله فهو يصل الى شركائهم ساء ما يحكمون» قالوا وكنا نتحاكم اليه ، فيتكلم فقال رسول الله ﷺ « تلك الشياطين تكلمكم » وسألوه عن فرائض الدين فأخبرهم وأمرهم بالوفاء بالعهد واداء الامانة وحسن الجوار لمن جاوروا وان لا يظلموا أحدا ثم قال ﷺ « فان الظلم ظلمات يوم القيامة » ثم ودعوه بعد أيام وأجارهم فرجعوا الى قومهم فلم يحلوا عقدة حتى هدموا (عم أنس) كذا فى زاد المعاد .

هذا ماذكر وفد خولان عن صنمهم (عم أنس) وما كانوا فيه من الضلال والبعث باموالهم نحوه ، ولما أن هداهم الله تعالى الى الاسلام ودخل الايمان فى قلوبهم آبوا الى رشدهم وهدموه بايديهم وعلموا انه لا يضر ولا ينفع ، بل ان ضرره كان عائداً عليهم من جهة الاعتقاد فيه من كونه إلهاً يعبد ، واذا تأمل الانسان فى هذه العقائد يظهر له انها مضرة بمعتقديها من عدة وجوه منها انهم يتركون عبادة

الخالق جل وعلا الذى بيده الامر كله و يعتقدون فى سواه من مخلوقاته النفع والضر ، ومنها ضياع الاموال فى سبيل الوهم والزيغ بما لا فائدة ترتجى منه ، وغير ذلك ، فقد جاء الاسلام هادما لكل ذلك ، وازال حجب الوهم عن معتنقيه ، وانارلهم السبيل الى مقر السعادة ومستودع الخير والفلاح ، واطلق مساعيهم من قيود الزيغ والوهم والضلال ، وجعلهم أئمة الهدي والصلاح ، حيث ان الاسلام هو نبراس الحقائق ، ومعراج السعادة ، وسبيل الهدى والرشاد ،

وفد محارب

قدم على رسول الله ﷺ وفد محارب عام حجة الوداع وهم كانوا أغلظ العرب وأفظهم على رسول الله ﷺ فى تلك المواسم أيام عرضه نفسه على القبائل يدعوهم الى الله وذلك قبل الهجرة كما جاء موضحا فى الجزء الأول من هذا المؤلف ، وبنو محارب هم بطن من هيب بن بهثة من سليم ، و(سليم) هم قبائل حرب الذين يقطنون نجد ومنازلهم شرق المدينة . فجاء منهم عشرة نائبين عمن وراءهم من قومهم فأسلموا ، وكان بلال يأتيهم بغداء وعشاء الى ان جلسوا مع رسول الله ﷺ يوما من الظهر الى العصر فعرف رجلا منهم يقال له خزيمة بن سواد فأمده النظر فلما رآه خزيمة يديم النظر اليه قال كأنك يا رسول الله توهمتنى ؟ قال

« لقد رايتك » قال خزيمة : اى والله لقد رايتنى وكلمتنى وكلمتك باقبح الكلام ،ورددتك بأقبح الرد (بعكاظ) وأنت تطوف على القبائل. فقال رسول الله ﷺ « نعم » ثم قال خزيمة : يارسول الله ما كان في اصحابى اشد عليك يومئذ ولا أبعد عن الاسلام منى فأحمد الله الذى ابقانى حتى صدقت بك ، ولقد مات اولئك النفر الذين كانوا معي على دينهم . فقال رسول الله ﷺ « ان هذه القلوب بيدالله عزوجل » فقال المحاربى يارسول الله استغفرلى من مراجعتى اياك ؟ فقال رسول الله ﷺ « ان الاسلام يجب ماكان قبله من الكفر » ومسح رسول الله ﷺ وجه خزيمة بن سواد فصارت له غرة بيضاء واجازهم كما يجيز الوفود ثم انصرفوا الى أهليهم .

فيعلم مما تقدم ان الانسان يخطئ الحق فى كثير من أعماله وهو محل الزيغ والزلل ، ولكنه اذا آب الى رشده وفطن للحق والصواب ينبغى عليه الاسراع اليه والتمسك به ، والتجرد مما كان فيه ، والاعتراف بما صدر منه ، والالتجاء الى الله تعالى والتقرب اليه بالعبادة وفعل الخير ، ولا يتمادى فى غيه وضلاله فان فيه الهلاك .

وفد صداء

قدم على رسول الله ﷺ وفد صداء وهم بطن من كهلان من القحطانية وصداء هو ابن يزيد بن حرب بن غلة، يمت نسبه الى كهلان ومنازلهم باليمن وسبب ذلك أنه لما انصرف رسول الله ﷺ من الجعرانة بعث بعوثا وهيأ بعثا استعمل عليه قيس بن سعد بن عبادة الانصاري رضى الله عنهما وقد عقد له لواء ابيض ودفع اليه راية سوداء وعسكر بناحية قناة فى أربعمائة من المسلمين وأمره ان يطأ ناحية من اليمن كان فيها صداء فقدم على رسول الله ﷺ زياد بن الحارث الصدائى وقد علم بالجيش فاتى رسول الله ﷺ فقال : يارسول الله جئتك وافدا على من ورائى فاردد الجيش وأنا لك بقومى . فرد رسول الله ﷺ قيس بن سعد من صدر قناة وخرج زياد الى قومه فقدم على رسول الله ﷺ خمسة عشر رجلا منهم فقال سعد بن عبادة رضى الله عنه يارسول الله دعهم ينزلوا علي فنزلوا عليه فحياهم واكرمهم وكساهم ثم راح بهم الى رسول الله ﷺ فبايعوه على الاسلام فقالوا نحن لك على من وراءنا من قومنا . قال زياد بن الحارث الصدائى فقال لى رسول الله ﷺ « ياأخا صداء انك لمطاع فى قومك ؟ » قال قلت : بلى يارسول الله من منّ الله عزوجل ومن رسوله . وكان زياد مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره قال زياد فاعتشى رسول الله ﷺ

— اى سار ليلا — واعتشينا معه وكنت رجلا قويا قال فجعل أصحابه يتفرقون عنه ولزمت غرزه — أى ركابه — فلما كان السحر قال « أذن ياأخا صداء » فاذنت على راحلتى ثم سرنا حتى ذهبنا فنزل لحاجته ثم رجع فقال « ياأخا صداء هل معك ماء ؟ » قال قلت معي شيء فى الاداوة . فقال « هات » فجئت به فقال « صب » فصببت مافى الاداوة في العقب فجعل أصحابه يتلاحقون ثم وضع كفه على الاناء فرايت بين كل أصبعين من من اصابعه عينا تفور ، ثم قال « يا أخا صداء لولا أنى أستحي من ربي عزوجل سقينا وأسقينا » ثم توضا وقال « أذن فى اصحابي من كانت له حاجة بالوضوء فليرد » قال فوردوا عن آخرهم ثم جاء بلال يقيم فقال «أن أخاصداء أذن ومن أذن فهو يقيم» فأقمت ثم تقدم رسول الله ﷺ فصلى بنا وكنت سألته قبل ان يؤمرنى على قومى ويكتب لى بذلك كتابا ففعل ، فلما فرغ من صلاته قام رجل يشتكي من عامله فقال يارسول الله أنه أخذنا بذحول — أى عداوة — كانت بيننا وبينه فى الجاهلية فقال رسول الله ﷺ « لاخير في الامارة لرجل مسلم » ثم قام آخر فقال يارسول الله أعطنى من الصدقة فقال رسول الله ﷺ « ان الله لم يكل قسمتها الى ملك مقرب ولا نبى مرسل حتى جزأها ثمانية أجزاء فان كنت جزأ منها أعطيتك وان كنت غنيا عنها فانما هي صداع فى الرأس وداء فى البطن » فقلت فى نفسى هاتان خصلتان حين سألت الامارة وأنا رجل

مسلم وسالته من الصدقة وأنا غني عنها ، فقلت يارسول الله هذان كتابا ك فاقبلهما فقال رسول ﷺ « أما ان الذى قلت كما قلت » فقبلهما رسول الله ﷺ ثم قال لى « دلنى على رجل من قومك استعمله؟ » فدللته على رجل منهم فاستعمله ، قلت يارسول الله ان لنا بئرا اذا كان الشتاء كفانا ماؤها واذا كان الصيف قل علينا فتفرقنا على المياه والاسلام اليوم فينا قليل ونحن نخاف فادع الله عزوجل لنافى بئرنا ؟ فقال رسول الله ﷺ « ناولنى سبع حصيات ؟ » فناولته فعركهن بيده ثم دفعهن الى وقل « اذا انتهيت اليها فالق فيها حصاة ، حصاة ، وسم الله » قال ففعلت فما ادركنا لها قعرا حتى الساعة . انتهى .

قال ابن القيم رحمه الله فى زاد المعاد عن المعجزة : والمعجزة الظاهرة بفوران الماء من بين أصابعه لما وضعها فيه أمده الله به وكثر حتى جعل يفور من خلال الأصابع الكريمة والجهال تظن انه كان يشق الاصابع ويخرج من خلال اللحم والدم وليس كذلك وانما بوضعه أصابعه الكريمة فيه حلت فيه البركة من الله والمدد فجعل يفور حتى خرج من بين الاصابع وقد جرى له هذا مرارا عديدة بمشهد أصحابه ، ثم قال ومنها جواز الوضوء بالماء المبارك وان بركته لا توجب كراهة الوضوء منه وعلى هذا فلا يكره الوضوء من ماء زمزم ولا من الماء الذى يجرى على ظهر الكعبة والله أعلم انتهى

وفد ملك حضرموت

وفد على رسول الله ﷺ وائل بن حجر بن ربيعة بن وائل بن يعمر الحضرمي ، يكنى ابا هنيدة ، كان قيلا من أقيال حضرموت وقد بشر رسول الله ﷺ أصحابه قبل قدومه وقال « ياتيكم وائل بن حجر من ارض بعيدة من حضرموت طائعاً راغبا فى الله ورسوله وهو بقية أبناء الملوك » فلما دخل عليه رحب به وادناه من نفسه وقرب مجلسه وبسط له ردائه فأجلسه عليه مع نفسه على مقعده وقال « اللهم بارك فى وائل وولده وولد ولده » فأسلم واستعمله النبى ﷺ على اقيال من حضرموت وكتب معه ثلاثة كتب منها كتاب الى المهاجر بن أبى أمية ، وكتاب الى الاقيال والعباهلة وأقطعه أرضا ، وأرسل معه معاوية بن ابى سفيان رضى الله عنه فخرج معاوية راجلا معه ووائل بن حجر على ناقته راكبا ، فشكا اليه معاوية حر الرمضاء فقال له انتعل ظل الناقة أى أستظل بظلها حال سيرك فقال له معاوية : ويغنى ذلك لوجعلتنى ردفك ؟ فقال وائل اسكت فلست من ارداف الملوك . وعاش وأئل بن حجر حتى ولى معاوية الخلافة فدخل عليه وائل بن حجر فعرفه معاوية وأذكره بذلك ورحب به وأجازه لوفوده عليه ، فابى من قبول جائزته وحبائه ، وأراد أن يرزقه فأبى من ذلك ، وقال يأخذه من هو أولى به منى فاني فى غنى عنه . وكان وائل

ابن حجر زاجرا احسن الزجر ، خرج يوما من عند زياد بالكوفة وأميرها المغيرة فرأى غرابا ينعق فرجع الى زياد فقال له يا ابا المغيرة هذا غراب يرحلك من هنا الى خير فقدم رسول معاوية من يومه الى زياد ان سر الى البصرة واليا . هذا مارواه الحافظ ابن عبد البر فى الاستيعاب . وزاد الحافظ ابن حجر فى الاصابة قال ابو نعيم أصعده رسول الله ﷺ على المنبر وأقطعه وكتب له عهداً وقال « هذا وائل سيد الافيال » ثم نزل وائل الكوفة وعقبه بها ومات وائل فى خلافة معاوية انتهى .

وفد غسان

قدم على رسول الله ﷺ وفد غسان فى شهر رمضان سنة عشر وهم ثلاثة نفر فأسلموا وقالوا لا ندري أتتبعنا قومنا أم لا وهم يحبون بقاء ملكهم وقرب قيصر ، فأجازهم رسول الله ﷺ بجوائز وانصرفوا راجعين فقدموا على قومهم فلم يستجيبوا لهم وكتموا اسلامهم حتى مات منهم رجلان على الاسلام وأدرك الثالث منهم عمر بن الخطاب رضى الله عنه عام اليرموك فلقى أبا عبيدة فخبره باسلامه فكان يكرمه .

وفد سلمان

سلمان — بطن من مراد من القحطانية وتنسب اليه ثلاثة بطون من العرب وهم الازد ، وطيء ، وقضاعة . وبنو سلمان بن يشكر بن ناجية بن مراد . فوفد منه على رسول الله ﷺ سبعة نفر من سلمان فيهم حبيب بن عمرو السلامانى وكان قدومه في شوال سنة عشر من الهجرة فأسلموا قال حبيب صادفنا رسول الله ﷺ خارجا من المسجد الى جنازة دعى اليها فقلنا السلام عليك يارسول الله فقال «وعليكم السلام ممن أنتم؟» قلنا نحن من سلامان قدمنا اليك لنبايعك علي الاسلام ونحن على من وراءنا من قومنا فالتفت ﷺ الى ثوبان غلامه فقال « أنزل هؤلاء » قال حبيب فقلت أى رسول الله ما أفضل الأعمال ؟ قال « الصلاة فى وقتها » ثم صلوا معه يومئذ الظهر والعصر ، قال فكانت صلاة العصر أخف من القيام فى الظهر ثم شكوا اليه جدب بلادهم فقال رسول الله ﷺ بيده « اللهم أسقهم الغيث في دارهم » فقلت يارسول الله أرفع يديك فانه أكثر وأطيب ، فتبسم رسول الله ﷺ ورفع يديه حتى رأيت بياض ابطيه ، ثم قام وقمنا عنه فاقمنا ثلاثا وضيافته تجرى علينا ، ثم ودعناه وأمر لنا بجوائز فاعطينا خمس أواق لكل رجل منا واعتذر الينا بلال وقال ليس عندنا اليوم مال. فقلنا ما أكثر هذا وأطيبه ثم رحلنا الى بلادنا فوجدناها

قد مطرت فى اليوم الذى دعا فيه رسول الله ﷺ فى تلك الساعة .

وفد بنى عبس

بنو عبس بطن من غطفان (مطير) وهم من العدنانية وعبس هو ابن بغيض بن ريث بن غطفان ، قال في العبر وليس بنجد الان أحد من بنى عبس . وقد قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى عبس وهم ثلاثة نفر فقالوا يارسول الله قدم علينا قراؤنا فأخبرونا أنه لا اسلام لمن لا هجرة له ، ولنا اموال ومواشي وهى معاشنا ، فان كان لا اسلام لمن لا هجرة له ، فلا خير فى اموالنا ومواشينا ، بعناها وهاجرنا عن آخرنا ، فقال رسول الله ﷺ « اتقوا الله حيث كنتم فلن يلتكم الله من أعمالكم شيأ » وسألهم رسول الله ﷺ عن خالد بن سنان هل له عقب . فأخبروه أنه لا عقب له كانت له ابنة فانقرضت وأنشأ رسول الله ﷺ يحدث أصحابه عن خالد بن سنان فقال « بنى ضيعه قومه »

وفد غامد

قدم على رسول الله ﷺ وفد غامد سنة عشر وهم عشرة فنزلوا حبقيع الغرقد وهو يومئذ أثل وطرفة ، ثم انطلقوا الى رسول الله ﷺ وخلفوا عند رحلهم أحدثهم سنا فنام عنه وأتى السارق فسرق عيبة لأحدهم

فيها أثواب له ، وانتهى القوم الى رسول الله ﷺ فسلموا عليه وأقروا له بالاسلام ، وكتب لهم كتابا فيه شرائع من شرائع الاسلام وقال لهم « من خلفتم في رحالكم ؟ » فقالوا أحدثنا سنا يارسول الله قال « فانه قد نام عن متاعكم حتى أتى آت فأخذ عيبة أحدكم » فقال رجل من القوم يارسول الله مالاحد من القوم عيبة غيرى ، فقال رسول الله ﷺ « فقد أخذت وردت الى موضعها » فخرج القوم سراعا حتى أتوا رواحلهم فوجدوا صاحبهم فسألوه عما أخبر رسول الله ﷺ قال فزعت من نومي ففقدت العيبة فقمت فى طلبها فاذا رجل قد كان قاعدا فلما رآنى صار يعدو منى فانتهيت الى حيث انتهى فاذا أثر حفر واذا هو قد غيب العيبة فاستخرجتها ، فقالوا نشهد أنه رسول الله ، فانه قد أخبرنا بأخذها وأنها قد ردت فرجعوا الى النبى ﷺ فأخبروه ، وجاء الغلام الذى خلفوه فأسلم ، وأمر النبى ﷺ أبى بن كعب فعلمهم قرآنا واجازهم كما كان يجيز الوفود وانصرفوا .

وقبيلة غامد هى من قبائل الحجاز ومنازلهم جنوب الطائف .

وفد الأزد

الازد هم حي من كهلان من القحطانية وهم من أعظم الاحياء واكثرها بطونا وقد قسم الجوهرى الأزد الى ثلاثة أقسام أحدها (أزد شنوءة) وهم بنو نصر وهو الملقب بشنوءة ، الثانى (أزد السراة) وهو

موضوع باطراف اليمن نزلت بهفرقة من الازد فعرفوا به ، الثالث (أزد عمان) باضافة ازد الى عمان ، وهى الواقعة بين حضرموت والاحساء . وقد قدم على رسول الله ﷺ وفد الازد وهم سبعة منهم سويد بن الحارث الأزدي قال سويد فلما دخلنا عليه وكلمناه أعجبه مارأى من سمتنا وزينا فقال « ماأنتم ؟ » قلنا مؤمنون ، فتبسم رسول الله ﷺ وقال « ان لكل قول حقيقة فما حقيقة قولكم وايمانكم ؟ » قلنا : خمس عشرة خصلة خمس منها أمرتنا بها رسلك أن نؤمن بها ، وخمس أمرتنا أن نعمل بها ، وخمس تخلقنا بها فى الجاهلية فنحن عليها الآن الا أن تكره منها شيأ ، فقال رسول الله ﷺ « وما الخمس التى أمرتكم بها رسلى أن تؤمنوا بها ؟» قلنا : امرتنا أن نؤمن بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسله ، والبعث بعد الموت ، قال « وما الخمس التى أمرتكم أن تعملوا بها ؟ » قلنا أمرتنا أن نقول لا إله الا الله ، ونقيم الصلاة ، ونؤتى الزكاة ، ونصوم رمضان ، ونحج البيت الحرام من استطاع اليه سبيلا ، فقال « وما الخمس التى تخلقتم بها فى الجاهلية ؟ » قالوا الشكر عند الرخاء ، والصبر عند البلاء ، والرضاء بمر القضاء ، والصدق فى مواطن اللقاء ، وترك الشماتة بالاعداء ، فقال رسول الله ﷺ « حكماء علماء كادوا من فقههم أن يكونوا انبياء » ثم قال رسول الله ﷺ « وانا أزيدكم خمسا فتتم لكم عشرون خصلة ان كنتم كما تقولون فلا تجمعوا مالا تأكلون ، ولا تبنوا مالا تسكنون ،

ولاتنافسوا فى شىء أنتم عنه غدا تزولون ، واتقوا الله الذى اليه ترجعون وعليه تعرضون ، وارغبوا فيما عليه تقومون وفيه تخلدون » فانصرف القوم من عند رسول الله ﷺ وحفظوا وصيته وعملوا بها . روى هذه القصة الحافظ ابن القيم في زاد المعاد ولم يعلق عليها لأن هذه العشرين الخصلة واضحة لا تحتاج الى بيان وتشريح بل الواجب على كل انسان أن يعمل بها ويثابر على فعلها الى الممات ويكون بذلك من أسعد الناس حياة وأرفعهم مكانة وأشرفهم موقعاً وأحسنهم عاقبة وأهنئهم عيشا وأعظمهم منزلة عند الله تعالى فى الدنيا الفانية ، والآخرة الباقية الخالدة .

وفد بنى المنتفق

قدم على رسول الله ﷺ لقيط بن عامر بن صبرة ونهيك بن عاصم بن المنتفق فوافا رسول الله ﷺ حين انصرافه من صلاة الغداة فقام فى الناس خطيبا فوعظ وأرشد وذكر البعث والنشور والجنة والنار — والحديث باكمله موضح فى زاد المعاد — ومنه قال لقيط يا رسول الله على م أبايعك ؟ فبسط ﷺ يده وقال « على إقام الصلاة وايتاء الزكاة وأن لا تشرك بالله شيأ » الحديث ، وهؤلاء القادمون هم وفد المنتفق من جهة العراق .

وفد بنى نهد

قدم على رسول الله ﷺ وفد بنى نهد ، ونهد بطن من قضاعة منزلهم اليمن فقالوا يارسول الله جئناك من غور تهامة — أى غرب تهامة — باكوار الميس — أي سرعة السير — ترمي بنا العيس — أى تسير سيراً عنيفا — وشكوا له جدب بلادهم فقال رسول الله ﷺ « اللهم بارك لبنى نهد فى محضها — اى الحليب — ومخضها — أي اللبن بعد اخراج زبدته — ومذقها — أي اللبن المخلوط بالماء — وابعث راعيها فى الدثر — اي المال الكثير — وافجر لهم الثمد — الماء القليل — وبارك لهم في المال والولد ، من اقام الصلاة كان مسلما ، ومن آتى الزكاة كان محسنا ، ومن شهد ان لا آله الا الله كان مخلصا ، لكم يابنى نهد ودائع الشرك — اي اموال المشركين — وضائع الملك لاتلطط — اى لاتمنع — فى الزكاة ولاتلحد فى الحياة — اى تميل — ولاتثاقل عن الصلاة انه كتب لكم فى الوظيفة العريضة ولكم الفارض والفريش — اي كبار الأبل وصغارها — وذوالعنان الركوب والفلو الضبيس لايمنع سرحكم ولا يعد طلحكم ولا يحبس دركم مالم تضمروا الرماق وتأكلوا الرباق — تخلعوا الاسلام من رقابكم — من اقر فله الوفاء بالعهد والذمة ، ومن ابى فعليه الربوة » اي زيادة في الفريضة الواجبة عقوبة عليه . وكان رسول الله ﷺ يخاطب كل وفد باصطلاحه اللغوى ويجيبهم

على مقتضى بلاغتهم فى ذلك ، ولذلك حصل التفاهم بينه و بين وفود العرب واقوامهم ودخلوا فى الاسلام افواجا ، افواجا الامن كان ذاحسد ، وعناد ، وغاية فاسدة ، فقد تفاهم معه بالسيف ، لانه لغة الحسود المعاند ، والفاسد الغادر ، والارعن المراوغ .

وفد النخع

النخع اسم قبيلة من اليمن وهم آخر الوفود . بعثت قبيلة النخع رجلين منهم الى رسول الله ﷺ باسلامهم وهما ارطاة بن شرحبيل من بنى حارثة ، والأرقم من بنى بكر ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ بايعاه بالاسلام عن قومهما واعجب رسول الله ﷺ شأنهما وحسن هيئتهما وقال لهما رسول الله ﷺ « هل خلفتما وراءكما من قومكما مثلكما ؟ » قالا : يارسول الله قد خلفنا وراءنا من قومنا سبعين رجلا كلهم افضل منا وكلهم يقطع الامر و ينفذ الاشياء مايشاء ، فدعا لهما رسول الله ﷺ ولقومهما بخير وقال « اللهم بارك فى النخع » وعقد ﷺ لارطاة لواء على قومه فعادا الى قومهما ثم قدم جمع كبير من النخع فى نصف المحرم سنة احدى عشرة وهم مائتا رجل فنزلوا دار الضيافة ثم جاؤا رسول الله ﷺ مقرين بالاسلام وقد كانوا بايعوا معاذ بن جبل رضى الله عنه فقال رجل منهم يقال له زرارة ابن عمرو يارسول الله انى رايت فى سفري هذا عجبا قال « ومارايت ؟ »

قال : اتانا تركتها في الحى كأنها والدت جديا اسفع احوى - اي اسود مشربا بحمرة — فقال له رسول الله ﷺ « هل تركت امة لك مصرة على حمل ؟ » قال نعم ، قال « فانها قد ولدت غلاما وهو ابنك » قال يارسول الله فمابالله اسفع احوى ؟ فقال « ادن منى » فدنا منه فقال « هل بك من برص تكتمه ؟ » قال والذي بعثك بالحق ماعلم به احد ولا اطلع عليه غيرك قال ﷺ « فهو ذلك » قال يارسول الله ورايت النعمان بن المنذر عليه قرطان مدملجان ومسكتان قال « ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه وبهجته » قال يارسول الله ورأيت عجوزا شمطاء قد خرجت من الارض قال « تلك بقية الدنيا » قال ورأيت ناراً خرجت من الأرض فحالت بينى و بين ابن لى يقال له عمرو وهى تقول لظى ، لظى ، بصير ، وأعمى ، أطعمونى ، آكلكلم وأهلكم ، ومالكم . قال رسول الله ﷺ « تلك فتنة تكون فى آخر الزمان » قال يارسول الله وما الفتنة قال « يقتل الناس امامهم و يشتجرون إشتجار اطباق الرأس » وخالف رسول الله ﷺ بين أصابعه ثم قال « يحسب المسئ فيها أنه محسن ويكون دم المؤمن عند المؤمن فيها أحلى من الماء ، ان مات ابنك أدركت الفتنة ، وان مت أنت أدركها ابنك » فقال يارسول الله أدع الله أن لا أدركها ؟ فقال رسول الله ﷺ « اللهم لا يدركها » فمات و بقى ابنه وكان ممن خلع عثمان بن عفان رضى الله عنه ثالث الخلفاء الراشدين .

فقوله ﷺ « ذلك ملك العرب رجع الى أحسن زيه و بهجته » قدوقع ذلك فعلا و بلغ ملك العرب شرقا بعض بلاد الصين وغربا اسبانيا، والبرتقال ، والمغرب الاقص، وشمالا الى بلونيا وماوراء النهر ، وجنوبا الى رأس الرجا الصالح (الكيب) ولما حاد العرب وعموم المسلمين عن الطريقة التى كان عليها سلف الاسلام تمزق ملكهم شر ممزق ، ولاشك أنهم اذاتمسكوا بمنهاج سيدالعرب وتتبعوا طريقه وسلكوا سبيله فسيرجع اليهم كل سؤدد ومجد وفخار وملك وسلطان فقدوه وكلما كان لآبائهم فى صدر الاسلام من عز ورفعه لأنهم بلاريب هم أحفاد أولئك الأبطال العظماء ، والأماجد الفضلاء ، الذين تربعوا فى دست الملك وأحسنوا سياسته ، واظهروا الملأ عدلا ما كانوا ليحلموا به والتاريخ أكبر شاهد على ذلك وسيأتى كل ذلك موضحا فى الاجزاء الآتية انشاءالله تعالى .

اسلام جرير بن عبد الله البجلى

كان اسلام سيد بجيلة أبو عبدالله جرير بن عبدالله البجلى الاحمسى فى رمضان سنة عشر من الهجرة و بجيلة قبيلة من انمار بن اراش من كهلان من القحطانية ، و بجيلة اسم أمهم غلب عليهم اسمها وهى بجيلة بنت صعب بن سعد العشيرة ، وكانت بلادهم مع اخوتهم خثعم فى (سروان اليمن و بالحجاز) ثم افترقوا ايام الفتح الاسلامى فى الافاق فلم يبق

منهم فى مواطنهم الا القليل . قال جرير رضى الله عنه بايعت رسول الله ﷺ على اقامة الصلاة ، وايتاء الزكاة ، والنصح لكل مسلم ، وعلى السمع والطاعة ، قال ماحجبنى رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآنى الا ضحك . وكان عمر رضى الله عنه يسميه يوسف هذه الامة لفرط جماله ، وكان طولا يقتحم فى ذروة البعير ، ومع تأخر اسلامه فقد أخذ فى نصر الاسلام بحظ وافر ، وكان رسول الله ﷺ يغزيه مرة ويبعثه أخرى فقال له رسول الله ﷺ « ياجرير الا تريحنى من ذى الخلصة » وهو بيت لخثعم من بلاد ، دوس كان يدعى كعبة اليمانية وكان يحجون اليه ويطوفون به ويبخرون عنده يشبهونه بالكعبة المشرفة ، والكعبة المشرفة تسمى الكعبة الشامية ، قال جرير فنفرت اليه في خمسين ومائة فارس وكنت لا أثبت على الخيل فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فضرب بيده فى صدرى وقال « اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا » قال ﷺ « فانطلق فحرقها بالنار » ثم بعث جرير الى رسول الله ﷺ رجلا يبشره يكنى أبا أرطاة فأتى رسول الله ﷺ فقال له يارسول الله ماجئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب فبارك رسول الله ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات ثم بعثه النبى ﷺ الى اليمن قبل موته فلقى بهاذا كلاع ، وذا عمرو ، قال جرير فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال لى ذوعمرو لئن كان الذى تذكره من أمر صاحبك لقدم على أجله منذ ثلاث ، قال

وأقبلا معى حتى اذا كنا فى بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة فسألناهم فقالوا قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون فقالا أخبر صاحبك اناقد جئنا ولعلنا سنعودان شاء الله ورجعا الى اليمن ، فأخبرت ابابكر بحديثهم قال ابو بكر افلا جئت بهم ؟ قال فلما كان بعد قال لى ذوعمرو ياجرير ان لك على كرامة وانى مخبرك خبرا انكم يامعشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم اذاما هلك أمير تأمرتم في آخر فاذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك ويرضون برضا الملوك . ولجرير بن عبد الله البجلى حوادث ذات شأن ستأتى فى الاجزاء الآتيه ان شاء الله تعالى مات جرير سنة أحدى وخمسين بقرقيسيا من الجزيرة .

بعثة أبى موسى ومعاذ
الى اليمن

بعث رسول الله ﷺ اباموسى الأشعرى ، ومعاذ بن جبل رضى الله عنهما ، الى اليمن قبل حجة الوداع كل واحد منهما على مخلاف وكان اليمن مخلافين ، والمخلاف الاقليم بلغة أهل اليمن ، ثم قال لهما رسول الله ﷺ « يسرا ولا تعسرا وبشرا ولاتنفرا » وقال ﷺ لمعاذ « انك ستأتى قوما أهل كتاب فاذا جئتهم فادعهم الى أن يشهدوا أن لا اله الا

الله وأن محمد رسول الله فاذاهم أطاعوا لك بذلك فأخبرهم ان الله قد فرض عليهم خمس صلوات كل يوم وليلة فاذاهم اطاعوا لك بذلك فأخبرهم انه قدفرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم فان هم أطاعوا لك بذلك فاياك وكرائم أموالهم واتق دعوة المظلوم فانه ليس بينها وبين الله حجاب » وأصل هذا الحديث فى البخارى وكانت جهة معاذ العليا الى صوب عدن ، وكانت جهة أبي موسى السفلى ، هكذا كانت وصاية رسول الله ﷺ لعماله ، وأمرائه ، وقواده ، يأمرهم باللين والعطف ، والانصاف ، وعدم الجحف على الرعية ، ولذلك استقام الحال واطاعت الامم لامراء المؤمنين ودخلت فى الاسلام أفواجا ابتغاء العدل ، والانصاف ، والمساواة ، فلو أن الأمر سار على ذلك السير لما تمزق شمل المملكة الاسلامية ولما سار المسلمون الى هذا التمزق ، اللهم ألهم المسلمين رشدهم .

بعثة أسامة بن زيد
الى الحرقات

بعث رسول الله ﷺ أسامة بن زيد الى الحرقات من جهينة ، قال أسامة فصبحنا القوم فهزمناهم ولحقت أنا ورجل من الانصار رجلا منهم فلما غشيناه قال « لا اله الا الله فكف الانصارى فطعنته برمحي حتى قتلته ، فلما قدمنا بلغ النبي ﷺ فقال « ياأسامة أقتلته بعد ما قال لا اله الا

الله ؟ » قلت كان متعوذا ، فما زال يكررها حتى تمنيت أني لم اكن أسلمت قبل ذلك اليوم ، هذه رواية البخارى . وفى سيرة سبيل الهدى والرشاد فقال له رسول الله ﷺ « فكيف تصنع بلا إله الا الله اذا جاءت يوم القيامة ؟ » قل : يارسول الله استغفر لى انما قالها خوفا من السلاح انما كان يتعوذ من القتل قال « افلا شققت عن قلبه حتى تعلم أصادق هو أم كاذب » قال أسامة فتمنيت انى لم أقتله فمن ذلك يعلم شدة حرص رسول الله ﷺ على دخول الناس فى الاسلام كافة سواء كانوا من الأقارب أو الأباعد أومن الاصدقاء أومن الأعداء وجل قصده ﷺ أن يدرأ القتل عن المقاتل اذا رؤى منه رغبة في الدخول فى الاسلام طوعا ولو باتتألف فلذلك اشتد على أسامة بن زيد لذى هوحب رسول الله ﷺ لأن الاسلام ماجاء الالمنع التعديات واخذ الخاطر وتأليف القلوب وجمعها على قول لااله الا الله محمد رسول الله وقد تكررت هذه الشدة منه على امرائه وقواده عندما تصدر غلطة منهم مثل ماوقع لخالد بن الوليد وغيره

بعثة على بن ابى طالب
الى اليمن

بعث رسول الله ﷺ علي بن ابى طالب رضى الله عنه الى اليمن فى شهر رمضان سنة عشر من الهجرة وعقد له لواء وعممه بيده الشريفة

قال علي رضى الله عنه فقلت يا رسول الله تبعثني الى قوم اسنّ منى وانا حديث السن لا أبصر القضاء ؟ قال علىّ : فوضع يده على صدرى وقال « اللهم ثبت لسانه واهد قلبه » ثم قال « ياعلى اذا جلس اليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر الحديث » فخرج علي رضى الله عنه فى ثلاثمائة فارس ففرق أصحابه فأتوا بنهب ، وغنائم ، ونساء ، واطفال ونعم ، وشاء ، وغير ذلك ، ثم لقي جمعهم فدعاهم الى الاسلام فأبوا ورموا بالنبل ثم حمل عليهم علي رضى الله عنه بأصحابه فقتل منهم عشرين رجلا فتفرقوا وانهزموا فكف عن طلبهم ، ثم دعاهم الى الاسلام فأسرعوا واجابوا وبايعه نفر من رؤسائهم على الاسلام ثم قفل فوافى النبى ﷺ بمكة قد قدمها للحج سنة عشر . روى ذلك احمد وابو داود والترمذي وفى سبيل الهدى والرشاد انه لما بايع على رضى الله عنه النفر من رؤسائهم قالوا : نحن على من ورائنا من قومنا وهذه صدقاتنا فخذ منها حق الله تعالى . وجمع على ما اصاب من تلك الغنائم فجزأها خمسة أجزاء ثم أقرع فكتب فى سهم منها لله فخرج اول السهام منهم الخمس وقسم على بقية اصحابه المغنم ولم ينفل احداً من الناس شيئاً ، وكان من كان قبله يعطون خيلهم الخاص دون غيرهم من الخمس ثم يخبرون رسول الله ﷺ بذلك فلا يرده عليهم ، فطلبوا ذلك من علىّ فأبى وقال : الخمس أحمله الى رسول الله ﷺ يرى فيه رأيه . واقام فيهم يقرئهم القرآن ويعلمهم الشرائع ،

وكتب الى رسول الله ﷺ كتابا مع عبد الله بن عمرو بن عوف المزنى يخبره الخبر ، فأتى رسول الله ﷺ فأمر رسول الله ﷺ أن يوافيه الموسم فانصرف عبد الله بن عمرو بن عوف الى علىّ رضى الله عنه بذلك فانصرف علي راجعاً فلما كان بالفتق تعجل الى رسول الله ﷺ يخبره الخبر ، وخلف على أصحابه وعلى الخمس ابا رافع فوافى رسول الله ﷺ بمكة قد قدمها للحج وكان فى الخمس ثياب من ثياب اليمن أحمال معكونة ونعم وشاء مما غنموا ونعم من صدقة أموالهم ، فسأل أصحاب علي ابا رافع أن يكسوهم ثيابا يحرمون فيها فكساهم منها ثوبين ثوبين ، فلما كانوا بالسدرة داخلين خرج على رضى الله عنه ليتلقاهم ليقدم بهم فرأى على أصحابه الثياب فقال لأبى رافع ما هذا فقال كلمونى ففرقت من شكايتهم وظننت ان هذا يسهل عليك وقد كان من قبلك يفعل هذا بهم ، فقال قد رأيت امتناعى من ذلك ثم أعطيتهم وقد امرتك أن تحتفظ بما خلفت فتعطيهم ونزع على الحلل منهم فلما قدموا على رسول الله ﷺ شكوه فدعا علياً فقال « ما لاصحابك يشكونك ؟ » قال ما أشكيتهم قسمت عليهم ماغنموا حبست الخمس حتى يقدم عليك فترى فيه رأيك ، فسكت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

حجة الوداع

هذه الحجة هي حجة رسول الله ﷺ بعد الهجرة الى المدينة الاولى والأخيرة وأما قبل الهجرة فكان يحج كل سنة مع قريش ويقف بعرفة ويفيض الى مزدلفة خلافا لمشركي قريش ، فانهم كانوا لايخرجون من حدود الحرم ويرون ان ذلك خاص بهم لكونهم أبناء ابراهيم ﷺ وأهل الحرم وولاة البيت وعاكفوا مكة فليس لأحد من العرب منزلتهم ، وأما باقي العرب فكانوا يقفون بعرفة .

وتسمى هذه الحجة حجة البلاغ ، وحجة الاسلام ، وحجة الوداع ، لانه ودع الناس فيها وذكرلهم مايحل ومايحرم وقال لهم هل بلغت . ولما أراد رسول الله ﷺ الحج أنذر الناس وخرج معه من المدينة من أصحابه أربعون الفا وتخلف أناس عنه لانهم اصيبوا بمرض الجدري فقال لهم ﷺ « عمرة في رمضان تعدل حجة معي » تطييبا لخواطرهم . واستخلف على المدينة ابادجانة الانصاري رضي الله عنه وكان خروجه يوم السبت لخمس بقين من شهر ذي القعدة سنة عشر من الهجرة فصلى الظهر بالمدينة وصلى العصر ركعتين بذي الحليفة — وهو الموضع الذي يسمى الحسا أو أبيار علي — وخرج معه كل نسائه التسع في الهوادج وبات بذي الحليفة وصلى بها صبح الاحد والظهر ثم دخل عند أم المؤمنين عائشة

رضى الله عنها فطيبته بنوع إسمه (ذريرة) وهو مجموع من أخلاط الطيب وفيه المسك ثم اغتسل ﷺ وأحرم فى ازار ، ورداء ، ولم يغسل الطيب بل كان يرى وبيص المسك فى مفارقه ولحيته الشريفة . ثم ركب راحلته (القصواء) وأهلَّ حيث انبعثت به راحلته وقال « اللهم اجعله حجاً مبروراً لا رياء فيه ولا سمعة » ثم استقبل القبلة وقال « لبَّيك اللهم لبَّيك لبَّيك لاشريك لك . لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك » والناس معه يزيدون فيها وينقصون ولا ينكر عليهم ، فكان عبدالله بن عمر رضى الله عنهما يزيد فيها : لبيك لبيك وسعديك والخير فى يديك ، لبيك والرغباء اليك والعمل : وامر أصحابه أن يرفعوا أصواتهم بالتلبية من شعائر الحج . وولدت أسماء بنت عميس زوج ابى بكر الصديق رضى الله عنه له محمداً فى ذي الحليفة . ثم توجه ﷺ فلما اتى العرج فقد البعير الذي عليه زاده وزاد ابي بكر ، وكان ذلك البعير مع غلام لابى بكر فقال ابو بكر رضى الله عنه للغلام اين بعيرك ؟ قال ضللته البارحة فقال ابو بكر وقد اعترته حدة : بعير واحد تضله؟ فضربه بالسوط فقال رسول الله ﷺ « انظروا الى هذا المحرم ما يصنع » ويتبسم لايزيد على ذلك . وبلغ بعض الصحابة أن زاملة رسول الله ﷺ ضلت فجاء بحيس ووضعه بين يديه ﷺ ، فقال ﷺ لأبى بكر رضى الله عنه وهو يغتاظ على الغلام « هون عليك يا ابا بكر فإن الامر ليس لك ولا الينا وقد كان

الغلام حريصاً على أن لا يضل بعيره ، وهذا غذاء طيب قد جاء الله به وهو خلف عما كان معه » فأكل ﷺ وابو بكر ومن كان يأكل معهما حتى شبعوا ثم أقبل صفوان بن المعطل رضي الله عنه وكان على ساقة القوم والبعير معه وعليه الزاد حتى اناخه على باب منزله ﷺ فقال رسول الله ﷺ لابي بكر « انظر هل تفقد شيئاً من متاعك ؟ » فقال : ما فقدت شيئاً إلا قعباً كنا نشرب فيه . فقال الغلام هذا القعب معى . ولما بلغ سعد ابن عبادة الانصاري و إبنه قيساً رضى الله عنهما ان زاملته ﷺ قد ضلت جاآ بزاملة وقالا : يا رسول الله بلغنا ان زاملتك ضلت الغداة وهذه زاملة مكانها . فقال رسول الله ﷺ « قد جاء الله بزاملتنا فارجعا بزاملتكما بارك الله لكما » ثم قدم رسول الله ﷺ مكة ونزل بذى طوى فبات بها تلك الليلة وصلى بها الصبح وأغتسل منها ثم سار ونزل بالمسلمين ظاهر مكة ودخل مكة نهارا وقت الضحي من الثنية العليا وهي كداء — وتسمى الان ربع الحجون — وكان ذلك يوم الأحد لأربع مضين من ذى الحجة بعد ان مضى عليه فى الطريق ثمانية أيام ، ودخل المسجد الحرام صباحا من باب عبد مناف وهو (باب بنى شيبة) وكان رسول الله ﷺ اذا أبصر البيت رفع يديه وقال « اللهم زد هذا البيت تشريفا وتعظيما ومهابة وبرا وزد من شرفه وكرمه ممن حجة أو اعتمره تشريفا وتكريما وتعظيما وبراً » فلما أتى باب المسجد أناخ راحلته ثم دخل المسجد

فبدأ بالحجر الاسود فاستلمه وفاضت عيناه بالبكاء ، ثم رمل ثلاثا ومشى أربعا ، فلما فرغ ﷺ قبل الحجر ووضع يديه عليه ومسح بها وجهه ، وقال « بسم الله والله اكبر » وكان اذا استلم الحجر يقول ذلك ، ولم يستلم الركنين الشاميين ، التى تلياحجر اسماعيل واستلم الركن اليمانى ، وقال بين الركن اليماني والحجر الأسود «ربنا آتنافى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقناعذاب النار» وقال لعمر بن الخطاب رضى الله عنه « انك رجل قوى لاتزاحم على الحجر ، تؤذى الضعيف ان وجدت خلوة فاستلمه والا فاستقبله وهلل وكبر » ثم أتى رسول الله ﷺ مقام ابراهيم عليه الصلاة والسلام فقرأ « واتخذوا من مقام ابراهيم مصلى » وجعل المقام بينه وبين الكعبة وصلى ركعتين قرأ فيهما مع أم القرآن — أى فاتحة الكتاب — قل يا أيها الكافرون ، وقل هو الله أحد ، ودخل ﷺ زمزم فنزع له دلو ، فشرب منه ثم مج فيه ثم أفرغها فى زمزم ثم قال « لولا ان الناس يتخذونه نسكا لنزعت » ثم رجع ﷺ الى الحجر الاسود فأستلمه ، ثم خرج الى الصفا وقرأ ﴿ان الصفا والمروة من شعائر الله﴾ ثم قال « أبدأ بما بدأ الله به » فبدأ بالصفا فرقى عليه حتى اذا رأى البيت فاستقبل القبلة فوحد الله وكبر وقال « لاإله الاالله وحده لاشريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شئ قدير ، لاإله الا الله وحده أنجز وعده ونصر عبده وهزم الاحزاب وحده » ثم دعا بين ذلك قال مثل هذا ثلاث مرات ، ثم نزل

الى المروة حتى انصبت قدماه في بطن الوادي حتى اذا صعد مشى حتى اذا أتى المروة فعل كما فعل على الصفا ، حتى اذا كان آخر طوافه على المروة قال « لو انى استقبلت من أمرى ما استدبرت لم اسق الهدى ولجعلتها عمرة فمن كان منكم ليس معه هدى فليحل وليجعلها عمرة » فقام سراقة بن مالك بن جعشم فقال : يارسول الله العامنا هذا أم للأبد ؟ فشبك رسول الله ﷺ أصابعه واحدة فى الأخرى وقال « دخلت العمرة فى الحج مرتين لا بل لأبد الأبد » وقدم على بن ابي طالب رضى الله عنه من اليمن ببدن رسول الله ﷺ فوجد فاطمة رضى الله عنها ممن حل ولبست ثيابا صبيغا واكتحلت ، فانكر ذلك عليها ، فقالت : أبى أمرنى بهذا : فذهب الى رسول الله ﷺ محرشا على فاطمة الذى صنعت مستفتيا لرسول الله ﷺ فيما ذكرت عنه وأخبره أنه أنكر ذلك عليها فقال ﷺ « صدقت ، ماذا قلت حين فرضت الحج ؟ » قال قلت « اللهم اني أهل بما أهل به رسولك » قال « فان معى الهدى فلا تحل » وكان جميع الهدى الذي قدم به علي من اليمن والذي أتى به رسول الله ﷺ مائة ، فحل الناس كلهم فحلقوا وقصروا الا النبى ﷺ ومن كان معه هدي ، وكان جملة من ساق الهدى أبا بكر ، وعمر ، وطلحة ، والزبير ، وعليا ،

فلما كان يوم التروية — وهو ثامن يوم من شهر ذى الحجة — توجهوا الى منى فاهلوا بالحج فركب النبى ﷺ فصلى بها الظهر ، والعصر ،

والمغرب ، والعشاء ، والفجر ، ثم مكث قليلا حتى طلعت الشمس وأمر بقبة من شعر ضربت له بنمرة ، فسار رسول الله ﷺ ولا تشك قريش الا أنه واقف عند المشعر الحرام كما كانت قريش تصنع فى الجاهلية ، فأجاز رسول الله ﷺ حتى أتى عرفة فوجد القبة قد ضربت له بنمرة فنزل بها حتى اذا زاغت الشمس أمر بناقته (القصواء) فرحلت فأتى بطن الوادى اى وادى عرنة وهو الفاصل بين عرفة والحرم فخطب الناس فحمد الله واثنى عليه ثم قال « ايها الناس اسمعوا قولى فانى لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامى هذا بهذا الموقف أبداً ، أيها الناس إن دمائكم وأموالكم حرام عليكم كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا ، الا كل شيء من أمر الجاهلية تحت قدمى موضوع ، ودماء الجاهلية موضوعة ، وان أول دم أضع من دمائنا دم ابن ربيعة بن الحارث ، كان مسترضعا في بنى سعد فقتلته هذيل — وربا الجاهلية موضوع ، وأول ربا اضع ربانا ربا عباس بن عبد المطلب فانه موضوع كله ، وان كل ربا موضوع ولكن لكم رؤس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون قضى الله انه لا ربا ، فاتقوا الله فى النساء فإنكم اخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، ولكم عليهن أن لا يوطئن فرشكم احداً تكرهونه فإن فعلن ذلك فاضربوهن ضربا غير مبرح ، ولهن عليكم رزقهن وكسوتهن بالمعروف ، وقد تركت فيكم ما لن تضلوا بعده ان اعتصمتم به كتاب الله ، وسنة نبيه ، وأنتم

تسألون عني فما أنتم قائلون ؟ » قالوا نشهد أنك قد بلغت وأديت ونصحت ، فقال باصبعه السبابة يرفعها الى السماء وينكتها الى الناس « اللهم أشهد » ثلاث مرات ثم قال « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض ،وانكم ستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم وقد بلغت فمن كانت عنده امانة فليؤدها الى من ائتمنه عليها . أما بعد أيها الناس فان الشيطان قد يئس أن يعبد بأرضكم هذه ابداً ولكنه ان يُطع فيما سوى ذلك فقد رضى به مما تحقرون من أعمالكم فاحذروه على دينكم ، ايها الناس ان النسئ زيادة فى الكفر يضل به الذين كفروا يحلونه عاما ويحرمونه عاما ليواطؤا عدة ما حرم الله فيحلوا ما حرم الله ويحرموا ما احل الله ، وان الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السماوات والارض ، وان عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً منها اربعة حرم ثلاثة متواليـة ، ورجب مفرد الذى بين جمادي وشعبان ، ايها الناس اسمعوا قولي واعقلوه تعلمن ان كل مسلم اخ للمسلم وان المسلمين إخوة فلايحل لامرئ من اخيه الا ما أعطاه عن طيب نفس منه فلا تظلمن أنفسكم اللهم هـل بلغت ؟ » قالوا اللهم نعم قال « ايها الناس ان الله قد ادى الى كل ذي حق حقـه وانه لا تجوز وصية لوارث ، والولد للفراش وللعاهر الحجر ، ومن ادّعى الى غير ابيه أو تولى غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين لايقبل الله منه صرفاً ولاعدلا » وكان ربيعة بن أمية بن خلف واقفا تحت

صدر ناقته ﷺ يصرخ بأعلاصوته يبلغ الناس خطبة النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يقول له يا ربيعة قل « يا ايها الناس ان رسول الله ﷺ يقول كذا » فصار ينادي بما يمليه عليه وكان ربيعة ذا صوت جهوري .

وبعثت أم الفضل زوجة العباس بن عبد المطلب رضى الله عنهما لبنة في قدح فشربه امام الناس ، فعلموا انه ﷺ لم يكن صائما . ثم امر بلالا فأذن ثم اقام فصلى الظهر ، ثم اقام فصلى العصر ، ولم يصل بينهما شيء ثم ركب رسول الله ﷺ حتى اتى الموقف فجعل بطن ناقته القصوى الى الصخرات وجعل جبل المشاة بين يديه وهذا الجبل هو المسمى (جبل الرحمة) فى العصر الحاضر وهو متوسط ساحة عرفة ، واستقبل القبلة فلم يزل واقفا حتى غربت الشمس فنزل عليه ﷺ فى ذلك الموقف قوله تعالى ﴿ اَلْيَوْمَ اَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَاَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا ﴾ وكان نزولها بعد عصر يوم الجمعة والنبي ﷺ واقف بعرفات على ناقته العضباء ، فحين نزولها كاد عضد الناقة ان يندق من شدة ثقلها فبركت . فلما نزلت هذه الآية بكى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقال له النبي ﷺ « ما يبكيك ياعمر ؟ » فقال : انا كنا فى زيادة من ديننا فاما اذا كمل فانه لم يكمل شيء الا نقص . قال ﷺ « صدقت » فلما غربت الشمس وذهبت الصفرة قليلا حتى غاب القرص أردف اسامة خلفه ودفع رسول الله ﷺ وقد شنق للقصوى الزمام حتى

ان رأسها ليصيب مورك رجله ويقول بيده اليمنى « ايها الناس السكينة ، السكينة ، » وكلما اتى جبلا من الجبال ارخي لها قليلا حتى تصعد حتي اتى المزدلفة ، فصلّى بها المغرب والعشاء بأذان واحد واقامتين ولم يسبح بينهما شيأ ، ثم اضطجع رسول الله ﷺ حتى طلع الفجر فصلّى الفجر حين تبين له الصبح بأذان واقامة ثم ركب القصواء حتي اتى المشعر الحرام فاستقبل القبلة ، وأردف الفضل بن العباس رضى الله عنهما خلفه وكان رجلا حسن الشعر أبيض وسيماً ، فلما دفع رسول الله ﷺ مرت به ظُعُن يجرين فطفق الفضل ينظر اليهن فوضع رسول الله ﷺ يده الكريمة على وجه الفضل فحول الفضل وجهه الى الشق الآخر ينظر فحول رسول الله ﷺ يده من الشق الآخر على وجه الفضل فصرف وجهه من الشق الآخر لينظر حتي اتى بطن محسر فحرك قليلا ثم سلك الطريق الوسطى التي تخرج على الجمرة الكبرى حتى اتي الجمرة التي عند الشجرة فرماها بسبع حصيات يكبر مع كل حصاة وهى مثل حصى الخذف يرمى من بطن الوادي ، ثم انصرف الى المنحر فنحر ثلاثا وستين بيده ، ثم أعطى عليا فنحر ما بقى ، وهى سبعة وثلاثون تمام المائة ، وأشركه فى هديه ثم امر ان يؤخذ من كل بدنة قطعة فجعلت فى قدر فطبخت فأكلا من لحمها وشربا من مرقها ، وقسم جميع اللحم وجلود عموم الهدي بين الناس ، واخبر ﷺ ان منى كلها منحر ، وان فجاج مكة كلها منحر ، ثم امر باحضار الحلاق معمر بن

عبدالله بن حنظلة بن عوف فحلق رأسه الشريف و بدأ بالشق الأيمن وقسم شعره للناس ، ثم اعطى شعر شق رأسه الشريف الأيسر لأبي طلحة الانصاري زوج أم سليم رضى الله عنهما ، وأعطى شعر ناصيته الشريفة لخالد بن الوليد رضى الله عنه ، ثم طيبته عائشة رضى الله عنها بطيب فيه مسك قبل ان يطوف طواف الافاضة .

وحلق بعض اصحابه وقصر البعض ، فقال رسول الله ﷺ « اللهم اغفر للمحلقين » قالوا والمقصرين فأعاد ﷺ ذلك ثلاث مرات وفى الرابعة قال « والمقصرين » ثم ركب ﷺ فأفاض الى البيت فطاف فى يومه ذلك طواف الافاضة قبل الظهر وشرب من ماء زمزم اتى له به العباس رضى الله عنه ، ثم صب منه على رأسه الشريف ، ثم رجع الى منى فصلى الظهر وخطب الناس فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « اى شهر هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظن أصحابه أنه سيسميه بغير إسمه قال « أليس ذا الحجة ؟ » قالوا بلى ، « فأى بلد هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظنوا أنه سيسميه بغير اسمه قال « أليس البلدة ؟ » قالوا بلى ، قال « فأى يوم هذا ؟ » قالوا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظنوا انه سيسميه بغير اسمه قال « أليس يوم النحر ؟ » قالوا بلي ، قال « فان دماءكم ، وأموالكم ، وأعراضكم ، عليكم حرام كحرمة يومكم هذا ، فى بلدكم هذا ، فى شهركم هذا ، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم

الا فلا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، الا ليبلغ الشاهد الغائب ، فلعل بعض من يبلغه ان يكون أوعى له من بعض من سمعه » ثم قال « الاهل بلغت ؟ » مرتين .

وكان ﷺ يزور البيت كل ليلة من ليالى منى ، وقد وقف ﷺ بمنى على راحلته للناس يسألونه فجاء رجل فقال يا رسول الله لم أشعر ان التحلل قبل النحر فحلقت قبل أن أنحر ؟ فقال ﷺ « أذبح ولا حرج » ثم جاءه رجل آخر فقال يا رسول الله لم أشعر أن الرمى قبل النحر فنحرت قبل أن أرمى ؟ فقال « أرم ولا حرج » وجاءه آخر فقال انى أفضت الى البيت قبل أن أرمي ؟ فقال « أرم ولا حرج » فما سئل عن شئ قدم ولا أخر الا قال أفعل ولا حرج . واقام ﷺ بمنى ثلاثة أيام يرمي الجمار ماشيا فى ذهابه وايابه ، وأمر ﷺ شخصاً أن ينادي فى الناس بمنى أنها أيام أكل وشرب وباءة . ورمى لكل جمرة من الجمرات الثلاث بعد الزوال سبع حصياة واحدة بعد واحدة يقول مع كل حصاة « الله اكبر » يبدأ بالتى تلى مسجد الخيف ويقف عندها للدعاء ، ثم التى تليها وهي الوسطى ثم يقف للدعاء ، ثم جمرة العقبة ولم يقف عندها للدعاء .

وكان أزواجه ﷺ يرمين بالليل ، ويسمى اليوم الاول من ايام منى (يوم القر) والثاني (يوم النفر الاول) والثالث (يوم النفر الاخير) وقد خطب رسول الله ﷺ فى الحج خمس خطب الأولى يوم السابع

من ذي الحجة بمكة ، والثانية يوم عرفة ، والثالثة يوم النحر بمنى ، والرابعة يوم القر ، والخامسة يوم النفر الأول بمنى .

ثم نهض ﷺ من منى فى اليوم الثالث الذي هو يوم النفر الأخير ونفر معه من المسلمون بعد الزوال وبعد الرمى . واستأذن عمه العباس رضي الله عنه فى عدم المبيت بمنى فى الليالي الثلاث من أجل السقاية فرخص له في ذلك . وضربت له ﷺ قبة بالمحصب (هو الابطح) ضربها له ابو رافع رضى الله عنه ولما نزل ﷺ بالمحصب صلّى به الظهر ، والعصر والمغرب ، والعشاء ، ورقد رقدة ، واعتمرت عائشة رضي الله عنها من التنعيم . وامر ﷺ الناس ان لا ينصرفوا الى بلادهم حتى يكون آخر عهدهم الطواف بالبيت الذي هو طواف الوداع . ثم نهض رسول الله ﷺ الى مكة فطاف للوداع سَحَرًا ولم يرمل في هذا الطواف .

وخرج ﷺ بعد طوافه من المسجد سحراً وكان خروجه من الثنية السفلى ثنية كدى من جهة الشبيكة متوجها الى المدينة ، فلما وصل صلى الله عليه وسلم الى غدير خم بقرب رابغ جمع اصحابه وخطبهم فقال « ايها الناس أنما انا بشر مثلكم يوشك ان يأتينى رسول ربى فاجيب وانى مسؤل وأنكم مسؤلون فما انتم قائلون ؟ » قالوا : انشهد انك قد بلغت وجهدت ونصحت فجزاك الله خيرا . فقال ﷺ « اليس تشهدون أن لآ إله إلا الله ، وان محمدا عبده ورسوله ، وان جنته حق ، وناره حق ،

وان الموت حق ، وأن البعث حق ، بعد الموت ، وان الساعة آتية لا ريب فيها ، وان الله يبعث من القبور ؟ » قالوا : بلى نشهد بذلك . قال « اللهم اشهد » . ثم سار رسول الله ﷺ حتى أتي المدينة ، ولما رأي المدينة كبر ثلاث مرات وقال « لا آله الا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير ، آيبون ، تائبون ، عابدون ، ساجدون ، لربنا حامدون ، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الاحزاب وحده » ثم دخل ﷺ المدينة نهارا من طريق المعرس .

وكان مجموع من وقف معه بعرفة فى حجة الوداع مائة وأربعة عشر الفا ، وقيل مائة وأربعة وعشرين ألفا ، ويروى ذلك عن البيهقى هذا حاصل حجة الوداع قد لخصتها من كتب الحديث عن جملة روايات ، وكل كتب المناسك مبنية على حجة الوداع ، غير ان الفقهاء قد جمعوا عموم ما وقفوا عليه من رويات الصحابة عن رسول الله ﷺ فى كتب مناسك الحج وبوبوا حاصل تلك الروايات على أبواب وفصول وجعلوا لكل مسألة من مسائل الحج فصلا ، وفرعوا لها فروعا ، فبعضهم لخص وبعضهم توسع فى البحث ، فجزاهم الله عن اعمالهم خير الجزاء ، وقد اقتصرت هنا فى حجة الوداع على ما يناسب المقام وتركت للقارئ التوسع فى ذلك من كتب المناسك وبالله التوفيق . وقد استوعبت خطبة النبى ﷺ فى يوم عرفة اذ هى الخطبة العصماء الشاملة لكل ما يحتاجه المسلم فى دينه ودنياه

وآخرته ، فلوان الخطباء يحفظونها ويلقونها يوم عرفة على الحاج لكانت أفقه ، وأبرك واجمع من كل ما يتكلفون من الخطب فعسى الله أن يرشدهم الى ذلك .

سرية أسامة بن زيد

الى ابنى

بعث رسول الله ﷺ اسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما في مرضه الذى توفى فيه فندب النبى ﷺ الناس لغزو الروم فى آخر شهر صفر سنة احدى عشرة من الهجرة ودعا أسامة بن زيد فقال له « سر الى موضع مقتل أبيك فأوطئهم الخيل فقد وليتك هذا الجيش وأغر صباحا على (ابنى) وحرق عليهم وأسرع المسير تسبق الخبر فان ظفرك الله بهم فاقل اللبث فيهم » وابنى موضع بقرب (مؤتة) التى قتل عندها زيد بن حارثة رضى الله عنه ، فبدأ برسول الله ﷺ وجعه فى اليوم الثالث فعقد لأسامة لواء بيده فأخذه أسامة فدفعه الى بريدة وعسكر بالجرف ، وكان ممن انتدب مع اسامة كبار المهاجرين والانصار منهم أبو بكر ، وعمر ، وأبو عبيدة ، وسعد ، وسعيد ، من المهاجرين وقتادة بن النعمان ، وسلمة بن أسلم ، من الانصار فتكلم فى ذلك قوم منهم عياش بن ربيعة المخزومى ، فرد عليه عمر بن الخطاب رضي الله عنه وأخبر النبى ﷺ ان

الناس طعنوا في امارة أسامة بن زيد فغضب رسول الله ﷺ غضبا شديدا وخرج وقد عصب على رأسه عصابة وعليه قطيفة وصعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال « أما بعد أيها الناس فما مقالة بلغتنى عن بعضكم فى تأميرى أسامة ، ان تطعنوا فى امارته فقد كنتم تطعنون في امارة ابيه من قبل وايم الله ان كان لخليقا للامارة ، وان كان لمن احب الناس الى ، وان هذا لمن احب الناس الى بعده ، وانهما مظنة لكل خير ، فاستوصوا به خيرا فانه من خياركم » وكان ذلك يوم السبت لعشر خلون من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة اي قبل وفاته بيومين وجاء المسلمون الذين هم جيش اسامة يودعون رسول الله ﷺ ويخرجون الى العسكر بالجرف ، وقد ثقل رسول الله ﷺ فجعل يقول « ارسلوا بعث اسامة » فلما كان يوم الأحد اشتد على رسول الله ﷺ وجعه ، فدخل اسامة من عسكره والنبي ﷺ مغمور فطأطأ رأسه ثم قبله وهو ﷺ لا يتكلم فجعل يرفع يديه الى السماء ثم يضعهما على أسامة رضي الله عنه قال أسامة : فعرفت انه ﷺ يدعو لي ، ورجع أسامة الى عسكره ثم دخل عليه يوم الاثنين فقال له رسول الله ﷺ « أغد على بركة الله تعالى » فودعه أسامة وخرج الى معسكره وأمر الناس بالرحيل فبينما هو يريد الركوب اذا رسول أمه أم أيمن رضى الله عنها قد جاء يقول ان رسول الله ﷺ يموت فأقبل وأقبل معه عمر بن الخطاب وأبو عبيدة بن الجراح رضى الله عنهم فانتهوا الى رسول الله ﷺ

وهو يموت فتوفى رسول الله ﷺ حين زاغت الشمس ودخل المسلمون الذين كانوا معسكرين بالجرف الى المدينة ودخل بريدة بلواء أسامة حتى أتى به الى رسول الله ﷺ فغرزه عند بابه .

فلما بويع لأبى بكر رضى الله عنه بالخلافة أمر بريدة ان يذهب باللواء الى بيت أسامة وان يمضى أسامة لما أمر به ، وكان ذلك بعد ارتداد العرب ومنعهم الزكاة ، وحصل ذلك منهم من اليوم الذى بلغهم فيه وفاة رسول الله ﷺ وسيأتى ذلك مفصلا فى الجزء الخامس ان شاء الله ؛ فخرج أسامة بالناس عند الخندق ، ثم قال لعمر بن الخطاب : ارجع الى خليفة رسول الله فاستأذنه أن يأذن لي أن ارجع بالناس فان معى وجوه الناس ولا آمن على خليفة رسول الله ﷺ وثقله وأثقال المسلمين ان يتخطفهم المشركون . وقالت الأنصار رضى الله عنهم : فان أبى ابو بكر الا ان يمضى الجيش فابلغه منا السلام وأطلب اليه أن يولى أمرنا رجلا أقدم سنا من أسامة . فقدم عمر على ابى بكر رضى الله عنهما وأخبره بما قال أسامة ، فقال ابو بكر : والله لو تخطفنى الذئاب والكلاب لم أرد قضاء قضى به رسول الله ﷺ . قال عمر : فان الأنصار أمرونى ان أبلغك انهم يطلبون أن تولى أمرهم رجلا اقدم سنا من اسامة . فوثب ابو بكر وكان جالسا وأخذ بلحية عمر وقال : ثكلتك أمك وعدمتك يا ابن الخطاب استعمله رسول الله ﷺ وتأمرنى أن أنزعه . فخرج

عمر الى الناس فقال أمضوا ثكلتكم أمهاتكم ما لقيت اليوم بسببكم من خليفة رسول الله ﷺ خيراً .

فخرج ابو بكر رضى الله عنه الى الجرف ليودع الجيش وسار من الجرف فى هلال شهر ربيع الآخر سنة احدى عشرة تحت قيادة أسامة بن زيد رضى الله عنهما وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه سائراً الى جانب أسامة ماشيًا على قدمه وأسامة راكبا وعبد الله بن عوف يقود راحلته ومكث ابو بكر رضى الله عنه نحو ساعة ماشيا على قدمه يودعه ويوصيه على اصحاب رسول الله ﷺ ، فقال أسامة : يا خليفة رسول الله اما ان تركب واما ان انزل ؟ فقال : والله لستَ بنازل ، ولستُ براكب ، ثم قال له ابو بكر الصديق رضى الله عنه : استودع الله دينك وأمانتك وخواتم عملك . ثم طلب منه أن يأذن لعمر بن الخطاب فى التخلف ، ففعل . وكان الجيش ثلاثة آلاف فيهم ألف فارس . فلما وصل اسامة رضى الله عنه الى أبنى شن عليهم الغارة وفرق الناس وأحاط بهم من كل جانب وكان شعارهم (يا منصور امت) فقتل من قتل وأسر من أسر وحرق منازلهم وحرق ارضها واجال الخيل فى عرصاتهم ولم يقتل من المسلمين احد ، وكان أسامة على فرس ابيه فَقَتَل قاتل ابيه رضى الله عنهما واسهم للفرس سهمين وللفارس سهما واخذ لنفسه مثل ذلك ، فلما امسى امر الناس بالرحيل واسرع السير وبعث مبشرا الى المدينة بسلامتهم ، وخرج ابو بكر

رضى الله عنه فى المهاجرين والأنصار يتلقونهم وسروا بسلامتهم سرورا عظيما ، ودخل اسامة رضى الله عنه واللواء بين يديه حتى انتهى الى باب المسجد ثم انصرف الى بيته .

هذه سرية اسامة بن زيد رضى الله عنهما قد اكملنا هاهنا . وبما انها لم تقع فى حياة رسول الله ﷺ . فقد ذكرها المؤرخون فى خلافة ابى بكر رضى الله عنه ، والذي دعانى الى ذكرها هنا هو لكون ان رسول الله ﷺ هو الذى جيش الجيش فى حياته وامر عليه اسامة بن زيد رضى الله عنهما وحرض على غزوه فى مرضه حسبما تقدم ، فلذلك أتيت بها في القسم الأول من هذا المؤلف . وهذه السرية قد اجريت بهمة ابى بكر الصديق رضى الله عنه رغما عن الموقف الحرج الذي كان فيه ابو بكر بعد وفاة النبى ﷺ من ارتداد معظم قبائل العرب وكان فى بعث هذه السرية إقدام عظيم ، وقوة إرادة فائقة ، وسياسة نادرة ، من ابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وكانت هي اول عمل عمله فى خلافته بعد عقد الخلافة له ، ولم يكن لاحد مشاركة معه فى هذا الاقدام العظيم حتى ولا لعمر بن الخطاب رضى الله عنه ، وقد ظهر للملأ من غزو جيش اسامة الخير العظيم والفوائد الجمة للاسلام والمسلمين حيث قد نتج من بعث تلك السرية اشتهار كبير بين الناس دل على ان اصحاب رسول الله ﷺ بعد وفاة رسول الله ﷺ لا يزالون في عز ومنعة وكان موقع ذلك

اعظم عند كثير من قبائل العرب لكونهم لما علموا بارسال تلك السرية لم يرتدوا عن الاسلام وقالوا : لو لا قدرة اصحاب محمد ﷺ ما خرج مثل هؤلاء من عندهم فثبتوا على اسلامهم . وسيأتى تفصيل ذلك فى الجزء الخامس .

ولما تولى عمر بن الخطاب رضى الله عنه الخلافة بعد ابى بكر رضى الله عنه كان اذا قابل اسامة رضى عنه قال : السلام عليك ايها الأمير . فيقول اسامة : غفر الله لك يا امير المؤمنين تقول لي هذا . فيقول : لا ازال ادعوك ماعشت الامير ، مات رسول الله ﷺ وانت علي أمير يقول ذلك عمر بن الخطاب وهو الخليفة العظيم لاسامة اعترافا بالحقيقة وتقديرا للاعمال ، وبيانا للواقع ، ولم يستنكف من ذلك لكونه صار امير المؤمنين ان يخاطب ابن مولى رسول الله ﷺ بالأمير ، لأن تلك هى الحقيقة فقد ولاه رسول الله ﷺ عليه وعلى غيره من كبار المهاجرين والانصار كما تقدم ، وهو ﷺ يعلم ان اسامة من ابناء الموالى وان فى الجيش اعاظم رجال الاسلام ، ولكن الغرض من ذلك هو (الدمقراطية) الاسلامية التى تساوى بين الناس فى كل شئ ، وليريض نفوس اعاظم الناس على تقدير بعضهم البعض ، واحترام شخصياتهم ، والرضوخ لأمر الآمر كيف ما كانت شخصيته ، وهذه الحادثة من ضمن الاسباب التى جعلت الاسلام يتقدم بمعتنقيه على غيرهم من الامم وجعلت تلك الأنوف الشامخة

من العرب ان تخضع لسلطان الاسلام ، وتلتف حول رايته وتسود على غيرهم من الامم التى لا تملك من تلك المزايا شيئا . فلا تكون الامة سعيدة قوية ما لم يحترم اميرها ، وتوقر كبيرها ، وترحم صغيرها ، وتواسى ضعيفها ، وتعضد نوابغها ، وتقدر افاضلها ، وتعطف على المنكوبين منها . اللهم اعد للاسلام مجده ، والهم معتنقيه رشدهم ، واعطف عليهم ، ولم شملهم ، واردد عليهم الفتهم ، وانزل عليهم عطفك ، ورحمتك ، وسعادتك ، ورأفتك ، انك بالاجابة جدير وعلى ما تشاء قدير .

وهنا انتهت بهذه السرية عموم الغزوات والسريات والبعوث التى قام بها رسول الله ﷺ فى حال حياته الى آخر نسمة تنسمها قبل الوفاة فجزاه الله عن امته خير الجزاء .

الشمائل المحمدية

أسماؤه

ذكر اصحاب السير ان لرسول الله ﷺ اسماء كثيرة جداً وذلك من شأن الأعاظم تكثر اسماؤهم بسبب ما أمتازوا به عن غيرهم من المزايا الكريمة والصفات الحميدة ومكارم الاخلاق المتعددة ، فمنهم من جعل اسماءه ﷺ تسعة وتسعين ، وقال القاضى عياض وقد خصه الله

تعالى بأن سماه من اسمائه الحسنى بنحو من ثلاثين اسما . وقال ابن دحية اذا فحص عن جملتها من الكتب المتقدمة والقرآن والحديث وفت الثلاثمائة. ونقل ابو بكر بن العربي حافظ الاندلس عن بعض الصوفية قال لله تعالى ألف اسم وللنبي ﷺ ألف اسم . وقال الحافظ ابن القيم في زاد المعاد في اسماء رسول الله ﷺ كلها نعوت ليست أعلاما محضة لمجرد التعريف بل اسماء مشتقة من صفات قائمة به توجب له المدح والكمال فمنها (محمد) وهو اشهرها وبه سمى في التوراة صريحا والمقصود ان اسمه محمد في التوراة صريحا يوافق عليه كل عالم من مؤمني اهل الكتاب ، ومنها (احمد) وهو الاسم الذي سماه به المسيح ، ومنها المتوكل ، ومنها الماحي ، والحاشر والعاقب ، والمقفى ، ونبي التوبة ، ونبي الرحمة ، ونبي الملحمة ، والفاتح ، والامين ، ويلحق بهذه الاسماء الشاهد ، والمبشر ، والبشير ، والنذير ، والقاسم والضحوك ، والقتال ، وعبد الله ، والسراج المنير ، وسيد ولد آدم وصاحب لواء الحمد ، وصاحب المقام المحمود ، وغير ذلك من الاسماء لان أسماءه إذا كانت اوصاف مدح فله من كل وصف إسم لكن ينبغي ان يفرق بين الوصف المختص به او الغالب عليه ويشتق له منه إسم وبين لوصف المشترك ، فلا يكون له إسم يخصه وقال جبير بن مطعم سمى لنا رسول الله ﷺ نفسه اسماء فقال «أنا محمد ، وانا احمد ، وانا الماحي الذي يمحو الله بي الكفر ، وانا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، والعاقب الذي ليس بعدي نبي ، واسماؤه

ﷺ نوعان احدهما خاص لا يشركه فيه غيره من الرسل كمحمد ، واحمد ، والعاقب ، والحاشر ، والمقفى ، ونبي الملحمة . والثانى ما يشركه في معناه غيره من الرسل ولكن له منه كماله فهو مختص بكماله دون اصله كرسول الله ، ونبيه ، وعبده ، والشاهد ، والمبشر ، والنذير ، ونبي الرحمة ، ونبي التوبة ، واما ان جعل له من كل وصف من اوصافه اسم تجاوزت اسماؤه المائتين كالصادق والمصدوق والرؤف والرحيم ، الى امثال ذلك وفى هذا قال من قال من الناس ان لله ألف اسم وللنبى ﷺ ألف اسم قاله ابو الخطاب بن دحية ومقصوده الاوصاف . انتهى .

وقال القسطلاني فى المواهب والمراد الاوصاف فكل الاسماء التى وردت اوصاف مدح وإذا كان كذلك فله ﷺ من كل وصف إسم ثم قال والذي رايته في كلام شيخنا — يعنى الحافظ السخاوي — فى القول البديع ، والقاضى عياض في الشفاء ، وابن العربى فى القبس والاحكام له ، وابن سيد الناس ، وغيرهم يزيد على اربعمائة وقد سردتها مرتبة على حروف المعجم وهى (أ) الأبر بالله . الأبطحى . أتقى الناس . الأجود أجود الناس . الأحد . الأحسن . أحسن الناس . أحمد . أحيمد . الآخذ بالحجزات . آخذ الصدقات . الآخر . الاخشى لله . اذن خير . أرجح الناس عقلا . أرحم الناس بالعباد . اشجع الناس . الاصدق فى الله . الازهر ، وهو النير المشرق الوجه . اطيب الناس ريحا . الاعز :

الاعلى. ألاعلم بالله. اكثر الناس تبعا. الاكرم. اكرم الناس. اكرم ولد آدم
المص. امام الخير. امام الرسل. امام المتقين. امام النبيين. الامام.
الآمر. الآمن. أمنة اصحابه. الامين. الامي. انعم الله. الاول. اول
شافع. اول المسلمين. اول مشفع. اول المؤمنين. اول من تنشق عنه
الارض. (ب) البر. البار. البرهان. بشر. بشرى عيسى. البشير.
البصير. البليغ. بالغ. البيان. البينة. (ت) التالى. التذكرة. التقى.
التنزيل. التهامي. (ث) ثانى اثنين. (ج) الجبار. الجد. الجوار.
جامع. (ح) حاتم. حزب الله. الحاشر. الحافظ. الحاكم بما اراده الله
الحامد. حامل لواء الحمد. الحائد لأمته عن النار. الحبيب. حبيب
الرحمن. حبيب الله. الحجازى. الحجة البالغة. حجة الله على الخلائق.
حرز الامين. الحرمى. حريص. الحريص على الايمان. الحسيب.
الحافظ. الحق. ألحكيم. الحليم. حماد. حمطايا. حمعسق. حق. الحمد
الحنيف. (خ) الخبير. خاتم النبين. خاتم المرسلين. الخاتم. الخازن
لمال الله. الخاشع. الخاضع. الخالص. خطيب الانبياء. خطيب الامم.
خطيب الوافدين على الله. الخليل. خليل الرحمن. خليل الله. الخليفة.
خير الانبياء. خير البرية. خير خلق الله. خير العالمين طرا. خير
الناس. خير هذه الامة. خيرة الله. (د) دار الحكمة. الداعى الى الله.
دعوة ابراهيم. دعوة النبيين. دليل الخيرات. (ذ) الذاكر. الذكر.

ذكر الله. ذو الحوض المورود . ذو الخلق العظيم ذو الصراط المستقيم . ذو القوة . ذو مكانة . ذو عزة . ذو فضل ذو المعجزات . ذو المقام المحمود . ذو الوصيلة . (ر) الراضع . الراضى . الراغب . الرافع . راكب البراق راكب البعير راكب الجمل . راكب الناقة . راكب النجيب . الرحمة رحمة الأمة . رحمة العالمين . رحمة مهداة . الرحيم . الرسول رسول الرحمة . رسول الراحة . رسول الله . رسول الملاحم . الرشيد . الرفيع الذكر . رافع الرتب : رفيع الدرجات . الرقيب . روح القدس . روح الحق . الرؤف . ركن المتواضعين (ز) الزاهد . زعيم الانبياء . الزكى الزمزمي . زين من اوفي القيامة (س) السابق . السابق بالخيرات . سابق العرب . الساجد . سبيل الله . السراج المنير السراط المستقيم . السعيد . سعد الله . سعد الخلائق . السميع . السلام . السيد . سيد ولد آدم . سيد المرسلين . سيد الناس . سيد الكونين . سيد الثقلين . سيف الله المسلول . (ش) الشارع . الشافع . الشاكر . الشاهد الشكور الشكار . الشمس . الشهيد . (ص) الصابر . الصاحب . صاحب الآيات . صاحب المعجزات صاحب البرهان . صاحب البيان . صاحب التاج . صاحب الجهاد . صاحب الحجة . صاحب الحطيم . صاحب الحوض المورود . صاحب الخاتم . صاحب الخير . صاحب الدرجة العلية الرفيعة . صاحب الرداء . صاحب الازواج الطاهرات . صاحب السجود للرب المعبود .

صاحب السرايا . صاحب السلطان . صاحب السيف . صاحب الشرع . صاحب الشفاعة الكبرى . صاحب العطايا . صاحب العلامات الباهرة . صاحب العلو والدرجات . صاحب الفضيلة . صاحب الفرج . صاحب القضيب . صاحب القضيب الاصفر . صاحب قول لا إله الا الله . صاحب القدم . صاحب الكوثر . صاحب اللواء . صاحب المحشر . صاحب المدينة صاحب المغفر . صاحب المغنم . صاحب المعراج . صاحب المظهر المشهور . صاحب المقام المحمود . صاحب المنبر . صاحب المئزر . صاحب النعلين . صاحب الهراوة . صاحب الوسيلة . الصادع بما أُمر . الصادق . الصبور . الصدق . صراط الله . صراط الذين انعمت عليهم . الصراط المستقيم . الصفوح . الصفوح عن الزلات . الصفوة . الصفي . الصالح . (ض) الضارب بالحسام المتكوّم . الضحاك . الضحوك (ط) طاب طاب الظاهر . الطيب . طسم . طس . طه . المطيب (ظ) الظاهر . الظفور . (من الظفر وهو الفوز) ، (ع) العابد . العادل . العظيم . العاني . العاقب العالم . علم الايمان . علم اليقين . العالم بالحق . العامل . عبد الله . العبد . العدل . العربي العروة الوثقى . العزيز . العفو . العليم . العطوف . العلي . العلامة . عين العزى . عبد الكريم . عبد الجبار . عبد الحميد . عبد المجيد . عبد الوهاب . عبد القاهر . عبد الرحيم . عبد الخالق . عبد القادر . عبد المهيمن . عبد القدوس . عبد الغياث . عبد الرزاق . عبد السلام . عبد

الغفار (غ) الغالب. الغفور. الغنى. الغنى بالله. الغوث. المغيث الغياث (ف) الفاتح. الفارق. فارق. المفتاح. الفجر. الفرط. الفصيح. فضل الله فواتح النور (ق) القاسم. القاضى. القانت. قائد الخير. قائد الغر المحجلين القائل. القائم. القتال. القتول. قثم. القثوم. قدم صدق. القرشى. القريب. القمر. القيم (ومعناه الجامع الكامل) وصوابه القثم. القوي (ك) كافة الناس. الكفيل الكامل فى جميع أموره. الكريم. كهيعص. (ل) اللسان. (م) الماجد. ماذ ماذ. المؤمل. الماحى. المأمون. المانح. الماء. المبين. المبارك. المبتهل. المبرأ. المبشر. مبشر اليائسين. المبعوث بالحق المبعوث المبلغ المبيح. المبين. المتين. المتبتل المتبسم المتربص المترحم المتضرع. المتقي. المتلو عليه المتهجد. المتوسط. المتوكل. المثبت. مجاب. مجيب. المجتبى. المجبر. المحرض المحرم. المحفوظ. المحلل محمد. المحمود. المخبر. المختار. المخصوص بالشرف. المخصوص بالعز. المخصوص بالمجد. المخصوص. المدثر. المدني. مدينة العلم. المذكور المذكر. المرتضى المرتل. المرسل المرتجى. المرحوم المرتفع الدرجات المرء. (وهو الكامل) المروءة المزكى. المزمل. المسبح. المستغفر. المستغنى المستقيم. المسرى به. المسعود. المسلّم المسلم. المشاور. المشفع. المشفوع. المشقح. المشهور. المشير. المصباح. المصارع. المصافح. مصحح الحسنات. المصدوق. المصطفى. المصلح. المصلى عليه. المطاع.

المطهر . المظهر . المطلع . المطيع . المظفر . المعزز . المعصوم . المعطى . المعقب . المعلم أمته . المعلم . المعلن . المعلى . المفضال . المفضل . المفتاح . مفتاح الجنة . المُقتصد . المقتفى . المقدس . المقرى . المقسط . المقسم . المَقصوص عليه . المقفى . مقيل العثرات . مقيم السنة بعد الفترة . المكرم . المكتفى . المكفى . المكين . المكى . الملاحمي . ملقى القرآن . الممنوح . المنادى المنتظر . المنجى . المنذر . المنزل عليه . المُنْحَمِنَّا . (قال القسطلاني معناه بالسريانى محمد) المنصف . المنصور . المنيب . المنير . المهاجر . المهتدي . المهدي . المهيمن . المؤتمن . المؤتى جوامع الكلم الموحى اليه . الموصل . الموقر . المولى . المؤمن . المؤيد . الميسر (ن) النابذ . الناجز . الناس — لقوله تعالى — ﴿أَمْ يَحْسِدُونَ النَّاسَ﴾ المفسر به ﷺ . الناسخ الناشر . الناصح . الناضر . الناطق بالحق . الناهى . نبي الاحمر . نبي الاسود . نبي التوبة نبي الحرمين . نبي الراحة . نبي الرحمة . النبي الصالح . نبي الله . نبي المرحمة . نبي الملحمة . نبي الملاحم . النبي . النجم . النجم الثاقب . نجى الله . النذير . النسيب . نصيح . ناصح . النعمة . نعمة الله . النقيب . النقى . النور . نور الأمم . (اي الهادى لها) (هـ) الهادى . هدى . هدية الله . الهاشم . (و) الوجيه . الواسط . الواسع . الواصل . الواضع . الواعد . الواعظ الورع . الوسيلة . الوفى . الوافى . ولى الفضل . الولى . (ى) اليثرب . يس .

هذا ما رواه القسطلاني في المواهب اللدنية وكنيته المشهورة (ابو القاسم)

ويكنى (بأبى إبراهيم) وهذه الاسماء معظمها صفات ولها معاني تدل على انها من صفاته ﷺ وقد شرح بعضها القسطلاني فى المواهب وقد اكتفينا بما نقلناه حيث ان موضعنا فى هذا الكتاب الخلاصة لا الاسهاب لانه لو تمشينا على الاسهاب لطال البحث .

صفة خلقه

صلى الله عليه وسلم

ورد فى كثير من الاحاديث عن جمع من الصحابة رضى الله عنهم صفته ﷺ وشمائله فممن ورد عنهم علىّ ابن ابى طالب ، وانس بن مالك ، وابو هريرة والبراء ، وعائشة ، وابن ابى هالة ، وابوجحيفة ، وجابر بن سمرة ، وأم معبد ، وإبن عباس ، ومعرض بن معيقيب ، وابو الطفيل ، والعداء بن خالد ، وحذيم بن فاتك ، وحكيم بن حزام ، رضى الله عنهم أجمعين وقد جعلت صفته ﷺ بين قوسين وشرحت بعض الصفات اللازم شرحها ، وهاهى ملخصة من رواية كثيرة عن متون ثابتة وحفاظ عظام قديرين .

كان رسول الله ﷺ (ربعة) متوسطا (من القوم ليس بالطويل البائن) الخارج في الطول عن حد الاعتدال (ولا بالقصير المتردد الدانى وليس بالأبيض الامهق) الناصع البياض كلون البرص (ولا بالأدم)

الأسمر (أزهر اللون) مشرقا (أبيض مشربا بحمرة ، وسيما ، قسيما) حسنا جميلا (فى عينيه دعج) شدة سواد الحدقة (وفى بياضهما عروق حمر ، أنجل) واسع العينين حسنهما (أهدب الاشفار) كثير الاهداب وهو الشعر النابت على حرف العين (أبلج) مشرق الوجه نقى الشعر بين الحاجبين (ازج الحواجب سوابغ من غير قرن) غزير الحواجب مقوسهما مع طول فيها وغير مقرونة (بينهما عرق يدره الغضب) يظهره (أقنى الأنف) فى وسط الأنف اعتلاء بسيط (أفلج) متباعد ما بين الثنايا (أشنب) أبيض الفم نيّره (سهل الخدين) أملسهما ليس فيهما نتوء ولا انخفاض (مدوّر الوجه ، واسع الجبين ، ظاهر الوضاءة) الحسن والجمال (معتدل الاجزاء ليس بمطهم) المنتفخ الوجه والفاحش السمن (ولا مكلثم) القصير الحنك النائئ الجبهة (كث اللحية تملأ صدره ، عظيم الهامة رجل الشعر) مسترسل الشعر (كأنه مشط متكسر قليلا يبلغ مرة الى منكبيه ، ومرة الى أصول أذنيه ، ومرة الى فروعهما ، ليس فى رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء يواريهن الدهن) أى أنه لا يتجاوز الشعر الأبيض العشرين شعرة ويسترهن بالدهن (في صوته صحل) بحة (وفى عنقه سطع) ضوء (كأنه جيد دمية) الصورة من العاج وهو سن الفيل (فى صفاء الفضة ، بادنا متماسكا) ليس بعظيم الجسم ولا بالهزيل معتدلا فى العظم (ويفتر عن مثل سنا البرق) اذا ابتسم تبدو اسنانه

مثل ضوء البرق من صفائها و نظافتها (او عن مثل حب الغمام) البَرَدُ (يخرج نور من بين ثناياه ، اذا تكلم تلألأ وجهه نوراً تلألأ القمر ليلة البدر و ان صمت فعليه الوقار و ان تكلم سماه وعلاه البهاء ، أجمل الناس وأبهاه من بعيد ، وأحلاه وأحسنه من قريب ، حلو المنطق ، فصل) سريع الفهم والإدراك (لانذر ولا هذر) ليس بقليل الكلام ولا كثيره (كأن منطقه خرزات نظمن ، دقيق المسربة) اى حبات الشعر التى فى صدره (من لبته الى سرته كالخط أو كالقضيب ، أشعر الذراعين ، والمنكبين ، وأعالى الصدر ، سواء البطن والظهر) مستويها (مسيح الصدر) اى مستوية (صخم العظام عبل) ضخم (العضدين والذراعين والاسافل) اى الفخذين والساقين (بعيد ما بين المنكبين ، طويل الزندين ، رحب الراحة) واسع الراحة (شثن الكفين والقدمين واسعهما) معناه ان فيهما غلظة وذلك محمود فى الرجل (مسيح القدمين) املسهما (ينبو عنهما الماء اذا زال) اي مشى (زال تقلعا) اى اذا رفع رجله بقوة (ويخطو تكفوا) اي يميل الى الامام اذا مشى (ويمشي هونا ، ذريع المشية) واسع الخطو (اذا مشى كانما ينحط من صبب) اي المكان المرتفع ، قال ابو هريرة رضى الله عنه : انا لنجهد أنفسنا وانه غير مكترث . نظره الى الارض اطول من نظره الى السماء ، جل نظره الملاحظة ، واذا التفت التفت جميعا ، واذا عرق انحدر مثل الجمان) اى حب اللؤلؤ (فى رائحة

المسك ، من رآه بديهة هابه وفرق لرؤيته ، ومن خالطه معرفة أحبه) يقول ناعته (لم ار قبله ولا بعده مثله) قال البراء بن عازب رضى الله عنه : مارايت ذى لمة — الشعر الذي يجاوز شحمة الاذن — سوداء فى حلة حمراء احسن من رسول الله ﷺ كان الشمس تجرى فى وجهه ، واذا ضحك تلألأ وجهه كالبدر . . وقال جابر بن سمرة رضي الله عنه قال رجل كأن وجهه ﷺ مثل السيف — يقصد بريقه — فقال جابر : لا بل مثل الشمس والقمر وكان مستديراً . وقال أنس ابن مالك رضى الله عنه مامَسَسْتُ ديباجا ولا حريرا الين من كف رسول الله ﷺ ولاشممت رائحة قط كانت أطيب من رائحة رسول الله ﷺ . وكان ابو بكر الصديق رضى الله عنه ينشد عند رؤيته .

أمين مصطفى بالخير يدعو كضوء البدر زايله الظلام

وقال عبد الله بن رواحة رضى الله عنه .

لولم يكن فيه آيات مبينة لكان منظره ينبيك بالخبر

وقالت عائشة رضى الله عنها : بابى وأمي أنت لورآك الشاعر لعلم انك احق بقوله.

ومبرأ من كل غبَّر حيضه وفساد مرضعة وداء معضل

واذا نظرت الى اسرة وجهه برقت كمثل البارق المتهلل

فهذا بعض ماورد في صفة خلقه ﷺ عن أجلاء أصحابه من أهل

بيته من والمهاجرين والانصار ملخصا ، ولوأردت أن استوعب كل ماجاء في ذلك لضاق بنا المقام حيث ان ذلك يحتاج الى أجزاء منفردة مستقلة

اخلاقه

صلى الله عليه وسلم

كان ﷺ المصدر لمكارم الاخلاق ، وقدأوردت فى هذا الكتاب كثيرا من مكارم اخلاقه ﷺ فى كثير من المواضيع التى مرت بنا واليك ملخصاً بعض ماورد فى القرآن والحديث والسير فقد جاء فى القرآن المجيد (وانك لعلى خلق عظيم) (ولو كنت فظا غليظ القلب لانفضوا من حولك) فكان ﷺ سهل خلق ، لين الجانب ، ليس بفظ ، ولا غليظ ، ولاصخاب ، ولا فحاش ، ولاعياب . وكان ﷺ يمازح أصحابه وقال « ان الله تعالى لايؤاخذ المزاح الصادق في مزاحه » وقال بعض الصحابة ما رأيت أحداً أكثر مزحا من رسول الله ﷺ . وقال ابن عباس رضى الله عنهما كانت فى النبى ﷺ دعابة . وقال بعض السلف كان للنبى ﷺ مهابة فكان يباسط الناس بالدعابة . وقال ﷺ لعمته صفية « لاتدخل الجنة عجوز » فولت تقال لها وهو يضحك « الله تعالى يقول انا انشأناهن انشاء فجعلناهن أبكاراً عربا أترابا » وجاء ﷺ رجل وطلب أن يحمله على بعير فقال له « اني حاملك على ولد الناقة »

فقال : يا رسول الله ما اصنع بولد الناقة ؟ فقال رسول الله ﷺ « وهل تلد الابل الا النوق ، » . وكان رجل من البادية يقال له أزهر يهدى عند قدومه لرسول الله ﷺ الهدية فيجهزه رسول الله ﷺ عند خروجه وكان يحبه فجاء يوما وهو يبيع متاعه فى السوق وكان رجلا دميما فاحتضنه رسول الله ﷺ من خلفه ، فقال أزهر : ارسلنى من هذا ؟ وجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « من يشترى العبد » فقال : يا رسول الله تجدنى كاسداً . فقال رسول الله ﷺ « ولكن عند الله لست بكاسد » . وقالت عائشة رضى الله عنها خرجت مع النبى ﷺ فى بعض اسفاره وانا جارية لم أحمل اللحم — اي لم اكن سمينة — فقال ﷺ للناس « تقدموا » فتقدموا ثم قال لى « تعالى حتى أسابقك » فسابقته فسبقته فسكت حتى اذا حملت اللحم — أى سمنت — وكنا فى سفرة اخري قال ﷺ للناس « تقدموا » ثم قال لى « تعالى حتى أسابقك » فسابقته فسبقنى فجعل ﷺ يضحك ويقول « هذه بتلك » . وعن أنس ابن مالك رضى الله عنه قال دخل ﷺ على أمي فوجد أخى أبا عمير حزينا فقال « يا أم سليم ما بال أبى عمير حزينا ؟ » فقالت يا رسول الله مات نُغَيْره ، تعنى طيراً كان يلعب به ، فقال ﷺ « أبا عمير مافعل النغير ؟ » وكان كلما رآه قال له ذلك . وعن عائشة رضى الله عنها قالت أتيت النبى ﷺ بخزيرة طبختها فقلت لسودة والنبى ﷺ بينى وبينها

كلى فابت فقلت كلى أو لأ لطخن وجهك فأبت فوضعت يدى فيها فطليت وجهها فضحك ﷺ فأرخى فخذه لسودة وقال «الطخى وجهها» فلطخت وجهى فضحك النبى ﷺ . وقال يومالعائشة « ما اكثر بياض عينك » وكان ﷺ يتغافل عما لا يشتهي قد ترك نفسه من ثلاثة الرياء والاكبار ، وما لا يعنيه ، . وترك الناس من ثلاث كان لا يذم ذواقا ، أي أي لاذم مايذوقه من طعام ولا يمدحه . روى عبدالله بن أبى بكر رضى الله عنهما عن رجل من العرب قال زاحمت رسول الله ﷺ يوم حنين وفى رجلى نعل كثيفة فوطئت بها على رجل رسول الله ﷺ فبعجنى بعجة بسوط فى يده وقال « بسم الله أوجعتنى » قال فبت لنفسى لائما أقول أوجعت رسول الله ﷺ فلما اصبحنا اذا رجل يقول أين فلان ، فانطلقت وانا متخوف فقال لى رسول الله ﷺ « انك وطئت بنعلك على رجلى بالأمس فأوجعتنى فبعجتك بالسوط فهذه ثمانون نعجة فخذها بها » فكان من مكارم اخلاق رسول الله ﷺ أن يعطيه رغم تعديه عليه ثمانين نعجة ارضاءله وجلبا لخاطره ولما نزل قوله تعالى ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ قال له جبريل عليه السلام : ان ربك عزوجل يأمرك ان تصل من قطعتك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وفى الحديث « لا ينال عبد صريح الايمان حتى يكون كذلك » وكان

صلى الله عليه وسلم لا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ، ويصبر للغريب على الجفوة في المنطق والمسئلة ، لا يقطع على احد حديثه ، ولا يتكلم في غير حاجة ، يعظم النعمة وان دقت ، لا يغضب لنفسه ، ولا ينتصر لها ، وانما يغضب اذا تعرض للحق بشئ ، وعند غضبه لذلك لا يثنيه شئ عن الانتصار له ، ويكرم كريم كل قوم ويوليه عليهم ، ويتفقد أصحابه ويسأل عنهم ، فان كان غائبا دعاله ، وان كان شاهدا زاره ، وان كان مريضا عاده ، ويسأل الناس عما الناس فيه ، أفضل الناس عنده أعمهم نصيحة ، وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ، لا يجلس ولا يقوم الا عند ذكر ، واذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ، ويأمر بذلك ، ويعطى كل واحد من جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جليسه أن احدا أكرم عليه منه ، من جالسه أو نادمه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأله حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول ، عنده الناس في الحق سواء مجلسه مجلس حلم وحياء ، لا ترفع فيه الاصوات ، ولا يتنازعون عنده الحديث ، اذا تكلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤسهم الطير في غاية من السكون والوقار ، واذا تكلم عنده أحد انصتوا له حتى يفرغ من حديثه ، يضحك مما يضحكون ، ويعجب مما يعجبون ، وكان ﷺ دائم البشر ، ضحوك السن ، وقال ﷺ « بعثت لأتمم مكارم الأخلاق ، ومحاسن الأفعال » فكان متصفا بما فيه من الاجتهاد في طاعة الله والخضوع له ، والانقياد لأمره ،

والشدة على أعدائه ، والتواضع لاوليائه ، ومواساة عباده ، وارادة الخير لهم والحرص على كمالهم ، والاحتمال لاذاهم ، والقيام بمصالحهم ، وارشادهم الى مايجمع لهم خيرى الدنيا والآخرة ، مع التعفف عن اموالهم . وكان صلى الله عليه وسلم أشد الناس خشية وخوفا من الله : قالت عائشة رضى الله عنها : أتانى رسول الله ﷺ ليلة فدخل معى فى لحافى ثم قال « ذرينى أتعبد لربى » فقام ﷺ فتوضأ ثم قام فصلى فبكى حتى سال دمعه على صدره ، ثم ركع فبكى ، ثم سجد فبكى ، ثم رفع رأسه فبكى ، فلم يزل كذلك حتى جاءه بلال رضى الله عنه فآذنه بالصلاة . فقلت يارسول الله مايبكيك وقد غفر الله لك ماتقدم من ذنبك وما تأخر ؟ قال « أفلا أكون عبداً شكوراً ، ولم لاأفعل وقد أنزل الله تعالى علي في هذه الليلة ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لَآيَاتٍ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ الى قوله ﴿سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ وماضرب ﷺ بيده الشريفة إمرأة ولا خادما من أهله ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه : خدمت رسول الله ﷺ عشر سنين والله ماقال لى فى شئ صنعته لم صنعت هذا هكذا ، ولا لشئ لم اصنعه لم لم تصنع هذا هكذا . وقال أنس : أرسلنى رسول الله ﷺ فى حاجة يوما فقلت والله لاأذهب وفى نفسى أنى أذهب فخرجت على صبيان يلعبون فى السوق واذا رسول الله ﷺ قد قبض ثيابى من ورائى فنظرت اليه ﷺ وهو يضحك فقال « ياأنيس اذهب حيث

أمرتك » فقلت : نعم أنا اذهب يارسول الله . وكان ﷺ أحسن الناس خلقا ، وأرجح الناس حلما ، واعظم الناس عفوا ، واسخى الناس كفا وكان اجود بالخير من الريح المرسلة. فقال ﷺ يوما لاصحابه وقد اضطروه الى شجرة فخطفت رداءه الشريف فوقف ثم قال « أعطونى ردائي لو كان لى عدد هذه العضاة نعما لقسمته بينكم » — وكان ذلك بالجعرانة فى تقسيم غنائم حنين — وكان ﷺ أشجع الناس قلبا ، وأشدهم باسا، وأشد الناس حياء وكان اشد حياء من البنت البكر فى خدرها، وكان اذا فرح غض طرفه ، واذا أخذه العطاس وضع يده أوثوبه على فيه، وخفض صوته، وربما غطى وجهه بيده أوثوبه . وكان يحب الفال الحسن ، ويغير الأسم القبيح بالحسن . وكان يشاور أصحابه فى الامور ، قالت عائشة رضى الله الله عنها : مارأيت رجلا اكثر مشاورة للرجال من رسول الله ﷺ فدل هذا على فائدة الاستشارة فى كل شئ فاذا كان رسول الله ﷺ الذى ينزل عليه الوحى من رب العزة جل جلاله وقال فى حقه المولى جل وعلا ﴿ما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى علمه شديد القوى﴾ اكثر مشاورة للرجال ، فمابالك بغيره مع انه يجب على كل واحد من الناس اذا رابه أمر ان يستشير أهل الرأى ، والعلم ، والدراية ، والاختصاص ، واننا نرى كثيرا من أهل الغرور يرون الاستشارة حطة مع أن الاغترار بالنفس ضرب من الجنون والحماقة ، لان الاستشارة تفيد من وجهين

(الأول) اذا كان الانسان متردداً بين امرين فبالاستشارة يترجح عنده أحدهما ، و (الثانى) انه اذا اراد عمل شئ يجهله كليا فبالاستشارة من أرباب الاختصاص يعلم ما كان يجهله . وليس على المستشير ان يعمل بكل ما أشير عليه ، فلربما ان رأيه كان أصوب من المستشار ، فبالاستشارة يظهر له ان رايه كان أحسن واولى و يكون قدومه على ذلك العمل بقدم ثابتة . وكان ﷺ اكثر الناس أغضاء عن العورات . وكان اذا كره شيئاً عرف فى وجهه ، ولم يشافه احدا بمكروه ، حتى اذا بلغه عن أحدما يكرهه لم يقل مابال فلان يقول أو يفعل كذا ، بل يقول مابال أقوام يقولون او يفعلون كذا . وكان لايجزى بالسيئة السيئة ولكن يعفو و يصفح وكان صلى الله عليه وسلم اوسع الناس صدراً ، واصدق الناس لهجة ، والينهم عريكة ، واكرمهم عشيرة ، مدعاه أحد من اصحابه اواهل بيته الاقال لبيك ، يخالط اصحابه ويحادثهم و يداعب صبيانهم ويجلسهم فى حجره الشريف ، فقد كان ﷺ يصف اولاد عمه العباس عبد الله وعبيدالله وغيرهما رضى الله عنهم و يقول « من سبق الي فله كذا » فيستبقون اليه فيقعدون على صدره الشريف فيقبلهم و يلتزمهم ، ويجيب دعوة الحر والعبد ، والامة والمسكين ، و يعود المرضى فى أقصى المدينة ، و يشهد الجنائز ، و يقبل عذر المعتذر . وما وضع احد فمه فى أذنه الا استمر صاغيا له حتى يفرغ من حديثه ويذهب ، وما أخذ أحد بيده فيرسل يده منه

حتي يكون الآخذ هو الذى يرسلها .

وكان ﷺ يبدأ من لقيه بالسلام ، و يبدأ اصحابه بالمصافحة ، ولم يرقط مادارجليه بين اصحابه ، ويكرم من يدخل عليه وربما بسط له رداءه وآثره بالوسادة التى تحته ويعزم عليه بالجلوس عليها ان ابى ، و يدعو اصحابه باحب اسمائهم و يكنيهم ، ولا يجلس اليه أحد وهو يصلى الا خفف صلاته وسأله عن حاجته فاذا فرغ عادالى صلاته ، واذا سمع بكاء الصغير وهو يصلى يجوز فيها اى يخففها ، وكان ﷺ اكثر الناس شفقة على خلق الله تعالى وأرأفهم بهم وأرحمهم بهم قال تعالى ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ وكان يقول ﷺ «انما انا عبد آكل كما يأكل العبد وأجلس كما يجلس العبد » وكان يركب الحمار وربما ركبه عريانا و يردف خلفه . وكان يجلس على الارض ، و يشرب قائما وقاعدا ، و يصلى منتعلا وحافيا .

وكان ﷺ يحب التيامن فى شأنه كله ، وكان يحب السواك ، وكان يكتحل بالاثمد ، ويحلب شاته ، ويخصف نعله ، و يرقع ثوبه ، ويخدم نفسه ، ويعلف ناضحه ، وهو الجمل الذى يسقى عليه الماء — و يقم البيت — اى ينظفه من القمائم بنفسه — قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يعمل عمل البيت ، وا كثر مايعمل الخياطة ، ومايرى فارغا قط في بيته ، إما يخصف نعلا لرجل مسكين ، او يخيط ثو با لارملة. وكان يأكل مع الخادم ، ويحمل بضاعته من السوق ، و يحب الطيب

و يامر به ، وكان يتطيب بالمسك والغالية ، و يتبخر بالعود والعنبر والكافور ، ويأمر اصحابه بالمشى امامه ، وكان زاهدا فى الدنيا ماترك درهما ولا دينارا ، توفي ودرعه مرهونة فى ثلاثين صاعا من شعير لنفقة عياله . وقال ﷺ « ما ابالى بما رددت به عنى الجوع » ولم ينخل له ﷺ دقيق الشعير ، قالت عائشة رضى الله عنها : والذي بعث محمدا بالحق ما راى منخلا ، ولا اكل خبزا منخولا منذ بعثه الله تعالى الى ان قبض . وقال ﷺ « مالى وللدنيا انما انا فى الدنيا كرجل سار فى يوم صائف فاستظل تحت شجرة حتى ما ل الفئ فتركها ولم يرجع اليها » وجاءت فاطمة رضى الله عنها بكسرة خبز الى النبى ﷺ فقال « ماهذه الكسرة يافاطمة ؟ قالت قرص خبزته فلم تطب نفسى حتى أتيتك بهذه الكسرة فقال ﷺ « اما انه اول طعام دخل فم ابيك منذ ثلاثة ايام » . قال ابوهريرة رضى الله عنه : كان يمر هلال ثم هلال لايوقد فى بيت من بيوت رسول الله ﷺ نار لاخبز ولا لطبخ . فقيل له بأى شئ كانوا يعيشون ياابا هريرة ؟ فقال بالاسودين الماء ، والتمر . وقال ابن عباس رضى الله عنهما والله لقد كان يأتى على آل محمد ﷺ الليالي ما يجدون فيها عشاء . وقالت عائشة رضى الله عنها : أهدى لنا ابو بكر شاة انى لاقطعها مع رسول الله ﷺ فى ظلمة البيت . فقال لها قائل : اما كان لكم سراج ؟ فقالت : لو كان لنا ما نسرج به أكلناه . وذلك لانهم كانوا يسرجون مصابحهم بالدهن .

وكان ﷺ لا يجمع فى بطنه بين طعامين ، ان أكل لحما لم يزد عليه ، وان أكل تمراً لم يزد عليه ، وان أكل خبزاً لم يزد عليه .

هذا بعض ماورد فى مكارم اخلاق رسول الله ﷺ ، وحسن عشرته ، وصبره ، وملاطفته ، ورعايته ، وتسامحه ، وغير ذلك مما هو متصف به من أجل الفضائل ، قدلخصته من اصح المصادر حيث ان مكارم اخلاقه اكثر من ان تحصر ، فعلم من ذلك ان رسول الله ﷺ كان لا يهمّ من امر الدنيا وملاذها شئ ، ولا يكترث لبهجتها ، ولا يتطلع الى شنشنتها ، وانما كانت جهوده منحصرة فى دعوة الناس الى الله تعالى ، وجمع كلمتهم على توحيده ، والنهوض بهم الى سلوك سبيل الهدى والرشاد ، وحثهم على مكارم الاخلاق التى عليها مدار سعادة الانسان ، والأخذ بأيديهم الى أوج السعادة والارتقاء ، وكم قد تحمل في سبيل التفاهم مع قومه ، وأهله ، وعشيرته ، وبالاخص مع أولئك الاعراب الجفاة ، ذوى الطباع الشاذة ، والافكار المتحجرة ، والأدمغة الصلدة ، والآراء المتباينة ، والاخلاق المتنافرة ، وكم قد صبر على جفائهم ، وايذائهم ، ومقاطعتهم ، وحروبهم ، وغاراتهم ، وغدرهم ، الى أن توصل بحكمته الباهرة الى تعليمهم ، واصلاحهم ، وارشادهم ، وتطهيرهم من ظلمات الشرك ، والجهل ، والغباوة ، والمكر ، والخديعة ، والطغيان ، حتى صار الرجل منهم بعد ذلك يفتدى دينه ، ونبيه ، وقومه ، وأمته ، ووطنه ، ووحدته العربية ، وجامعته

الاسلامية ، بكل ما أوتى من قوة ، وباعز عزيز لديه ، وحتى بروحه ودمه ، حيث قد فقهوا من تعاليمه ﷺ ان مقصده الوحيد والهدف الذي يرمي اليه هو توحيد المشرب النقي من كل غطرسة ، وجمود ، لأن يكونوا أمة واحدة ، وعلى مبدء واحد ، كي يصونوا أنفسهم من كل ما تعتريهم من تعدي المعتدين على وطنهم ، وأموالهم ، وأنفسهم ، وأهليهم ، بحيث يصيرون صفا واحداً أمام من يريد استئصالهم ، وارهافهم ، فقد أبعدهم عن الشقاق ، والبغضا ، وكل ما كانوا فيه أيام جاهليتهم السحيقة ، إذ أن رسول الله ﷺ قد مثل للعالم أجمع معنى مكارم الاخلاق على أجلى مظاهرها ، وأظهر للملأ انه القدوة لما فيه سعادة الدنيا والآخرة ، فقد شرع لنا السياسة الحكيمة العادلة ، والاجتماع القوى المصان من كل تفكك وتخاذل ، ومكارم الاخلاق القويمة ، وليس على الانسان العاقل المريد للخير الا الاقتداء به ﷺ في كل احواله ، وأعماله ، وأفعاله ، وأخلاقه ، حيث لا حياة ، ولا سعادة ، ولا راحة ، للانسان بغير مكارم الاخلاق الفاضلة ، فالاخلاق هى الحياة ، وهى السعادة ، وهى المجد ، وهى السؤدد ، وهى الفخار ، وهي كل شئ ، فلا تتبارى الأمم ، والشعوب ، والقبائل ، الا بمكارم الاخلاق ، فبها يتفاخرون ، وبها يتفاضلون ، وفيها يتنافسون ، ومنها يغذون أرواحهم ، وكل أمة متى فسدت أخلاقها فمصيرها الى الدمار ، إذ أن بفساد أخلاقها يتكاثفها الشر ، ويتكالب عليها التفكك ،

ويتألب عليها الخزي والخسران . وهذا ظاهر من حالة الأمم فالشقى منها من فسدت اخلاقه ، والسعيد فيها من حاز على مكارم الاخلاق ، ولذلك تجد تلك الشرذمة المنبوذة من الانسانية ، والاخلاق الفاضلة ، الذين سموا أنفسهم المشككين والمجددين للبذاءة ولكل حطة ، ورذيلة ، فقد نبذوا للفضيلة ، ومكارم الاخلاق ، اذ يرون ان فى مكارم الأخلاق حطة ، وفي الفضيلة خمولا ، وفى الآداب تأخراً ، وفى البذاءة حرية ، وفى التطاول على الافاضل من الناس اقداما ، وفى التعرض للشخصيات جراءة ، وفى الدناءة والتتبع لفسافس الأمور بحثاً ، وفى الجعجعة بلاغة ، وفي الوقاحة تقدما ، وفى السخرية نقداً ، ولا يخجلون من تسمية أنفسهم أنهم المجددون للآدب ، ولو كانوا يملكون من العقل مثقال ذرة لعلموا أنهم هم المجددون للبذاءة الممقوتة ، والوقاحة المنبوذة ، ولفساد الاخلاق المنحطة ، ولفقهوا أنهم من نسل القردة الذى اثبت نسبهم اليها استاذهم (داروين) بل لو وجدت تلك القردة المنسوبين اليها لتبرءت منهم إذ أنها تراهم أحط منها قدرا ، وأعمق فى الغباوة منها جهلا ، وتراهم بذلك فرحون ، ومن احوالهم الممقوتة عند ذوى العقل مبتهجون ، ومن مقت الناس لهم مسرورون ، لانهم لا يسمعون ، ولا يعقلون ، ولا يفهمون ، وهم فى ظلمات الجهل يسبحون ، صُمٌّ ، بكمٌ ، عمىٌ ، فهم لا يرجعون الى الصواب ولا يعودون الى رشدهم ، حيث قد أصمهم الله وأعمى أبصارهم ،

ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى وأضل سبيلا ، لأن شهوتهم البهيمية قد جعلت على أبصارهم غشاوة فلا يرون الأشياء الا على عكسها فالخير عندهم شر ، والسعادة شقاء ، والعلم جهل ، والجهل علم ، والتنطع فلسفة ، والغباوة فقه ، والثرثرة بلاغة ، فمثلهم كمثل الكلب ان تحمل عليه يلهث ، أو تتركه يلهث ، وقد أصبح أمرهم معلوما عند كل من له مسكة من العقل ، ولو لا اننا رأينا ان هنا بعض الشبيبة الجاهليـة تميل الى آرائهم الممقوتة لما تعرضنا لبيان مذهبهم ومشربهم وما هم فيه من الزيغ والضلال والبذاءة والحطة ، لأجـل ان تظهر لهم حقيقتهم كى يكونوا على بصيرة من غوايتهم وليفرون منهم فرار السليم من المجذوم ومن ذوى العاهـة ، لأن المرض الذي اصـاب عقولهم ، وأفهامهم ، وأخلاقهم ، هو المرض العضال الذي لا يرجي شفاؤه ولا يبرأ منه إنسان أصيب به كمثل (السّل) اذا أصاب الرئة فلا يزال يسرى منها على البدن ولا يفارقه حتى يورده حتفه والله الهادى الى صراطه المستقيم .

أحواله صلى الله عليه وسلم الشخصية

شرابه

صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ أحوال شخصية في مأكله ومشربه وملبسه وغير ذلك وهي تدل على عفافه وبعده عن زخارف الدنيا فقد اتينا على شيء منها لاتمام الفائدة . أما شرابه ﷺ فكان يستعذب له الماء وكان يشرب العسل الممزوج بالماء البارد، وقالت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها : كان احب الشراب اليه ﷺ الحلو البارد . وكان ﷺ يشرب اللبن خالصا تارة ، وتارة مشوبا بالماء البارد ، وكان يتنفس فى شرابه ثلاثا ويقول انه أروى وامرئ وابرد. وكان تنفسه خارج الاناء فاذا تنفس عاد الى الشرب

لباسه

صلى الله عليه وسلم

قال القاضى عياض رضى الله عنه : كان ﷺ قد اقتصر منه على ما تدعوه ضرورته اليه وزهد فيما سواه فكان يلبس ما وجده فيلبس فى غالب أحواله الشملة والكساء الخشن والاردية والازر ويقسم على من

حضره أقبية الديباج المخوصة بالذهب ويرفع لمن لم يحضر . وقال ﷺ « ان كرامة المؤمن على الله عز وجل نقاوة ثوبه ورضاه باليسير » ورأى ﷺ رجلا وسخة ثيابه فقال « أما وجد هذا شيئا ينقي به ثيابه » فقد كانت سيرته ﷺ فى ملبسه أتم وأنفع للبدن وأخفه عليه ، فانه لم تكن عمامته بالكبيرة التى يؤذي حملها ولا بالصغيرة التى تقصر عن وقاية الرأس من الحر ، والبرد ، بل وسطاً بين ذلك وكان يدخل منها تحت حنكه . وكان ﷺ لم يطول أكمامه ويوسعها ، بل كان كم قميصه الى الرسغ وهو منتهى الكف عند المفصل ولا يقصره عن هذا ، وكان ذيل قميصه ورداؤه الى انصاف الساقين ولم يتجاوز الكعبين ولم يقصر عن عضلة ساقيه .

قال ابن القيم رحمه الله : وأما هذه الاكمام الواسعة الطوال التى هى كالأخراج ، وعمائم كالأبراج ، فلم يلبسها ﷺ هو ولا أحد من أصحابه وهي مخالفة لسنة وفى جوزها نظر فانها من جنس الخيلاء انتهى . وكان أحب الثياب الى رسول الله ﷺ القميص والحبرة — والحبرة ضرب من البرود فيه حمرة — قال ابو رمثة : رأيت رسول الله ﷺ وعليه بردان أخضران . ولبس ﷺ جبة رومية ضيقة الكمين ، ولبس ثوبا أبيض ، وكان ﷺ يلبس الصوف ، وكان له كساء ملبد يلبسه ويقول « انما أنا عبد ألبس كما يلبس العبد » ورأى رسول الله ﷺ رجلا عليه ثوب دون فقال له « هل لك من مال ؟ » قال نعم ، قال « من أي المال ؟ » قال من كل

ما أتى الله من الأبل ، والشاء ، قال « فاذا أتاك الله مالا فلير أثر نعمته عليك وكرامته » وقال ﷺ « ان الله جميل يحب الجمال » وقال « ان الله نظيف يحب النظافة » وقال « ان الله تعالى يحب أن يرى أثر نعمته عل عبده » وفي هذا ما يدل على جواز لبس كل فاخر ونظيف من الثياب والأردية بل وعلى استحبابه لكل من يستطيع لبس الفاخر من أصحاب المال لقوله ﷺ « ان الله يحب ان يرى أثر نعمته على عبده » واما النظافة فهى من الايمان ، وهي واجبة على كل مسلم ان ينظف بدنه وثيابه كيفما كانت حالته لأن النظافة لا تكلفه شيئاً من المال بل عليه غسل ثيابه وبدنه بالماء ، وليس المراد بالتقشف هو الوساخة ، فالوساخة شئ والتقشف شئ آخر ، حيث ان التقشف هو الزهد فى ملاذ الدنيا وزخرفها ، والتقشف بالأغنياء أولى من الفقراء ولكن بشرط ان لا يكنزوا المال ويضنوا به على الفقراء ، فشرط التقشف هو أن يزهد في ملاذ الدنيا ويجود بما فى يديه من المال على الفقراء وذوي الحاجة وعلى المدارس والملاجئ الخيرية وفي عموم وجوه البر والاحسان ، واننا نرى كثيراً من الناس يضن بالمال ويبخل به على نفسه وأهله وأولاده ، ويزعم انه يريد بذلك التقشف مع انه لا يريد الا الشح المريع ويقضى حياته فى حرمان ويموت غير مأسوف عليه من أهله وولده اذ يرون ان السعادة أتتهم بفقده . اللهم الهمنا الرشد .

وكان ﷺ يلبس حلة حمراء . قال البراء بن عازب رضى الله عنه : ما رأيت أحدا من الناس احسن فى حلة حمراء من رسول الله ﷺ قال الحافظ ابن القيم رحمه الله الحلة الحمراء بردان يمانيان منسوجان بخطوط حمر مع الاسود كسائر البرود اليمانية . وقال جابر بن عبد الله رضى الله عنه : كان رسول الله ﷺ يلبس برده الأحمر فى العيدين والجمعة . وقال عروة : ان ثوب رسول الله ﷺ الذى كان يخرج فيه الى الوفود رداء أخضر فى طول اربعة اذرع وعرضه ذراعان وشبر . وعن اسماء بنت ابى بكر رضى الله عنهما أنها اخرجت جبة طيالسة كسروانية لها لبنة ديباج وفرجاها مكفوفان بالديباج وقالت : هذه جبة رسول الله ﷺ كانت عند عائشة فلما قبضت قبضتها وكان النبى ﷺ يلبسها فنحن نغسلها للمرضى نستشفى بها . رواه مسلم . ولبس ﷺ خاتم فضة فيه فص حبشى وكان يجعل فصه مما يلى كفه فكان فى يده ، ثم كان فى يد ابى بكر ، ثم فى يد عمر ، ثم كان في يد عثمان حتي وقع فى بئر (أريس) رواه الشيخان . واما السراويل ففى كونها لبسها النبى ﷺ خلاف . واما الخف فروى الترمذى عن بريدة ان النجاشى اهدى للنبى ﷺ خفين اسودين ساذجين فلبسهما ثم توضأ ومسح عليها . واهدى دحية للنبي ﷺ خفين فلبسهما . واما النعل فقد لبسه النبي ﷺ . ففى البخاري ان نعل النبى ﷺ كان له قبالان — والقبالان هو السير الذى

يكون بين الاصبعين — وقال ابن عمر رضى الله عنهما : رأيت رسول الله ﷺ يلبس النعال التى ليس فيها شعر ويتوضأ فيها . وعن عمرو ابن حريث قال رايت رسول الله ﷺ يصلى فى نعلين مخصوفتين . قالت عائشة رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يحب التيمن ما استطاع فى ترجله وتنعله وطهوره . قال ﷺ « اذا انتقل احدكم فليبدأ باليمين فاذا نزع فليبدأ بالشمال لتكن اليمنى اولهما تنعل وآخرهما تنزع »

فحاصل ما تقدم أن النبي ﷺ كان يلبس كل ما هو نظيف وموجود فى عصره الا ما كان من ذهب او حرير فيما نهى عن لبسه للرجال ولم يتقيد بنوع من انواع اللباس أوشكل من الاشكال ، فقد لبس كل ما جاءه من بلاد الروم ، والقبط ، والحبشة ، وهذا لا يدل على التشبه باهل الكفر ، إذ أن الجواز شئ ، والتشبه بالكفر شئ آخر ، وقد ادى الغرور بعض المسلمين الى التزيى بزي الافرنج حتى إذا رأيته لا تظنه الا انه من الافرنج شكلا ، ومن المجاذيب عقلا ، وهو اشد سخرية عند الافرنج أنفسهم إذ أنه زهد فى أردية قومه وزيهم ، وتزيّ بزيّ من هو منبوذ عندهم ، وقد أصبح مُذَبْذَبًا لا الى هؤلاء ولا الى هؤلاء فحسبنا الله ونعم الوكيل .

فراشه

صلى الله عليه وسلم

كان فراش رسول الله ﷺ الذي ينام عليه ادماً حشوه الليف قالت عائشة رضى الله عنها : دَخَلَتْ عَلَيَّ امرأت من الانصار فرأت فراش رسول الله ﷺ قطيفة متينة ، فبعثت الي بفراش حشوه الصوف فدخل عليَّ رسول الله ﷺ فقال « ما هذا يا عائشة ؟ » قلت يارسول الله فلانة الانصارية دخلت فرأت فراشك فبعثت الىَّ بهذا فقال «رديه يا عائشة فوالله لو شئت لاجرى الله معى جبال الذهب والفضة » قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : نام رسول الله ﷺ على حصير فقام وقد اثر فى جنبه . قال عمر بن الخطاب رضى الله عنه : دخلت على رسول الله ﷺ وهو على حصير فجلست فاذا عليه ازاره وليس عليه غيره واذا الحصير قد اثر فى جنبه ، واذا انا بقبضة من الشعير نحو الصاع واذا اهاب معلق فأبتدرة عيناي ، فقال ﷺ « ما يبكيك يا ابن الخطاب ؟ » فقلت يانبى الله ومالى لا ابكى وهذا الحصير قد اثر فى جنبك ، وهذه خزائنك لا ارى فيها الا ما ارى ، وذاك كسرى ، وقيصر ، فى الثمار ، والانهار ، وانت نبى الله وصفوته وهذه خزائنك ، قال « يا ابن الخطاب اما ترضى ان تكون لنا الآخرة ولهم الدنيا » قالت عائشة رضى الله عنها

كان لرسول الله ﷺ سرير مرمل بالبردي عليه كساء اسود وقد حشوناه بالبردي ، وقالت رضى الله عنها انها كانت تفرش لرسول الله ﷺ عباءة مثنية طاقين ، ففى بعض الليالي ربعتها فنام ﷺ عليها ثم قال ﷺ « يا عائشة ما لفراشى الليلة ليس كما يكون ؟ » قلت يا رسول الله ربعتها ، قال « وأعيديه كما كان » وكان يصلى ﷺ على الحصير وعلى الفروة المدبوغة .

وحاصل ذلك ان النبي ﷺ ما كان يكترث بالفراش ولا بملذات الدنيا التى يحتفل بها الناس حتى فى عصره ولو اراد لأفترش أفخر الرياش وأبهاها ، وهذا شأن كبار النفوس فانك تجد من هو اقل رتبة من درجة الانبياء لا يحفل بملاذ الدنيا ونعيمها مع القدرة على ايجاد كل ما يشتهى لان تلك النفوس تطمح الى ما هو أعلا من ذلك واجل شأنا ، تتطلع الى ما ادخره الله لهم فى الآخرة لان متاع الدنيا قليل والآخرة خير لمن اتقى ، وأين المتقون ؟ ؟

معجزاته

صلى الله عليه وسلم

تقدم فى سياق حياته ﷺ كثير مما وقع من المعجزات بحسب المقتضيات فى مواضع شتى وقد دون كثير من العلماء فى المعجزات الأجزاء الضخمة وانما اردت أن آتي بشئ منها وفى مقدمتها (القرآن المجيد) المنزل على رسول الله ﷺ من العزيز الحميد فهو المعجزة الكبرى الذي مضى على اعجازه أربعة عشر قرنا وهو الآن بين أيدينا وإعجازه يتحدى كل ملحد ، وناعق ، ومكابر وجاحد ، وأرعن معاند ، فقد كتب كثير من العلماء قديما وحديثا فى بيان أوجه إعجازه واليك بعض ما قاله القاضى عياض ملخصا ، قال القاضى رحمه الله : اعلم أن كتاب الله العزيز مُنْطَوٍ على وجوه من الاعجاز كثيرة ، وتحصيلها من جهة ضبط أنواعها في أربعة وجوه ، (اولها) حسن تأليفه ، والتئام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه ايجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب ، وذلك انهم كانوا أرباب هذا الشأن ، وفرسان الكلام ، قد خصوا من البلاغة والحكم ما لم يُخص به غيرهم من الامم ، وأوتوا من ذرابة اللسان ما لم يؤت إنسان ، ومن فصل الخطاب ما يفيد الالباب ، جعل الله ذلك طبعاً وخلقة ، وفيهم غريزة وقوة يأتون منه على البديهة بالعجب ، ويدلون به الى كل سبب ، فيخطبون بديهاً فى المقامات ، وشديد الخَطْبِ ، ويرتجزون به بين الطعن والضرب ، ويمدحون ،

وبقدحون ، ويتوسلون ، ويتوصلون ، ويرفعون ، ويضعون ، فيأتون بذلك بالسحر الحلال ، ويطوقون من أوصافهم أجمل من سمط اللآل ، فيجدعون الألباب ، ويذللون الصعاب ، ويذهبون الاحن ، ويهيجون الدمن ، ويجرؤن الجبان ، ويبسطون من يد الجعد البنان ، ويصيرون الناقص كاملا ، ويتركون النبيه خاملا ، منهم البدوى ذو اللفظ الجزل ، والقول الفصل ، والكلام الفخم ، والطبع الجوهرى ، والمنزع القوي ، ومنهم الحضري ذو البلاغة البارعة ، والألفاظ الناصعة ، والكلمات الجامعة ، والطبع السهل ، والتصرف فى القول القليل الكلفة ، الكثير الرونق ، الرقيق الحاشية ، وكلا البابين له في البلاغة الحجة البالغة ، والقوة الدامغة ، والقدح الفالج ، والمهيج الناهج ، لا يشكون ان الكلام طوع مرادهم والبلاغة ملك قيادهم . الى أن قال : فما راعهم الا رسول كريم بكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ، أحكمت آياته ، وفصلت كلماته ، بهرت بلاغته العقول ، وظهرت فصاحته على كل معقول ، وتظافر إيجازه ، واعجازه ، وتظاهرت حقيقته ومجازه ، وتبارت فى الحسن مطالعه ، ومقاطعه ، وحوت كل البيان جوامعه وبدائعه ، واعتدل مع ايجازه حسن نظمه ، وانطبق على كثرة فوائده مختار لفظه ، وهم أفصح ما كانوا فى هذا الباب مجالا ، واشهر فى الخطابة رجالا ، وأكثر فى السجع والشعر ارتجالا ، وأوسع فى الغريب

واللغة مقالا بلغتهم التى بها يتحاورون ، ومنازعهم التى عنها يتناضلون ، صارخا بهم في كل حين ، ومقرعا لهم بضعا وعشرين عاما على رؤس الملا أجمعين ، ﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ ﴾ و قوله ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ الى قوله ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ وقوله ﴿ قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ ﴾ الآية ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾ ولم يزل ﷺ يقرعهم أشد التقريع ، ويوبخهم أشد التوبيخ ، ويسفه أحلامهم ، ويحط أعلامهم ويشتت نظامهم ويذم آلهتهم ، وآباءهم ، ويستبيح ارضهم ، وديارهم ، وأموالهم ، وهم فى كل هذا ناقصون عن معارضته ، محجمون عن مماثلته ، مخادعون أنفسهم بالتشغيب ، والتكذيب ، والاعتراء بالافتراء ، وقولهم : ان هذا الا سحر يؤثر ، وسحر مستمر ، وإفك افتراه ، وأساطير الأولين ، والمباهتة والرضا بالدنية كقولهم قلوبنا غلف ، وفى أكنة مما تدعونا اليه ، وفى آذاننا وقر ، ومن بيننا و بينك حجاب ، ولا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون ، والادعاء مع العجز بقولهم : لو نشاء لقلنا مثل هذا ، وقد قال لهم الله ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ فما فعلوا ولا قدروا ، ومن تعاطى ذلك من سخفائهم كمسيلمة كشف عواره لجميعهم ، وسلبهم الله ما الفوه من فصيح كلامهم والا فلم

يَخْفَ على اهل الميز منهم انه ليس من نمط فصاحتهم، ولا جنس بلاغتهم بل ولوا عنه مدبرين، وأتوا مذعنين، من بين مهمتد و بين مفتون، هذا وقد أسلم كثير منهم عند بديهة سماعه، وسجد آخرون، دهشة لقوته، وبكى آناس منهم فرقا، وأعترتهم روعة لمفاجأته، وكلهم ممن لم يفهم معناه ولا تفسيره، روي ان نصرانيا سمع قارئا فوقف يبكي فقال بكيت للشجا والنظم، وأن أعرابيا سمع قارئا يتلو ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ فخر ساجداً وقال سجدت لفصاحته — وأتى هنا بما تقدم في السيرة من سماع عتبة بن ربيعة وغيره للقرآن واقرارهم بعجزهم — الى ان قال وأنت اذا تأملت قوله تعالى ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ ﴾ وقوله ﴿ وَلَوْ تَرَى إِذْ فَزِعُوا فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ ﴾ وقوله ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴾ وقوله ﴿ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي ﴾ الآية وقوله ﴿ فَكُلًّا أَخَذْنَا بِذَنْبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا ﴾ الآية. وأشباهها من الآي بل أكثر القرآن حققت ما بينة من أعجاز ألفاظها، وكثرة معانيها، وديباجة عبارتها، وحسن تأليف حروفها، وتلائم كلها، وان تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة، وفصولا جمة، وعلوماً زواخر، ملئت الدواوين من بعض ما استفيد منها، وكثرت المقالات في المستنبطات عنها، ثم هو في سرد القصص الطوال وأخبار القرون

السا لفة التى يضعف في عادة الفصحاء عندها الكلام ويذهب ماء البيان آية لمتأمله من ربط الكلام بعضه ببعض والتئام سرده وتناصف وجهه كقصة يوسف على طولها ، ثم إذا ترددت قصة اختلفت العبارات عنها على كثرة ترددها حتى تكاد كل واحدة تنسى فى البيان صاحبتها ، وتناصف فى الحسن وجه مقابلتها ، ولا نفور للنفس من ترديدها ، ولا معادات لمعادها ، (الوجه الثاني) من إعجازه صورة نظمه العجيب والاسلوب الغريب المخالف لاسا ليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ، ووقفة مقاطع آيه ، وانتهاء فواصل كلماته اليه ، ولا يوجد قبله ولا بعده نظيرله ، ولا استطاع احد مماثلة شئ منه ، بل حارت فيه عقولهم وتدلهت دونه أحلامهم ، ولم يهتدوا الى مثله في جنس كلامهم من نثر ، او نظم ، او سجع ، اورجز ، اوشعر ، ولهذا ماروى عن الوليد بن المغيرة وقد سئل عنه فقال : والله ما منكم أحد أعلم بالأشعار منى والله ما يشبه الذي يقول شيئا من هذا . وقال عتبة بن ربيعة يا قوم قد علمتم انى لم أترك شيئا الا وقد علمته وقرأته وقلته ، والله لقد سمعت قولا والله ما سمعت مثله قط ، ما هو بالشعر ، ولا بالسحر ، ولا بالكهانة . ونحوه ماروى فى اسلام أبي ذر رضي الله عنه — وقد تقدمت قصته فى اسلامه في الجزء الاول — ثم قال ومع ذلك فقد كانو أحرص شئ على معارضته ، واخفاء ظهوره ، واطفاء نوره ، لقيام التحدى ، فماجلوا فى ذلك خيبة من بنات شفاههم ، ولا أنوا بنطفة من معين مياههم ،

مع طول الأمد ، وكثرة العدد ، وتظاهر الوالد ، وما ولد ، بل أبلسوا فما نبسوا ومنعوا فأنقطعوا . هذا وقد كانوا أعظم قرون الدنيا فى الفصاحة ، والبلاغة ، وتوابعهما ، وكان ذلك همتهم وقصاراهم — غاية أمرهم — فكانوا يجتمعون فى مواسمهم ومجامعهم للتفاخر بالخطابة والشعر ، وهذا كما قالوا ان الله سبحانه وتعالى لم يبعث رسولا الا جعل معجزاته بحسب الفن الذي يعظمه أهل زمانه و بعث الله محمداً ﷺ وحمله معارف العرب وعلومها وهى أربعة الخطب ، والشعر ، والخبر ، والكهانة ، فأنزل الله عليه القرآن الخارق لهذه الأربعة فلم يهتدوا فى المنظوم الى طريقه ، ولا علموا فى اساليب الأوزان منهجه ، وأكبر على الكوائن والاحداث ومخبآت الضمائر بما ظهر فيه صدقه ، واعترف المخبر عنه بصحة ذلك وان كان أعدى الاعادي وأبطل الكهانة التى تصدق مرة وتكذب عشرا ، ثم اجتثها من أصلها برجم الشهب ورصد النجوم ، وجاء من الاخبار عن القرون السالفة ، وأنباء الانبياء ، والأمم البائدة والحوادث ما يعجز من تفرغ لهذا العلم عن بعضه على ما سيأتى فى الوجهين الآخرين (الوجه الثالث) من إعجازه على يد النبى ﷺ ما انطوى عليه من الأخبار بالمغيبات ومالم يكن يقع فوجد كما ورد على الوجه الذى أخبر كأخباره عن الفتح ، وعن غلبة الروم ، واستخلاف الله المؤمنين فى الأرض ، وقوله تعالى ﴿ سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ . قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللهُ بِأَيْدِيكُمْ ﴾ وغير ذلك من كشف أسرار المنافقين

واليهود وهتك أستارهم الى غير ذلك مما أخبر به من الكوائن والاحداث في العصور الآتية ، ومن آيات ذلك انه لم يمر عصر ولا زمن الا ويظهر فيه صدقه بظهور مخبره على ما أخبر ، فيتجدد الايمان ، ويتظاهر البرهان ، وليس الخبر كالعيان ، والمشاهدة زيادة فى اليقين ، والنفس أشد طمأنينة الى عين اليقين ، منها الى علم اليقين ، وإن كان كل واحد عندها حقاً . وسائر معجزات الأنبياء صلوات الله عليهم انقرضت بانقراضهم وعدمت بعدم ذواتها ومعجزة نبينا ﷺ لا تبيد ولا تنقطع وآياته تجدد ولا تضمحل . (الوجه الرابع) من إعجازه ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة والامم البائدة والشرائع الداثرة مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة الا الفذ من أحبار اهل الكتاب الذى قطع عمره فى تعلم ذلك ، وقد علم انه ﷺ أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارسة ولا مثافنة — اى مجالسة — وقد كان علماء الكتاب يقترحون عليه السؤالات فينزل لوحى بأخبارهم كقصص الأنبياء مع قومهم وخبر موسى والخضر ، ويوسف واخوته ، وأصحاب الكهف ، وذى القرنين ، ولقمان وابنه ، وأشباه ذلك مما صدقه فيه علماء الكتاب وأذعنوا له ولم يحك عن احد منهم مع شدة عداوتهم وحسدهم انه كذبه في شيء من ذلك ، ولا أظهر خلاف قوله من كتبه ، ولا أبدى صحيحاً ولا سقيما من صحفه قال تعالى ﴿ يا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

الى آخر ما ذكره القاضي عياض رحمه الله تعالى في الشفاء ومن اراد الازدياد من ذلك فليراجع الشفاء ، وقد اقتصرة على ما اخذته منه لضيق المقام ولأن القرآن موجود بين ايدينا بسوره ، وآياته ، وكلماته ، وحروفه ؛ لم يبدل فيه حرف واحد ؛ ولا يحتاج الى من يترجم عنه ؛ فهو يثبت نفسه بنفسه ، ولا يحتاج ايضاً الى بيان وتوضيح ، فهو من يوم أنزل على نبينا محمد ﷺ الى اليوم والى يوم القيامة معجزة ظاهرة محسوسة ملموسة ، واما قول طاغية الالحاد لتلامذته : ضعوا القرآن أمامكم موضع الكتب العادية وانتقدوه بشجاعة : الى آخر ماقال فقد تقدم الرد عليه وتبين فيه غاية ما وصل اليه ذلك الوغد الغبي من التعمق في هاوية الجهل الى حد بعيد لم يصل اليه احد غيره وقد امتاز على أمثاله من الأغبياء بشدة التعمق في الجهل فليراجع في آخر الجزء الثالث . وقد اكتفيت بمعجزة القرآن الذى هو بين ايدينا والى يوم القيامة معجزة ظاهرة . ولكل باحث فهمه بقدر علمه ، ولكل غبي جهله بقدر حماقته .

ومما يؤلم كل من في قلبه مثقال ذرة من إيمان ان بعض من يزعم انه من حماة الاسلام اوسماه من على شاكلته ، يحاول إنكار بعض ماجاء صريحاً في القرآن المجيد ، وصحيحي البخارى ومسلم لارضاء الماديين ، والماديون لا يرضيهم الا زوال الاسلام والكتاب المنزل على نبي الاسلام وما صح عن نبي الاسلام من تعاليم وشرائع وحكم وإصلاح ، وتراهم في مذهبهم

المادى اثبت من أولئك الذين سموا انفسهم زعماء للاسلام فلو كانوا زعماء الاسلام كما يزعمون لوجدوا فى القرآن مايدحض حجج الماديين وغيرهم ولقنعوا من حالة الماديين بكونهم كلما اسسوا نظرية هدموها بأنفسهم بنظرية اخرى وهم من يوم خلقت الدنيا الى يومنا هذا والى يوم القيامة على هذا الحال وانى أذكر القارى بنظريتهم التى اسسوها فى العصر الحاضر في اصل الانسان وكونه تناسل من القردة ثم ما لبثوا ان هدموا ما اسسوه في ذلك بأنفسهم وقالوا ان العلم ابان لهم فسادها ، وذلك بعد ان سموا بنظريتهم الفاسدة افكار قسم عظيم من العصريين وبالاخص ممن تربع في بعض المدن الاسلامية على كراسى التدريس . وليس الذنب ذنب الماديين بل هو ذنب المخدوعين من المسلمين بكل ماجاءهم عن الغرب من غث وسمين ، وتقليدهم فى ذلك تقليداً أعمى ، حيث لم يكن عن تبصر وتدبر ، وذلك لاجل ان لايريهم الماديون بالجمود والتعصب لدين الاسلام ، فأصبحوا بذلك أغبياء حمقاء من حيث لا يشعرون فلو انهم كانوا على هدى من ربهم ورحمة ، لاجهدوا أنفسهم فى فهم القرآن المجيد وما جاء فيه من حكم وتعاليم وتمدن وعمران وتحليل المادة ثم أرشدوا تلامذتهم أو من يعتقد فيهم الفهم وقوة الادراك وسلكوا بهم سبيل الهدى والرشاد ولكن (من يهد الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له) والله ولي التوفيق .

اولاده

صلى الله عليه وسلم

قد تقدم ذكر أولاده من أم المؤمنين خديجة رضى الله عنها فى الجزء الاول من هذا الكتاب وكلهم ولدوا بمكة ، واما ابراهيم بن رسول الله ﷺ فقد ولد بالمدينة من مارية القبطية ، وكانت ولادته فى ذي الحجة سنة ثمان من الهجرة بالعالية فى المال الذي يقال له اليوم مشربة إبراهيم بالقف ، وكانت قابلتها سلمى مولاة النبى ﷺ امرأة ابى رافع ، فبشر به ابو رافع النبى ﷺ فوهب له عبداً ، فلما كان يوم سابعه عق عنه بكبش ، وحلق رأسه حلقه ابوهند ، وسماه يومئذ ، وتصدق بوزن شعره ورقاً اي فضة على المساكين ، واخذوا شعره فدفنوه في الارض ، وتنافس الأنصار فيمن يرضعه وأحبوا أن يفرغوا مارية للنبى ﷺ لما يعلمون من هواه فيها ، وكانت لرسول الله ﷺ قطعة من ضأن ترعى بالقف ، ولقاح بذى الجدر تروح عليها فكانت تؤتى بلبنها كل ليلة فتشرب منه وتسقى إبنها ، فجاءت أم بردة بنت المنذر بن زيد الانصارى زوجة البراء بن أوس فكلمت رسول الله ﷺ فى أن ترضعه ، فكانت ترضعه بلبن إبنها فى بنى مازن بن النجار وترجع به الى أمه ، وأعطى رسول الله ﷺ أم بردة قطعت من نخل فناقلت بها الى مال عبدالله بن زمعة ، وتوفي إبراهيم فى بنى مزن عند أم بردة وحمل من بيتها على سرير صغير بعد أن غسلته أم بردة وصلى عليه رسول الله

ﷺ بالبقيع وقال « ندفنه عند فرطنا عثمان بن مظعون » قال أنس بن مالك رضى الله عنه فى موت ابراهيم : فدمعت عينا النبى ﷺ فقال « تدمع العين ويحزن القلب ولا نقول الا ما يرضى الرب وانا بك يا ابراهيم لمحزونون » وتوفى ابراهيم وهو ابن ثمانية عشر شهراً . ووافق موته كسوف الشمس فقال قوم ان الشمس انكسفت لموته ، فخطبهم رسول الله ﷺ فقال « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا يخسفان لموت أحد ولا لحياته فاذا رأيتم ذلك فافزعوا الى ذكر الله والصلاة » هذا ملخص من الاستيعاب للحافظ ابن عبد البر .

أزواجه الطاهرات

تزوج رسول الله ﷺ احدى عشرة امرأة ، ستة من قريش وهن خديجة بنت خويلد ، وعائشة بنت ابى بكر الصديق ، وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وأم حبيبة بنت ابى سفيان بن حرب ، وأم سلمة بنت ابى أمية بن المغيرة بن عبد الله المخزومى ، وسودة بنت زمعة بن قيس ابن عبد شمس . وأربع عربيات وهن زينب بنت جحش بن رياب ، وميمونة بنت الحارث الهلالية ، وزينب بنت خزاعة الهلالية أم المساكين ، وجويرية بنت الحارث الخزاعية المصطلقية . وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل وهي صفية بنت حيى من يهود بنى النضير . ومات منهن عند

رسول الله ﷺ وفى عصمته اثنتان خديجة ، وزينب أم المساكين . ومات ﷺ عن التسع الباقيات وقد ذكر أسماءهن الحافظ ابو الحسن بن الفضل المقدسى نظما فقال :

توفى رسول الله عن تسع نسوة اليهن تعزى المكرمات وتنسب

فعائشة ، ميمونة ، وصفية ، وحفصة ، تتلوهن هند ، وزينب ،

جويرية ، مع رملة ، ثم سودة ، ثلاث وست ذكرهن مهذب

فاول امرأة تزوجها رسول الله ﷺ منهن أم المؤمنين خديجة بنت خويلد رضى الله عنها ولم يتزوج ﷺ عليها حتى ماتت كما تقدم تفصيل ذلك فى الجزء الاول .

ثم سودة بنت زمعة أم المؤمنين رضى الله عنها وأمها الشموس بنت قيس وقد تقدم فى الجزء الاول ذكر زواجه بها ﷺ ، ولما كبرت سودة أراد ﷺ طلاقها فسألته أن لا يفعل وجعلت يومها لعائشة رضى الله عنها فأمسكها الى ان توفى ﷺ عنها وكانت تضحكه أحيانا فقالت سودة مرة لرسول الله ﷺ : صليت خلفك الليلة فركعت بى حتى أمسكت بأنفى مخافة ان يقطر الدم : فضحك — تريد بذلك أنه أطال الركوع بها حتى ظنت من اطالته سيخرج الدم من أنفها — وتوفيت فى آخر خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وأخرج ابن سعد أن عمر بعث الى سودة بغرارة من دراهم فقالت ماهذه قالوا دراهم قالت فى غرارة مثل التمر ؟

ففرقتها رضى الله عنها .

ثم عائشة أم المؤمنين رضى الله عنها وقد تقدم ذكر زواجها برسول الله ﷺ وانه لم يتزوج بكراً غيرها في الجزء الاول وكانت مدة مقامها معه ﷺ تسع سنين ومات عنها ولها من العمر ثمانية عشر سنة . وكانت فقيهة عالمه فصيحة كثيرة الحديث عن رسول الله ﷺ عارفة بأيام العرب واشعارها . وروى عنها جماعة كثيرة من الصحابة والتابعين وكان ﷺ يقسم لها ليلتين ليلتها وليلة سودة لماوهبت ليلتها لعائشة ، وكانت تكنى أم عبد الله ولم تلد قط وانما كنيت بعبد الله بن الزبير لان النبى ﷺ تفل فى فيه لما ولد وقال لعائشة هو عبدالله وانت أم عبدالله ، قالت فما زلت اكنى بها . ماتت بالمدينة ليلة الثلاثاء لسبع عشرة خلت من رمضان سنة ثمان وخمسين وهى ابنة ست وستين سنة . وأوصت ان تدفن بالبقيع ليلا وصلى عليها ابوهريرة : وكان يومئذ خليفة مروان على المدينة فى ايام معاوية بن ابى سفيان .

ثم حفصة أم المؤمنين رضى الله عنها بنت عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأمها زينب بنت مظعون فاسلمت وهاجرت ، وكانت قبل أن يتزوجها النبى ﷺ عند خنيس بن حذافة وكان ممن شهد بدراً ومات بالمدينة ، فانقضت عدتها فعرضها عمر على ابو بكر الصديق فسكت فعرضها على عثمان بن عفان حين ماتت رقية بنت النبى ﷺ فقال ما أريد

ان اتزوج اليوم فذكر ذلك عمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال ﷺ « يتزوج حفصة من هو خير من عثمان، ويتزوج عثمان من هو خير من حفصة » فلقى ابو بكر عمر فقال لا تجد علي فان رسول الله ﷺ ذكر حفصة فلم اكن أفشى سر رسول الله ﷺ ولو تركها لتزوجتها . وتزوج رسول الله ﷺ حفصة بعد عائشة سنة ثلاث وكانت ولادتها قبل المبعث بخمس سنين فيكون سنها حين تزوجها رسول الله ﷺ احدي وعشرين سنة، وقد طلقها رسول الله ﷺ تطليقة ثم أُمر أن يراجعها فراجعها . اوصى عمر الى حفصة ، واوصت حفصة الى اخيها عبدالله بما اوصى به اليها عمر؛ وبصدقة تصدقت بها بالغابة . مات رسول الله ﷺ ؟ ومانت هى سنة خمس واربعين ولها من العمر ثلاث وستون سنة ؛ وحمل جنازتها أبو هريرة وأبو سعيد الخدرى رضى الله عنهما ومروان بن الحكم وكان امير المدينة من قبل معاوية رضى الله عنه ورضى عنها .

ثم أم سلمة أم المؤمنين رضى الله عنها واسمها هند بنت أبى أمية بن المغيرة المخزومى ؛ واسم أبيها حذيفة ويلقب بزاد الراكب لانه كان أحد الأجواد فكان اذا سافر لا يترك أحدا يرافقه ومعه زاد بل يكفى رفقته من الزاد وامها عاتكة بنت عامر بن ربيعة الكنانى من بنى فراس، وكانت قبل ان تتزوج برسول الله ﷺ زوج ابن عمها ابى سلمة بن عبدالاسد بن المغيرة فمات عنها فتزوجها النبى ﷺ فى جمادى الاخرة سنة اربع من

الهجرة ، وكانت ممن أسلم قديما هى وزوجها وهاجرا الى الحبشة فولدت له سلمة ، ثم قدما مكة وهاجرا الى المدينة فولدت له عمر ، ودرة ، وزينب ، قالت أم سلمة رضى الله عنها لما انقضت عدة أم سلمة خطبها أبو بكر فلم تتزوجه فبعث النبى ﷺ يخطبها عليه فقالت أخبر رسول الله ﷺ انى امرأة غيرى وانى امرأة مصبية وليس أحد من أوليائى شاهدا فقال صلى الله عليه وسلم « قل لها أما قولك غيرى فسأدعو الله فتذهب غيرتك ، وأما قولك انى امرأة مصبية فسلمين صبيانك ، واما قولك ليس من اوليائى شاهدا فليس أحد من أوليائك شاهد أو غائب يكره ذلك » فقالت لابنها عمر قم فزوج رسول الله ﷺ ، فزوجه . وكانت أم سلمة موصوفة بالجمال البارع ، والعقل البالغ ، والرأى الصائب ، واشارتها على رسول الله ﷺ يوم الحديبية تدل على وفور عقلها وصواب رأيها ، ماتت رضى الله عنها سنة ثلاث وستين من الهجرة وكانت آخر أمهات المؤمنين موتا وصلى عليها أبو هريرة ، أو سعيد بن زيد ، رضى الله عنهما ودفنت بالبقيع ، وكان عمرها اربعا وثمانين سنة رضى الله عنها ، وكان سنها حين تزوجها رسول الله ﷺ خمسا وعشرين سنة .

ثم أم حبيبة ام المؤمنين رضى الله عنها بنت ابى سفيان وأمها صفية بنت ابى العاص وقد تقدم ذكر زواجها على رسول الله ﷺ وكان

خطبها بواسطة النجاشي بالحبشة ، قالت عائشة رضي الله عنها : دعتني ام حبيبة عند موتها فقالت قد كان يكون بيننا مايكون بين الضرائر فتحلليني من ذلك ؟ فحللتها واستغفرت لها ، فقالت سررتني سرك الله. وأرسلت الى ام سلمة بمثل ذلك ، وماتت بالمدينة سنة اربع وأربعين رضي الله عنها فهؤلاء امهات المؤمنين الست القرشيات رضي الله عنهن اجمعين

ثم من العربيات ام المؤمنين زينب بنت جحش وهي ابنة عمة النبي ﷺ اميمة بنت عبد المطلب بن هاشم فكان رسول الله ﷺ زوجها من زيد بن حارثة مولاه فمكثت عنده مدة ثم طلقها فلما انقضت عدتها منه قال ﷺ لزيد بن حارثة «اذهب فاذكرني لها» قال زيد فذهبت اليها فجعلت ظهري الى الباب فقلت يا زينب بعث رسول الله ﷺ يذكرك. فقالت : ما كنت لاحدث شيأ حتى يأمر ربي عز وجل . فقامت الى مسجد لها فأنزل الله تعالى ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ فجاء رسول الله ﷺ فدخل عليها بغير اذن . وقال المنافقون : حرم محمد نساء الولد وقد تزوج امرأة ابنه . فانزل الله تعالى ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية . وكانت زينب تفتخر على ازواج النبي ﷺ تقول : زوجكن آباؤكن وزوجني الله من فوق سبع سموات . وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ زينب . قالت عائشة رضي الله عنها : قال رسول الله ﷺ «اسرعكن لحاقا بي أطولكن يدا» قالت فكنا اذا اجتمعنا

فى بيت احدانا بعد وفاة رسول الله ﷺ نمد أيدينا فى الجدار نتطاول فلم نزل نفعل ذلك حتى توفيت زينب بنت جحش وكانت امرأة قصيرة ولم تكن بأطولنا فعرفنا حينئذ ان النبي ﷺ انما أراد طول اليد بالصدقة وكانت زينب امرأة صناع اليدين فكانت تدبغ وتخرز وتتصدق به فى سبيل الله . وقالت ميمونة بنت الحارث رضى الله عنها كان رسول الله ﷺ يقسم مما افاء الله عليه فى رهط من المهاجرين فتكلمت زينب فانهرها عمر فقال رسول الله ﷺ « خل عنها ياعمر فانها واهة » تزوجها النبى ﷺ سنة ثلاث من الهجرة ونزلت بسببها آية الحجاب وقد وصفت عائشة رضى الله عنها زينب بالوصف الجميل فى قصة الأفك وان الله عصمها بالورع ، قالت : وهى التى كانت تسامينى من ازواج النبى ﷺ ولم تكن امرأة خيرا منها فى الدين واتقى لله تعالى وأصدق حديثا وأوصل للرحم وأعظم صدقة واشد تبذلا لنفسها في العمل الذي تتصدق به وتتقرب به الى الله عزوجل . قالت زينب حين حضرتها الوفاة انى اعددت كفني وان عمر سيبعث الى بكفن فتصدقوا بأحدهما وان استطعتم ان تتصدقوا بحقوى فافعلوا . قالت عمرة بعث عمر بخمسة اثواب بخرها ثوبا ثوبا من الحرانى فكفنت منها وتصدقت عنها أختها حمنة بكفنها الذى كانت أعدته . وكان عطاء زينب اثنى عشر الفا لم تأخذه الا عاما واحدا فجعلت تقول اللهم لايدركنى هذا المال من قابل فانه فتنة ، ثم قسمته فى

أهل رحمها ، وفى اهل الحاجة ، فبلغ عمر فقال : هذه امراة براو بها خير فوقف عليها وارسل بالسلام وقال بلغنى مافرقت ، فأرسل بألف درهم تستبقيها ، فسلكت به ذلك المسلك . تزوجها النبى ﷺ وهى بنت خمس وثلاثين سنة ، وماتت سنة عشرين بالمدينة وهى بنت ثلاث وخمسين سنة ، وصلى عليها عمر بن الخطاب رضى الله عنه ؛ وهى أول من جعل على جنازتها نعش ، وأول من مات بعد رسول الله ﷺ من ازواجه أمهات المؤمنين رضى الله عنها .

ثم أم المؤمنين زينب بنت خزيمة بن الحارث الهلالية وكانت تدعى فى الجاهلية أم المساكين لاطعامها اياهم وتتصدق عليهم ، وكانت تحت عبد الله بن جحش فاستشهد بأحد ، وهى أخت ميمونة بنت الحارث لامها فتزوجها النبى ﷺ وكان دخوله عليها بعد دخوله على حفصة بنت عمر في شهر رمضان سنة ثلاث من الهجرة فاقامت عنده ثمانية أشهر وماتت فى ربيع الآخر سنة أربع من الهجرة ولها من العمر ثلاثون سنة رضى الله عنها .

ثم أم المؤمنين ميمونة رضى الله عنها بنت الحارث الهلالية وأمها هند بنت عوف بن زهير وقد تقدم ذكر زواجها برسول الله ﷺ فى عمرة القضاء .

ثم أم المؤمنين جويرية رضى الله عنها بنت الحارث بن ابي ضرار

ابن حبيب الخزاعية المصطلقية لما غزا النبي ﷺ بنى المصطلق غزوة المريسيع سنة خمس وسباهم وقعت جويرية . وكانت تحت مسافع بن صفوان المصطلقي فى سهم ثابت بن قيس بن شماس فكاتبته على نفسها . قالت عائشة رضى الله عنها : وكانت امرأة حلوة ملاحة لا يراها أحد الا أخذت بنفسه فأتت رسول الله ﷺ تستعينه فى كتابتها فو الله ما هى الا أن رأيتها فكرهتها وقلت يرى منها ماقد رأيت ، فلما دخلت على رسول الله ﷺ قالت : يارسول الله أنا جويرية بنت الحارث سيد قومه وقد أصابنى من البلايا ما لم يخف عليك وقد كاتبت على نفسي فأعنى على كتابتى ؟ فقال ﷺ « أو خير من ذلك أؤدي عنك كتابتك وأتزوجك ؟ » فقالت نعم ، ففعل ذلك ، فبلغ الناس انه قد تزوجها فقالوا : أصهار رسول الله ﷺ فأرسلوا ما كان في ايديهم من بنى المصطلق فلقد أعتق الله بها مائة أهل بيت من بنى المصطلق فما أعلم امرأة اعظم بركة منها على قومها فجاء ها ابوها فقال النبي ﷺ ان بنتى لا يسبى مثلها فحل سبيلها ؟ فقال له ﷺ « ارأيت ان خيرتها أليس قد أحسنت ؟ » قال بلى ، فاتاها أبوها فذكر لها ذلك فقالت اخترت الله ورسوله . وكان اسمها برة فسماها رسول الله ﷺ جويرية ، فلما تزوجها رسول الله ﷺ حجبها وقسم لها ، وكانت ابنة عشرين سنة وتوفيت سنة خمسين من الهجرة وعمرها خمس وستون سنة ، وصلى عليها مروان بن الحكم .

ثم أم المؤمنين صفية بنت حيي بن أخطب النضيري رضى الله عنها ويمت نسبها الى لاوى بن يعقوب عليه السلام ، ثم من ذرية هارون بن عمران أخي موسى عليهما السلام . وقد تقدم ذكر زواجها على النبي ﷺ في فتح خيبر في الجزء الثالث من هذا الكتاب ولما رجع رسول الله ﷺ الى المدينة أنزل صفية في بيت الحارث بن النعمان فسمع نساء الأنصار فجئن ينظرن الى جمالها وجاءت عائشة رضى الله عنها متنقبة فلما خرجت خرج النبي ﷺ على أثرها فقال « كيف رأيت يا عائشة ؟ » قالت : رأيت يهودية . فقال ﷺ « لا تقولي ذلك فانها أسلمت وحسن اسلامها » وكان في اذن صفية خوصة من ذهب فوهبت منه لفاطمة رضى الله عنها ولنساء معها . قالت صفية رضى الله عنها : دخل على النبي ﷺ وقد بلغني عن عائشة ، وحفصة ، كلاما فذكرت له ذلك فقال « الا قلت وكيف تكونان خيراً مني وزوجي محمد وابويا هارون وعمي موسى » والذي بلغها أنهما قالتا نحن أكرم على رسول الله ﷺ منها نحن ازواجه وبنات عمه . وكانت صفية عاقلة حليمة فاضلة . كانت لها جارية أتت عمر رضي الله عنه فقالت ان صفية تحب السبت وتصل اليهود ، فبعث اليها عمر فسألها عن ذلك ، فقالت أما السبت فاني لم أحبه منذ أبدلني الله به الجمعة ، واما اليهود فان لي فيهم رحما فانا اصلها . ثم قالت للجارية : ما حملك على هذا ؟ قالت الشيطان ، قالت اذهبي فانت

حرة . قال زيد بن أسلم اجتمع نساء النبي ﷺ فى مرضه الذى توفى فيه واجتمع اليه نساؤه فقالت صفية بنت حيي : انى والله يا نبي الله لوددت ان الذي بك بى فغمزن أزواجه ببصرهن ، فقال ﷺ « مضمضن » فقلن من أى شئ ؟ فقال « من تغامزكن بها والله انها لصادقة » توفيت سنة خمسين من الهجرة رضى الله عنها ودفنت بالبقيع .

فهؤلاء أزواج رسول الله ﷺ أمهات المؤمنين اللاتى دخل بهن لاخلاف فى ذلك بين اهل السير والعلم بالأثر . وقد ذكر أنه ﷺ تزوج نسوة غير هؤلاء وهن اثنا عشر امرأة .

الاولى (أم شريك) واسمها غزية وهبت نفسا للنبي ﷺ وهل دخل بها أم لا ، فيه خلاف بين أهل الأثر من المحدثين .

الثانية (خولة) بنت الهذيل بن هبيرة تزوجها ﷺ فهلكت قبل ان تصل اليه .

الثالثة (عمرة) بنت يزيد بن عبيد بن اوس الكلابية تزوجها ﷺ فتعوذت منه حين أدخلت عليه فقال لها « لقد عذت بمعاذ » فطلقها وامر أسامة بن زيد فمتعها بثلاثة أثواب .

الرابعة (أسماء) بنت النعمان بن الجون الكندية الجونية تزوجها رسول الله ﷺ وطلقها قبل ان يدخل بها وسبب طلاقها فيه خلاف

الخامسة (مليكة) بنت كعب الليثية تزوجها ﷺ ودخوله بها

وسبب طلاقها فيه خلاف .

السادسة (فاطمة) بنت الضحاك بن سفيان الكلابية تزوجها رسول الله ﷺ بعد وفاة ابنته زينب وخيرها حين نزلت آية التخيير فاختارت الدنيا ففارقها .

السابعة (عالية) بنت ظبيان بن عمرو بن عوف تزوجها ﷺ وكانت عنده ما شاء ثم طلقها .

الثامنة (قتيلة) بنت قيس أخت الاشعث بن قيس الكندي زوج النبي ﷺ إياها اخوها في سنة عشرة ثم انصرف الى حضرموت فحملها فقبض ﷺ قبل قدومها فأوصى بأن تخير فان شاءت ضرب عليها الحجاب وكانت من أمهات المؤمنين وإن شاءت الفراق فلتنكح من شاءت فاختارت النكاح فتزوجها عكرمة بن ابي جهل بحضرموت فبلغ ذلك ابا بكر فقال : هممت ان احرق عليها بيتها فقال له عمر رضي الله عنهما ما هي من أمهات المؤمنين مدخل بها رسول الله ﷺ ولا ضرب عليها الحجاب

التاسعة (سنا) بنت أسماء بن الصلت السلمية تزوجها رسول الله فماتت قبل ان يدخل بها ، وسبب موتها انه لما بلغها بأن النبي ﷺ تزوجها سرت بذلك حتى ماتت من الفرح .

العاشرة (سنا) بنت سفيان الكلابية تزوجها النبي ﷺ ولم يدخل بها .

الحادية عشرة (شرف) بنت خليفة الكلبية أخت دحية بن خلفية

الكلابي تزوجها ﷺ فماتت قبل دخوله عليها .

الثانية عشر (ليلى) بنت الخطيم أخت قيس الظفرية الانصارية أقبلت على النبي ﷺ فقالت انا ليلى بنت الخطيم جئتك اعرض نفسي عليك فتزوجني ؟ قال « قد فعلت » ورجعت الى قومها فقالوا بئس ما صنعت أنت امرأة غيرى وهو صاحب نساء فارجعي فاستقيليه فرجعت فقالت أقلني ، فقال « قد فعلت » .

فهؤلاء الاثناعشر امرأة اللواتي تزوجهن رسول الله ﷺ ولم يدخل على اغلبهن . وقد ورد انه ﷺ خطب عدة نسوة ولم يعقد عليهن

الاولى منهن امرأة من بني مرة بن عوف بن سعد خطبها ﷺ الى ابيها فقال ان بها برصا وهو كاذب فأصيبت بالبرص .

الثانية امرأة قرشية يقال لها (سودة) خطبها ﷺ وكانت مصبية فقالت اخاف ان تضغوا صبيتي — اى يصيحوا ويبكوا — عند رأسك فدعا لها وتركها .

الثالثة (صفيّة) بنت نشامة كان اصابها في سبي فخيرها بين نفسه الكريمة وبين زوجها فاختارت زوجها .

الرابعة (أم هاني) واسمها فاختة بنت ابي طالب أخت علي رضى عنهما خطبها ﷺ فقالت انى امرأة مصبية واعتذرت اليه فعذرها .

الخامسة (ضباعة) بنت عامر بن قرط خطبها ﷺ الى ابنها سلمة بن

هشام فقال حتى استأمرها فقيل للنبي ﷺ انها قد كبرت فلما عادإبنهاوقد اذنت له سكت عنها ﷺ ولم ينكحها .

السادسة (أمامة) بنت حمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه عرضت عليه ﷺ فقال « هي ابنة اخى من الرضاعة » .

السابعة (عزة) بنت ابي سفيان بن حرب عرضتها أختها أم حبيبة عليه ﷺ فقال لها « لاتحل لي لمكان أختها أم حبيبة » .

فهؤلاء سبعة نساء اللاتى خطبهن أوعرضن عليه ﷺ ولم يعقد عليهن ولم تدخل في عصمته منهن احداً .

سراريه

صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من السراري اربع ، ولم يكن له شغف على التسرى بالاماء .

الاولى منهن مارية القبطية بنت شمعون أهداها له المقوقس كما تقدم فتسرى بها ﷺ فولدت له ابراهيم بن النبى ﷺ وماتت مارية فى خلافة عمر رضى الله عنه سنة ست عشرة ودفنت بالبقيع .

الثانية ريحانة بنت شمعون من بنى قريظة وماتت قبل وفاته ﷺ حين مرجعه من حجة الوداع سنة عشرة ودفنت بالبقيع وكان وطئها ﷺ بملك اليمين .

الثالثة ذكرها القسطلانى فى المواهب قال وأخرى وهبتها له زينب بنت جحش رضى الله عنها . ولم يذكر اسمها ولم اعثر فى غيره على اسمها

الرابعة ايضا لم يذكر اسمها القسطلانى فى المواهب بل قال الرابعة اصابها فى بعض السبى وسماها الحلبى فى سيرته (زليخة) القرظية ولم اقف على هذا الاسم فى الاصابة وغيرها من كتب التراجم ، وكأن الذى عرف منهن اثنتان مارية ، وريحانة .

خدمه

صلى الله عليه وسلم

خَدَمَ رسول الله ﷺ كثير من الصحابة رضي الله عنهم وكانت حاجاته موزعة عليهم كما سيأتى بيانه وقد احصاهم أصحاب السير وهم :

(١) أنس بن مالك بن النضر بن ضمضم ابو حمزة الأنصاري الخزرجي خادم رسول الله ﷺ وأحد المكثرين من الرواية عنه ﷺ صح عنه انه قال قدم النبى ﷺ المدينة وانا ابن عشر سنين وان أمه أم سليم الأنصارية أتت به النبى ﷺ لما قدم فقالت له هذا أنس غلام يخدمك، فقبله، وان النبي ﷺ كناه ابا حمزة ببغلة كان يجتنبها ، ومازحه النبي ﷺ فقال له يا ذا الأذنين، وشهد بدراً ولم يذكر اسمه فى البدريين لأنه لم يكن فى سن من يقاتل . خدم النبى ﷺ عشر سنين ودعاله النبي

صلى الله عليه وسلم وكان له بستان يحمل الفاكهة فى السنة مرتين ، وكانت اقامته بعد النبي ﷺ بالمدينة ، ثم شهد الفتوح ثم قطن البصرة ، وكان آخر الصحابة موتا بالبصرة سنة تسعين وله من العمر مائة سنة . قال أنس رضى الله عنه لقد دفنت من صلبى سوى ولد ولدى مائة وخمسة وعشرين . وذلك ببركة دعاء النبى ﷺ بقوله « اللهم اكثر ماله وولده وأدخله الجنة » قال انس رضى الله عنه قد رأيت اثنين وانا ارجو الثالثة . يعنى رأى كثرة المال ، والولد ، ويرجو الثالثة وهى دخول الجنة .

(٢) ربيعة بن كعب بن مالك صاحب وضوء رسول الله صلى الله عليه وسلم الأسلمي ، قال . كنت أبيت على باب النبي ﷺ وأعطيه الوضوء ، وكان من اصحاب الصفة ولم يزل مع رسول الله ﷺ الى ان قبض فخرج من المدينة فنزل فى بلاد أسلم على بريد من المدينة ، وبقى الى ايام الحرة ومات بالحرة سنة ثلاث وستين في ذي الحجة رضى الله عنه .

(٣) أيمن بن أم ايمن وهو ايمن بن عبيد بن زيد بن عمرو الخزرجى رضى الله عنه صاحب مطهر رسول الله ﷺ اشتشهد يوم حنين .

(٤) عبدالله بن مسعود بن غافل بن حبيب الهذلى أحد السابقين الأولين وهاجر الهجرتين وشهد بدرا والمشاهد بعدها ولازم النبى ﷺ وكان صاحب الوسادة ، والسواك ، والنعلين ، والطهور ، وكان يلى ذلك من النبى ﷺ وكان اذا قام النبي صلى الله عليه وسلم ألبسه نعليه واذا جلس

جعلها فى ذراعيه حتى يقوم ، وقد تقدم من ترجمته فى السيرة الشيء الكثير مات بالمدينة سنة اثنين وثلاثين رضى الله عنه .

(٥) عقبة بن عامر بن عبس بن عمر الجهنى رضى الله عنه وكان صاحب بغلته يقودبه ﷺ فى الاسفار ، قال عقبة : بينما اقود برسول الله صلى الله عليه وسلم فى نقب من تلك النقاب اذقال لى رسول الله ﷺ « اركب ياعقبة » قال فاجلت رسول الله ﷺ ان اركب مركبه ثم اشفقت ان يكون معصية قال فركبت هنيهة ثم نزلت ثم ركب النبي ﷺ وقدت به فقال لى « ياعقبة الأأعلمك خير ثلاث سور أنزلت فى التوراة ، والانجيل ، والزبور ، والقرآن العظيم ؟ » قال قلت بلى ، قال فأقرأنى قل هوالله احد ، وقل اعوذ برب الفلق ، وقل اعوذ برب الناس ، . قال عقبة قدم رسول الله ﷺ المدينة وانا فى غنم لى أرعاها فتركتها ثم ذهبت اليه فقلت بايعنى ، فبايعنى على الهجرة . كان عقبة قارئا عالما بالفرائض والفقه فصيح اللسان شاعرا كاتبا ، وهو أحد من جمع القرآن ، قال ابو سعيد بن يونس رأيت مصحفه بمصر على غير تأليف مصحف عثمان وفى آخره كتبه عقبة بن عامر بيده ، مات سنة ثمان وخمسين من الهجرة رضى الله عنه

(٦) أسلع بن شريك بن عوف الاعرجى رضى الله عنه كان صاحب راحلته ﷺ قال اسلع كنت اخدم النبى ﷺ وأرحل له فقال لى ذات يوم « ياأسلع قم فارحل » فقلت اصابتنى جنابة فسكت رسول الله ﷺ واناه

جبريل بآية الصعيد فقال رسول الله ﷺ « قم يااسلع فتيمم » قال فقمت فتيممت ضربة للوجه وضربة لليدين الى المرفقين ، ثم رحلت له فسار حتى مر بماء فقال لى « يا اسلع مس أو امس هذا جلدك » اي اغتسل .

(٧) سعد مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنهما كان يخدم النبى ﷺ

(٨) ابو ذر جندب بن جنادة الغفارى رضى الله عنه قد تقدم خبر اسلامه فى الجزء الأول فى اول من اسلم ، كان يخدم رسول الله ﷺ توفي بالربذة سنة اثنين وثلاثين وصلى عليه عبد الله بن مسعود رضى الله عنه. كان ابو ذر طويلا اسمر اللون نحيفا قال على بن ابى طالب رضى الله عنه. ابوذر وعاء ملئ علما اوكئ عليه . ولوفاته قصة عجيبة ذكرها ابن عبدالبر في الاستيعاب وهى عن ام ذر زوجة ابى ذر قالت : لما حضرت اباذر الوفاة بكيت ، فقال لى : مايبكيك ، فقلت ومالى لا ابكى وانت تموت بفلاة من الارض وليس عندى ثوب يسعك كفنا لى ولالك ولا بدلى من القيام بجهازك ، قال : فابشرى ولا تبكي فانى سمعت رسول الله ﷺ يقول « لايموت بين امرأين مسلمين ولدان اوثلاثة فيصبران ويحتسبان فيريان النار أبدا » وقد مات لنا ثلاثة من الولد وانى سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم « ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين » وليس من اولئك النفر احد الاوقد مات في قرية وجماعة فانا ذلك والله ما كذبت ولا كذبت فابصرى الطريق ، قلت انى وقد

ذهب الحاج وتقطعت الطريق ، قال اذهبي فتبصري ، قالت فكنت اشتد الى الكثيب فانظر ثم ارجع اليه فأمرضه فبينما هو وانا كذلك اذا انا برجال على رحالهم كأنهم الرخم تحث بهم رواحلهم فاسرعوا الي حتى وقفوا على فقالوا ياامة الله مالك قلت امرؤ من المسلمين يموت تكفنونه؟ قالوا : ومن هو ، قلت ابوذر ، قالوا صاحب رسول الله ﷺ ؟ قلت نعم قالت ففدوه بآبائهم وأمهاتهم وأسرعوا اليه حتى دخلوا عليه فقال لهم أبشروا فاني سمعت رسول الله ﷺ يقول لنفر أنا فيهم « ليموتن رجل منكم بفلاة من الارض يشهده عصابة من المؤمنين » وليس من أولئك النفر احد الا وقد هلك في قرية وجماعة والله ما كذبت ولا كذبت ولو كان عندي ثوب يسعني كفنا لي ولامرأتي لم اكفن الا في ثوب هو لي اولها ، واني أنشدكم الله ان لا يكفنني رجل منكم كان اميرا أو عريفا أو بريداً أو نقيبا ، وليس من أولئك النفر أحد الا وقد قارف بعض ماقال الا فتى من الانصار ، فقال : انا اكفنك ياعم في ردائي هذا وفي ثوبين في عيبتي من غزل أمي . قال : انت تكفنني ، قالت فكفنه الانصاري وغسله في النفر الذين حضروه وقاموا عليه ودفنوه ، وكان ابن مسعود يومئذ مقبلا من المدينة الى الكوفة فدعي الى الصلاة عليه ، فقال ابن مسعود : من هذا ؟ قيل ابوذر ، فبكي طويلا فقال اخي وخليلي عاش وحده ومات وحده و يبعث وحده طوبى له . وله قصة مع عثمان بن عفان رضي الله عنه

ستأتى ان شاء الله فى الجزء السابع من هذا الكتاب فى تاريخ خلافة عثمان ، وبسبب هذه القصة نسب بعض الناس ان مذهب الاشتراكية نشأ من ابى ذر الغفاري رضى الله عنه وقد أوضحت القضية هناك وبينت ان مذهب ابى ذر الغفارى هو مذهب الزهد ولم يكن ذلك على قاعدة الاشتراكيين اصلا

(٩) مهاجر مولى أم سلمة رضى الله عنهما يكنى اباحذيفة صحب النبى ﷺ وخدمه وشهد فتح مصر واختلط بها ثم تحول الى طها فسكنها الى ان مات ، قال المهاجر رضى الله عنه : خدمت رسول الله ﷺ سنين فلم يقل لي لشئ صنعته لم صنعته ولا لشئ تركته لم تركته . وهذا يدل على عظم مكارم اخلاق النبى ﷺ .

(١٠) حنين والد عبد الله مولى العباس بن عبد المطاب كان حنين غلاما للنبى ﷺ فوهبه للعباس رضى الله فاعتقه ، وكان يخدم النبي ﷺ وكان اذا توضأ أُخرِجَ بوضوئه الى اصحابه ، فحبسه حنين فشكوه الى النبى ﷺ فقال حنين حبسته لا شربه .

(١١) نعيم بن ربيعة الأسلمى ذكره القسطلاني فى المواهب فيمن خدم النبى ﷺ ولم اقف على اسمه في الاصابة ، والاستيعاب .

(١٢) ابو الحمراء مولى النبى ﷺ وخادمه واسمه هلال بن الحارث نزل حمص وتوفى بها .

(١٣) ابو السمح واسمه اياد مولى رسول الله ﷺ وخادمه قال ابو

السمح : كنت اخدم النبي ﷺ فكان اذا أراد ان يغتسل قال « ولني قفاك » . قال ابو عمر بن عبد البر يقال انه قتل فلا يدرى اين مات .

فهؤلاء الذين خدموه وهم ثلاثة عشرة صحابيا ، وذلك بعد البحث الطويل فى كتب التراجم .

خادماته

صلى الله عليه وسلم

الاولى (بركة) أم أيمن بنت ثعلبة بن عمرو وكانت لأم رسول الله ﷺ ورثها منها فاعتقها رسول الله ﷺ حين تزوج خديجة رضى الله عنها ، وكانت قد تزوجت عبيد بن زيد من بنى الحارث بن الخزرج فولدت له أيمن ، فصحب النبى ﷺ ولما وهبت خديجة رضى الله عنها زيد بن حارثة لرسول الله ﷺ أعتقه وزوجه أم أيمن بعد النبوة فولدت له أسامة . وكانت تخدم رسول الله ﷺ . وكان يقول ﷺ « أم أيمن أمى بعد أمي » كان من شأن أم أيمن انها كانت وصيفة لعبد الله بن عبد المطلب والد النبى ﷺ وكانت من الحبشة فلما ولدت آمنة رسول الله ﷺ بعد وفاة ابيه كانت أم أيمن تحضنه حتى كبر . وكان رسول الله ﷺ يدخل على أم أيمن فقربت اليه لبنا فاما كان صائما واما قال لا أريد ، فاقبلت

تضاحكه فلما كان بعد وفاة النبى ﷺ قال ابو بكر لعمر رضى الله عنهما انطلق بنا نزور أم أيمن كما كان رسول الله ﷺ يزورها ، فلما دخلا عليها بكت فقالا : ما يبكيك ؟ فما عند الله خير لرسوله . قالت أبكى أن وحى السماء انقطع ، فهيجتهما على البكاء فجعلت تبكي ويبكيان معها . حضرت أم أيمن غزوة أُحُد وكانت تسقى الماء وتداوى الجرحى ، وشهدت خيبر ، ولما قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بكت فقيل لها مايبكيك فقالت : وَهي الاسلام . وماتت بعده بعشرين يوماً رضى الله عنها .

الثانية (خولة) خادمة رسول الله ﷺ قالت ان جرواً دخل البيت فدخل تحت السرير ومكث النبى ﷺ ثلاثا لا ينزل عليه الوحى فقال « يا خولة ما حدث فى بيت رسول الله ﷺ ، جبريل لا يأتينى » فقلت والله ما علمت فاخذ برده فلبسه وخرج فقلت لو هيأت البيت فكنسته فاذا بجرو ميت فأخذته فألقيته فجاء رسول الله ﷺ ترعد لحيته ، وكان اذا أتاه الوحى أخذته الرعد ، فقال « يا خولة دثرينى » فانزل الله تعالى ﴿ والضحى والليل اذا سجى ﴾ السورة .

الثالثه (سلمى) أم رافع امرأة أبى رافع مولى رسول الله ﷺ كانت تخدم النبي ﷺ وهي المرأة التى قالت لحمزة بن عبدالمطلب رضى الله عنه لما رجع من الصيد فى بدأ الاسلام : لو رأيت ما فعل ابو جهل بابن اخيك . تعنى النبى ﷺ حتى غضب حمزة رضى الله عنه ومضى الى أبى

جهل فضرب رأسه بالقوس وانحدر ذلك الى اسلام حمزة كما تقدم فى قصة اسلام حمزة رضى الله عنه فى الجزء الاول من هذا الكتاب . وهى مولاة صفية بنت عبد المطلب رضي الله عنها . وجاءت سلمى الى النبى ﷺ تستأذنه على أبى رافع وقالت انه يضربنى ، فقال ﷺ « مالك ولها؟» قال : انها تؤذينى يا رسول الله . قال « بما آذيتيه ياسلمى ؟ » قالت ما آذيته بشئ ولكنه احدث وهو يصلى فقلت يا ابا رافع ان رسول الله ﷺ قد امر المسلمين اذا خرج من احدهم ريح ان يتوضأ فقام يضربنى ، فجعل ﷺ يضحك ويقول « يا ابا رافع لم تأمرك الا بخير »

الرابعة (ميمونة) بنت سعد كانت تخدم النبي ﷺ وهى مولاته .

الخامسة (مارية) خادمة النبى ﷺ تكنى أم الرباب وهي التى طأطأت للنبي ﷺ حين صعد حائطا ليلة فرمن المشركين بمكة ليلة هجرته الى المدينة .

السادسة (أم عياش) مولاة رقية بنت النبى ﷺ كانت تخدم النبى ﷺ ولما تزوج عثمان بن عفان رضى الله عنه رقية بنت رسول الله ﷺ بعثها مع ابنته رقية لعثمان .

موالیه

صلى الله عليه وسلم

كان موالي رسول الله ﷺ كثيرين وقد أتيت هنا باسماء من أعتقهم ﷺ من المشاهير وهم

(١) زيد بن حارثة رضى الله عنه (٢) ابنه اسامة بن زيد رضى الله عنه (٣) ايمن بن أم ايمن رضى الله عنهما ، وهو اخو أسامة لأمه (٤) ابو رافع القبطى رضى الله عنه (٥) شقران الحبشى رضى الله عنه ، كان لعبد الرحمن ابن عوف رضى الله عنه فوهبه للنبى ﷺ شهد بدرا وهو مملوك ثم عتق . (٦) ثوبان رضى الله عنه من العرب من حكمى بن سعد بن حمير ، اشتراه رسول الله ﷺ ثم اعتقه (٧) أنجشة رضى الله عنه اشتراه ﷺ منصرفه من الحديبية وأعتقه وكان حاديا حسن الصوت بالحداء وكان يحدو بالنساء وكان البراء بن مالك يحدو بالرجال ، فاذا اعتقت الابل — اى اسرعت — قال له النبى ﷺ « يا أنجشة رويدك سوقك بالقوارير » يعنى النساء لأن الحداء اذا سمعته الابل أسرعت المشى فتزعج الراكبات عليها من النساء (٨) رباح الاسود رضى الله عنه (٩) يسار النوبى رضى الله عنه وكان على لقاح رسول الله ﷺ وهو الذى قتله العرنيون (١٠) سفينة وكان اسود وكان لام سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ فأعتقته واشترطت عليه أن يخدم النبى ﷺ ماعاش (١١) سلمان الفارسى رضى

الله عنه عده اصحاب السير فى الموالى لان النبي ﷺ هو الذي أدي عنه نجوم كتابته (١٢) مابور الخصى الذى أهداه المقوقس ملك مصر للنبى ﷺ مع مارية رضى الله عنها (١٣) ابو كبشة رضى الله عنه من مولدى مكة وقد شهد بدراً (١٤) زيد بن بولى ابو يسار كان نوبياً اصابه رسول الله ﷺ فى غزوة بنى ثعلبة فاعتقه (١٥) مِدْعَم عبد اسود كان لرفاعة بن زيد الضبيبى فأهداه الى رسول الله ﷺ (١٦) واقد ويكنى بأبى واقد . (١٧) ابو بكرة نفيع بن مسروح (١٨) بادام مولى رسول الله ﷺ ، ذكره الحافظ ابن حجر فى الاصابة (١٩) ابو مويهة مولى رسول الله ﷺ ، وكان من مولدي مزينة شهد غزوة المريسيع وكان يقود لعائشة أم المؤمنين رضى الله عنها جملها .

ومن الاماء (١) أم ايمن الحبشية (٢) سلمى أم رافع زوج ابى رافع (٣) مارية القبطية أم ولده ابراهيم عليه السلام (٤) ريحانة بنت شمعون ابن زيد من بنى النضير سباها رسول الله ﷺ وأسلمت وعرض عليها أن يعتقها ويتزجها ويضرب عليها الحجاب ، فقالت يارسول الله بل تتركنى فى ملكك فهو اخف علىّ وعليك فتركها (٥) قيسر اخت مارية

هذا ما وقفت عليه ممن عُرِفَتْ أسماءهم من الموالي وقد روى القسطلانى فى المواهب عن ابن الجوزى انه قال مواليه يعنى رسول الله ﷺ ثلاثة وأربعون ، و إماؤه احدى عشرة .

التراتيب الادارية ومنشؤها في الاسلام

الوزارة . الامارة . الولاية . القيادة . القضاء . الكتاب . كتاب السر . ديوان المحاسبة . الرسل . البعوث . الحرس . الشرطه . الطب . الاحتسابة . المعارف . الترجمان الآلات الحربية . الهندسة .

كان رسول الله ﷺ هو المشرع الوحيد في الاسلام سواء في الاحكام القضائية او في الأمور السياسية ، او الادارية ، فهو الواضع الاول للاسس الادارية ثم اخذت بعده تتوسع بحسب المقتضيات حتى وصلت الى ما وصلت اليه فكانت الادارة في زمن الخلفاء أوسع من العصر النبوى ، وفي عصر الامويين اوسع من عصر الخلفاء ، وفي العصر العباسي بلغت الدرجة القصوى. ثم اخذت الادارة اشكالا في ملوك الطوائف على حسب المقتضيات كما هو مدون ومعلوم لدى كل مطلع ، واليك حالة الادارة في العصر النبوى مأخوذة عن كتب الحديث والسير والتاريخ والتراجم

الوزارة

كان ابو بكر الصديق ، وعمر بن الخطاب ، رضى الله عنهما من وزرائه ﷺ وقد صرح القاضي ابو بكر بن العربي بتحسين حديث فيه ان ابا بكر وعمر وزراء النبي ﷺ من اهل الأرض . واخرج الحاكم

عن ابن المسيب قال كان ابو بكر من النبى ﷺ مكان الوزير فكان يشاوره فى جميع اموره . وقد تقدم ان النبى ﷺ كان يستشير ابا بكر وعمر وغيرهما من كبار الصحابة رضى الله عنهم فى كثير من الحوادث وقد جاء لفظة الوزير بهذا المعنى من رواية النسائي عن عائشة رضى الله عنها قالت : قال النبى ﷺ « من ولى منكم عملا فأراد به خيرا جعل له وزيرا صالحا ، فان نسى ذكره وان ذكره أعانه » وجاء فى النهاية لابن الاثير فى معنى لفظة وزير ، فقال : هو الذى يوازره فيحمل عنه ماحمله من الاثقال ، والذى يلتجئ الامير الى رأيه وتدبيره فهو ملجأ له ومفزع

فهكذا كان شكل الوزارة فى العصر النبوى وهو ان يستشير صاحب الولاية أصحاب الرأى ، والثقافة ، والعلم ، والاطلاع ، والعقل ، والدراية ، في كل ماتدعو الحاجة اليه . وهذا هو الغرض من الوزير ، والوزارة ، لغة واصطلاحا . واما شكل الوزارة في الحالة العصرية فهو توزيع الأعمال على الوزراء وكل وزير مسؤل عما وكل اليه من العمل ، وهو فى الحقيقة غير الشكل الذي سبق فى العصر النبوي بل والعصور المتقدمة على عصر النبوة ، وحتى العصور المتأخرة الى قبل بضعة قرون فهو يتفق معها فى الاسم ، ويختلف في الشكل ، وهذا معلوم .

الامارة ، والولاية

كانت الامارة والولاية على البلدان والاقاليم فى العصور المتقدمة مثل ماهو جارٍ فى العصر الحاضر ، غير ان الاوضاع والاشكال فيها بعض تغاير ، وذلك واقع حتى في تشكيلات الدول الحاضرة ، فعند بعض الدول المعاصرة إطلاق الحرية للولاة يعملون كل ما يرونه صالحاً تحت مسؤليتهم و بعضهم يقيدون الولاة بالانظمة ومراجعة الوزارة فيما يطرأ عليهم ، واما شكل صلاحية الولاة والامراء فى العصر النبوى وصدر الخلافة الاسلامية فكان الوالى أوالامير المنصب هو القاضى ، وإمام المسجد ، والخطيب وهو مسؤل عن كل ذلك ، وأحياناً يضم اليه من يساعده فى القضاء ، وجمع الزكاة ،وتعليم الدين ، وغير ذلك . اما أمراؤه ﷺ على الاقاليم والبلدان فكان

(١) باذان بن ساسان من ولد بهرام من الأبناء الذين بعثهم كسرى ولاة على اليمن ، وكان كسرى ملك فارس قد تغلب على اليمن ، قبيل العصر النبوى بعشرات السنين حتى العصر النبوى ، وقد تقدم فى الجزء الثالث انه لما كتب رسول الله ﷺ الى سائر الملوك يدعوهم الى الاسلام كان كتب الى كسرى فمزق كسرى كتاب النبى ﷺ وامر واليه على اليمن ان يبعث الى النبى ﷺ من يقوده اليه حياً اوميتاً ، ثم لما هلك كسرى

أسلم باذان وأسلمت اليمن وبعث باسلامه الى النبي ﷺ فاستعمله على اليمن وامره على جميع مخاليفها ولم يشرك معه فيها احداً . وهو اول من اسلم من ملوك العجم وأول من أمر فى الاسلام على اليمن فلما مات قسم عمله على جماعة من اصحابه فولى ابنه شهر بن باذان على صنعاء كما سيأتي تفصيل ذلك فى الاجزاء الآتية من هذا الكتاب .

(٢) خالد بن سعيد بن العاص الاموي رضى الله عنه أمَّره رسول الله ﷺ على ما بين نجران ، وزمع ، وزبيد ، واستعمله على صدقات مزحج وثبت في ديوان عمرو بن معدى كرب انه مدح خالد بن سعيد بن العاص لما بعثه النبي ﷺ مصدقا عليهم بقصيدة منها

فقلت لباغي الخير ان تأت خالداً تسر وترجع ناعم البال حامداً

وأمَّره ابو بكر الصديق رضى الله عنه على مشارف الشام فى الردة .

(٣) زياد بن لبيد الأنصارى البياضى رضي الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على حضرموت ، ثم ولاه ابو بكر الصديق رضى الله عنه قتال اهل الردّة من كندة وهوالذى ظفر بالاشعث بن قيس فسيره الى ابي بكر .

(٤) ابوموسى الاشعرى رضى الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على مأرب وعدن .

(٥) معاذ بن جبل الانصاري الخزرجى رضى الله عنه أمَّره رسول الله ﷺ على اليمن .

(٦) يعلى بن أمية التميمى الحنظلي رضى الله عنه قال ابن خلدون في تاريخه ولاه رسول الله ﷺ على الجند ، وقال ابن عبدالبر فى الاستيعاب استعمله ابو بكر الصديق رضى الله عنه على بلاد حلوان فى الردة ، ثم عمل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه على بعض اليمن واستعمله عثمان رضى الله عنه على صنعاء ، ولما بلغه قتل عثمان خرج يطلب بدمه فاعان الزبير بن العوام رضى الله عنه بأربعمائة الف وحمل سبعين رجلا من قريش ، وحمل أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها على جمل يقال له عسكر كان اشتراه بمائتى دينار ، وشهد وقعة الجمل مع عائشة رضى الله عنها ، وصفين مع علي رضى الله عنه وقتل بها سنة ثمان وثلاثين وكان شهما سخيا .

(٧) عامر بن شهر الهمدانى رضى الله عنه استعمله رسول الله ﷺ على همدان ، وهو أول من اعترض على الاسود العنسى وكابره فى ناحيته .

(٨) الطاهر بن ابى هالة التميمى الاسدي وأمه خديجة أم المؤمنين رضى الله عنها استعمله رسول الله ﷺ على عك ، والاشعريين ، فلما كان ارتداد العرب ارتدت (عك) وكانت أول من أرتد من أزد تهامة فصار اليهم الطاهر فغلبهم وأمن الطرق .

(٩) عمرو بن حزم الانصاري رضى الله عنه استعمله رسول الله ﷺ على نجران ، وهم بنو الحارث بن كعب ، وهو ابن سبع عشرة سنة ، ليفقههم في الدين ويعلمهم القرآن يأخذ صدقاتهم وذلك سنة عشر

من الهجرة بعد ان بعث اليهم خالد بن الوليد رضي الله عنه فاسلموا وكتب له كتابا فيه الفرايض والسنن والصدقات والديات ومات بالمدينة سنة احدى وخمسين

(١٠) ابو سفيان بن حرب رضي الله عنه ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على نجران .

(١١) عكاشة بن ثور بن اصفر الغولى رضى الله عنه استعمله رسول الله ﷺ على السكاسك ، والسكون ، و بنى معاوية من كندة بحضرموت

(١٢) العلاء بن حضرمي رضى الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على البحرين وتوفى رسول الله ﷺ وهو عاميها فأقره ابو بكر الصديق رضى الله عنه مدة خلافته ثم أقره عمر رضى الله عنه وتوفى في خلافته .

(١٣) يزيد بن ابى سفيان رضى الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على تيماء

(١٤) عتاب بن اسيد الاموى رضي الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على مكة واقام الموسم والحج بالمسلمين سنة ثمان من الهجرة .

(١٥) عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاه رسول الله صلى الله عليه وسلم على عمان وأعمالها .

(١٦) ابو بكر الصديق رضي الله عنه ولاه النبى ﷺ اقامة الحج سنة تسع .

(١٧) وائل بن حجر الحضرمي رضى الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على حضرموت حينما وفد عليه مسلما من حضرموت .

قيادة الجيش

كان أمراء الجيش وقواده كثيرين وقد تقدم أسماؤهم فى اجزاء الكتاب المتقدمة منهم عبيدة بن الحارث ، وحمزة بن عبد المطلب ، وأبو بكر ، وعمر ، وعلي ، وابو عبيدة بن الجراح ، والزبير بن العوام ، ومحمد ابن مسلمة الأنصارى ، وخالد بن الوليد ، وعمرو بن العاص ، وغيرهم كما تقدم تفصيل ذلك فى السرايا والبعوث .

القضاء ، والقضاة

كان القضاء فى العصر النبوى هوالمعول عليه فى الاحكام ، وكان رسول الله ﷺ يقضى بين الناس بنفسه ، وقد أمر كثيرا من أصحابه أن يقضوا بين الناس ، وكان ينصح المترافعين بالانصاف وقول الحق وعدم التغالب على بعض بقوة المنطق والفصاحة كما جاء فى الموطأ عن أم سلمة رضى الله عنها زوج النبى ﷺ أن رسول الله ﷺ قال « انما انا بشر وانتم تختصمون الى فلعل بعضكم يكون ألحن بحجته من بعض فاقض له على نحو ماسمعت ، فمن قضيت له بشئ من حق أخيه فلا يأخذ منه شيأ فانما اقطع له قطعا من النار » . وكان من ولاه القضاء علي بن ابى طالب رضى الله عنه فقد ولاه رسول الله ﷺ القضاء باليمن ، وكان من

قضاته عمر بالخطاب ، وعلي بن ابى طالب ، ومعاذ بن جبل ، وابوعبيدة ابن الجراح ، رضى الله عنهم وغيرهم من فقهاء الصحابة .

الكتاب

أما كُتّابه ﷺ فكثيرون ذكرهم أصحاب السير والحفاظ وجمعهم بعض المحدثين فى تأليف منفرد استوعب فيه جملا من سيرهم وأخبارهم وآثارهم منهم (١) ابو بكر الصديق رضى الله عنه (٢) عمر بن الخطاب رضى أله عنه (٣) عثمان بن عفان رضى الله عنه (٤) علي بن ابي طالب رضى الله عنه (٥) طلحة بن عبيد الله رضى الله عنه (٦) الزبير بن العوام رضى الله عنه (٧) سعيد بن العاص المخزومى رضى الله عنه (٨) أبان ابن سعيد بن العاص بن أمية بن عبدشمس الأموى رضى الله عنه (٩) سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه (١٠) عامر بن فهيرة رضى الله عنه التميمي مولى ابى بكر الصديق رضى الله عنه (١١) عبدالله بن الأرقم رضى الله عنه القرشى الزهرى كان يكتب الرسائل عن رسول الله ﷺ الى الملوك وغيرهم (١٢) أبي بن كعب الانصارى رضى الله عنه كان يكتب الوحى لرسول الله ﷺ وهو أحد الستة الذين حفظوا القرآن على عهد رسول الله ﷺ ، واحد الفقهاء الذين كانوا يفتون على عهده ﷺ

(١٣) ثابت بن قيس بن شماس الانصارى الخزرجى رضى الله عنه خطيب الانصار (١٤) حنظلة بن الربيع بن صيفى الأسيدى أبو ربعى رضى الله عنه (١٥) ابو سفيان بن حرب القرشى الأموي رضى الله عنه (١٦) معاوية ابن ابى سفيان رضى الله عنه كان من كتبة الوحى (١٧) يزيد ابن ابى سفيان رضى الله عنه أسلم يوم الفتح وأعطاه رسول الله ﷺ من غنائم حنين مائة بعير ، وأربعين اوقية وزنها له بلال رضى الله عنه ، واستعمله صلى الله عليه وسلم على صدقات بنى فراس ، وكان احد أمراء الاجناد لابى بكر الصديق رضى الله عنه ، وأمّره عمر رضى الله عنه على فلسطين ثم على دمشق ، وكان هو المقدم على أخيه معاوية فى امارة الشام ، وأمه أم حكيم زينب بنت نوفل بن خلف من بنى كنانة (١٨) زيد بن ثابت ابن الضحاك الانصارى رضى الله عنه مشهور بكتابة الوحى لرسول الله ﷺ ، وكان أحد فقهاء الصحابة ، وهو أحد من جمع القرآن في خلافة أبى بكر ، ونقله الى المصحف فى خلافة عثمان رضي الله عنه ، قال زيد بن ثابت : امرنى رسول الله ﷺ أن أتعلم بالسريانية قال « انى لآمن يهود على كتابى » فما مر بي نصف شهر حتى تعلمت وحذقت فيه ، فكنت اكتب له ﷺ اليهم وأقرأ له كتبهم (١٩) شرحبيل بن حصنة الكندى الحضرمى رضى الله عنه مشهور بسابقيته فى الاسلام ، وهو أول كاتب للنبى ﷺ ، وكان أحد أمراء الأجناد لأبي بكر الصديق رضى الله عنه

ثم لعمر رضى الله عنه (٢٠) العلاء بن الحضرمي رضى الله عنه وكان اسمه عبدالله بن عماد بن اكبر الحضرمي وكان عبدالله الحضرمى ابو العلاء قد سكن مكة وحالف حرب بن أمية والد ابى سفيان ، استعمل النبي ﷺ العلاء على البحرين ، وأقره ابو بكر ، ثم عمر رضى الله عنهما (٢١) خالد بن الوليد سيف الله رضى الله عنه (٢٢) عمرو بن العاص رضى الله عنه (٢٣) المغيرة بن شعبة رضى الله عنه (٢٤) عبدالله بن رواحة الانصارى رضى الله عنه (٢٥) معيقيب ابن أبى فاطمة الدوسى رضى الله عنه من السابقين الأولين (٢٦) حذيفة بن اليمان العبسى رضى الله عنه من السابقين هو وأبوه ومات أبوه بأحد (٢٧) حويطب بن عبدالعزى العامرى رضى الله عنه أسلم يوم الفتح عاش مائة وعشرين سنه ومات سنة أربع وخمسين من الهجرة (٢٨) خالد بن سعيد ابن العاص الأموي رضى الله عنه (٢٩) عبدالله بن سعد بن ابي سرح رضى الله عنه وهو أول من كتب له بمكة من قريش ثم ارتد ثم عاد الى الاسلام يوم الفتح .

(٣٠) عبدالله رضى الله عنه بن عبدالله بن ابى بن سلول الانصاري .

هذا ما وقفت عليه من اسماء من كَتَب لرسول الله ﷺ ، وأكثر من كتب على الاطلاق الخلفاء الاربعة رضى الله عنهم ، وابان ، وخالد ابنا سعيد بن العاص بن أمية الاموى رضى الله عنهما .

كاتب السر والترجمان

الذى عرف من كتاب السر والمترجمين لرسول الله ﷺ هو زيد بن ثابت الأنصاري رضى الله عنه ، فعن زيد بن ثابت قال قال رسول الله ﷺ « انها تأتينى كتب لا احب ان يقرأها كل احد فهل تستطيع أن تعلم كتاب العبرانية او قال السريانية ؟ » فقلت نعم فتعلمتها فى سبع عشرة ليلة ، رواه ابوداود السجستانى وابن ابى شيبة . وكذلك كان زيد ابن ثابت ترجمانه بالفارسية ، والرومية ، والقبطية ، والحبشية ، وقد تعلم ذلك بالمدينة من الموالي الذين كانوا بالمدينة من تلك الاجناس ، وليس ذلك بغريب او بعيد عن التصور على رجل زكى مثل زيد بن ثابت ان يتعلم جملة لغاة بل انه يوجد فى هذا العصر من هو اقل ذكاءً من زيد يعرف جملة لغاة تلقاها من أفواه الناس ، مثل السماسرة ، وسائقي السيارات وغيرهم .

ديوان المحاسبة

قلنا ان مصدر كل شئ فى الاسلام هو من رسول الله ﷺ فكان صلى الله عليه وسلم يتولى احيانا محاسبة عماله بنفسه ، قال الحافظ ابن القيم فى كتابه الطرق الحكمية فى السياسة الشرعية كان النبى ﷺ يستوفى الحساب على عماله يحاسبهم على المستخرج والمصروف كما فى الصحيحين عن ابي حميد الساعدى قال استعمل رسول الله ﷺ رجلا من الأزد على

صدقات بنى سليم يدعى ابن اللتبية فلما جاء حاسبه ، فقال : هذا مالكم وهذا هدية ، فقال رسول الله ﷺ « فهلا جلست فى بيت ابيك حتى تأتيك هديتك ان كنت صادقا » الحديث انتهى فكانت هذه القصة وأمثالها السبب الذي جعل الخلفاء حينما اتسع الايراد فى الاسلام أن يؤسسوا ديوان المحاسبة .

الرسل والبعوث

أما رسله وبعوثه ﷺ الى الملوك والامراء المعبر عنهم في العصر الحاضر بالسفراء ، أوالمنتدبين ، فهم كثيرون منهم (١) عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه وهو أول رسول بعثه ﷺ الى النجاشى ملك الحبشة (٢) دحية بن خليفة الكلبي رضى الله عنه بعثه ﷺ الى قيصر ملك الروم (هرقل) (٣) عبد الله السهمى رضى الله عنه بعثه ﷺ الى كسرى ملك الفرس (٤) حاطب بن ابى بلتعة رضى الله عنه بعثه ﷺ الى المقوقس ملك مصر (٥) شجاع بن وهب الاسدى رضي الله عنه بعثه ﷺ الى ملك البلقاء الحارث بن ابى شمر الغسانى (٦) سليط بن عمرو العامرى رضي الله عنه بعثه ﷺ الى هوذة ، والى ثمامة ، بن أثال الحنفى باليمامة فأسلم ثمامة (٧) عمرو بن العاص رضي الله عنه بعثه ﷺ

الى جيفر وعبد إبنى الجلندى بعمان فأسلما وصدقا (٨) العلاء بن الحضرمى رضى الله عنه بعثه ﷺ الى المنذر بن ساوى العبدى ملك البحرين قبل منصرفه من الجعرانة فأسلم وصدق (٩) المهاجر بن أميـة المخزومي رضى الله عنه أرسله ﷺ الى الحارث بن كلال الحميرى باليمن فقال سأنظر في أمرى (١٠) أبو موسى الأشعرى رضى الله عنه (١١) معاذ بن جبل رضى الله عنه بعثهما رسول الله ﷺ الى اليمن عنـد منصرفه من تبوك سنة عشرة في ربيع الاول داعيين الى الأسلام ، فأسلم غالب أهلها من غير قتال (١٢) على بن أبى طالب رضي الله عنه بعثه ﷺ بعـد ذلك الى أهل اليمن ووافا رسول الله ﷺ بمكة فى حجة الوداع (١٣) جرير ابن عبد الله البجلى رضى الله عنه بعثـه ﷺ الى ذى الكلاع ، وذى عمره ، يدعوهما الى الاسلام فاسلما وتوفى رسول الله ﷺ وجرير عندهم (١٤) عمرو بن أمية الضمري رضي الله عنه بعثه ﷺ أيضا الى مسيلمة الكذاب باليمامة بكتاب . وبعثه ﷺ أيضا الى فروة بن عمرو الجذامي وكان عاملا لقيصر على عمان بالبلقاء يدعوه الى الاسلام فأسلم وكتب الى النبي ﷺ باسلامه وبعث اليـه بهدية مع مسعود بن سعد الجذامي من قومه رضى الله عنه وهى بغلة شهباء يقال لها فضة ، وفرس يقال له الظرب ، وحمار يقال له يعفور ، وكذلك بعث اليه اثوابا ، وقباء سندسيا مذهبا ، فقبل هديته ووهب لمسعود بن سعد خمسمائة درهم (١٦) عيينة بن حصن

الفزارى رضي الله عنه بعثه ﷺ الى بنى تميم فسبى بعض بنى العنبر (١٧) بريدة بن الحصيب الاسلمى رضى الله عنه بعثه ﷺ الى أسلم وغفار (١٨) عباد بن بشر الأنصارى رضى الله عنه بعثه ﷺ الى سليم ، ومزينة ، (١٩) رافع بن مكيث الجهنى وكان احد من يحمل ألوية جهينة يوم الفتح استعمله ﷺ على صدقات قومه جهينة (٢٠) عمرو بن العاص رضى الله عنه بعثه ﷺ أيضا الى فزارة (٢١) الضحاك بن سفيان بن عوف الكلابي رضى الله عنه ولاه رسول الله ﷺ على من أسلم من قومه وعقد له لواء وكان على الصدقات فى قومه وكان من الشجعان يعد بمائة فارس و بعثه ﷺ على سرية (٢٢) بسر بن سفيان الكعبى بعثه ﷺ على بنى كعب وكان شريفا فى قومه ، وكتب اليه النبي ﷺ حينما كتب الى الملوك والرؤساء والأمراء (٢٣) عبد الله بن اللتبية بن ثعلبة الازدي رضى الله عنه بعثه ﷺ على الصدقات الى ذبيان ، وغيرهم كثيرون .

الحرس

كان من تولى حراسة رسول الله ﷺ كثير من أجلاء الصحابة رضى الله عنهم في مواضع مختلفة كما تقدم فى سياق السيرة منهم سعد بن معاذ ابن النعمان بن أمرئ القيس الانصارى سيد الأوس رضى الله عنه كان قام على حراسته ﷺ ليلة وقعة بدر حين نام ﷺ في العريش . وابو

بكر الصديق رضى الله عنه قام على حراسته يوم بدر فى العريش شاهرا سيفه على رأسه ﷺ . ومحمد ابن مسلمة الانصاري رضي الله عنه قام على حراسته يوم أحد . والزبير بن العوام رضى الله عنه قام على حراسته يوم الخندق . والمغيرة بن شعبة رضي الله عنه قام على حراسته ﷺ يوم الحديبية شاهرا سيفه وهو واقف على رأسه ﷺ . وسعد بن أبى وقاص رضي الله عنه . وذكوان بن قيس رضي الله عنه . و بلال المؤذن رضي الله عنه قاموا علي حراسته بوادى القرى . وابو أيوب الأنصارى رضى الله عنه قام على حراسته ليلة بنى بصفية بنت حيَي رضي الله عنها عند عودته من خيبر فى أثناء الطريق . ومرثد بن ابى مرثد الغنوى رضي الله عنه قام على حراسته ﷺ ليلة وقعة حنين حين قال رسول الله ﷺ الا رجل يحرسنا الليلة فقال انا فدعاله ﷺ ثم بعد أن نزلت الآية ﴿والله يعصمك من الناس﴾ ترك الحراسة .

الشرطة

كان صاحب الشرطة فى العهد النبوى قيس بن سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه وكان يقوم بين يدى رسول الله ﷺ بمنزلة صاحب الشرطة وقد خدم النبى ﷺ عشر سنين وكان قيس ضخما ، حسنا ، طويلا ، سخيا ، كريما ، داهية ، ذا رأي ، فاضلا ،

شجاعا ، ذامكيدة فى الحرب مع النجدة ، وكان مع علي بن أبي طالب رضى الله عنه فى حروبه كلها مدة خلافته و بعد موته مع الحسن بن على الى ان اصطلح مع معاوية وتنازل عن حقه في الخلافة ، ولقيس ابن سعد تاريخ حافل بالمكرمات قد تقدم قسط منه فى الأجزاء المتقدمة وسيأتى الباقى فى أجزاء الخلفاء ان شاء الله تعالى .

الطبابة

كانت الطبابة عند العرب قديمة ولها قيمتها فى ذلك العصر ، وكان من الأطباء في العصر النبوى من العرب الحارث بن كلدة الثقفى رضى الله عنه وهو معروف بطبيب العرب كان تعلم الطب بفارس واليمن ، قال سعد بن ابى وقاص رضى الله عنه مرضت فأتانى النبى ﷺ فقال « انك مفؤد إئت الحارث بن كلدة أخا ثقيف فانه يطبب فمروه فليأخذ سبع تمرات فليدلك بهن » ثم قال النبى ﷺ للحارث بن كلدة « عالج سعداً مما به » و بقى الحارث الى أيام معاوية بن ابي سفيان . وكان من اطباء العرب ابن ابى رمثة التميمي وهو الذى قال رأيت بين كتفى النبى ﷺ خاتم النبوة فقلت له انى طبيب بهدعنى أعالجه فقال ﷺ « أنت رفيق ، والطبيب الله » وكانت صناعة الطب موجودة عند أفراد من العرب قبل الاسلام ثم بعد الاسلام شاع هذا العلم وكثر فى الدولة العباسية حتى فاق

الامم كما كثر بالاندلس وكان اطباء الافرنج يتلقونه عنهم ولازالت الطبابة باقية عند العرب على شكلها الاول حتى العصر الحاضر.

الاحتسابة

كما كانت ولاية السوق فى العصر النبوى تسمى (الحسبة) ومتوليها (بالمحتسب) وهو ما يقال له في هذا العصر (رئيس البلدية) وقد استعمل النبي ﷺ عمر بن الخطاب رضى الله عنه على سوق المدينة، واستعمل سعد ابن سعيد بن العاص بعد الفتح على سوق مكة. ووظيفة المحتسب فى ذلك العصر هى مراقبة السوق ومنع بيع الفاسد، والغش، والغرر.

المعارف

كان شكل المعارف فى ذلك العصر هو تعليم القرآءة، والكتابة، ذكر الحافظ ابن حجر فى الاصابة فى ترجمة الحكم بن سعيد بن العاص بن أمية الاموي ان النبي ﷺ سماه عبد الله وامره ان يعلم الكتابة بالمدينة وكان كاتباً. وفى سنن ابى داود عن عبادة بن الصامت قال علمت ناسا من أهل الصفة الكتابة والقرآن. وقد تقدم فى أسارى بدر انه كان فداء بعض أسارى قريش من الذين لا مال لهم أن يعلم عشرة من الصبيان الكتابة ويكون ذلك فداء له. وقال السهيلي فى روض الأنف كان من

الاسارى يوم بدر من يكتب ولم يكن من الانصار يومئذ احد يحسن الكتابة فكان منهم من لا مال له فيقبل منه ان يعلم عشرة من الغلمان الكتابة فيخلى سبيله فيومئذ تعلم الكتابة زيد بن ثابت الانصارى فى جماعة من غلمان الانصار. وهذا دليل على جواز تعلم المسلم من الكافر ما يحتاجه من المعارف كالطب، والهندسة والكيمياء وغير ذلك من الفنون التى يحتاجها المسلم لقوام أموره الدنيوية، غير ان مدارس التبشير الغربية أصبحت مضرة بأبناء المسلمين فى عقائدهم الدينية ضرراً فادحا، لان المبشرين لم يفتحوا تلك المدارس الا لأجل تضليل المسلمين، وقد تسرب ذلك الضرر الى أدمغة كثير من الناشئة الاسلامية التى قد زجهم فيها آباؤهم بقصد التعليم الراقي على زعمهم ولو فقد أبناؤهم الدين الاسلامى، لان أولئك الآباء لا يفهمون من الدين الاسلامي غير إسمه لأنهم تربوا على أحط درجات الجهل والغباوة، فنشأ من ذلك ضرر عظيم، حتى انك لتجد الشاب المسلم المتخرج من تلك المدارس يهزأ بالدين الاسلامي ورجاله اكثر من أساتذة التبشر أنفسهم، واخذ هذا الحال يتفاقم شره فى البلاد الاسلامية من ابناء المسلمين الى ان وصل الى الدرجة التى لم يستطع رجال التبشير الغربى العروج اليها بكل ما أوتوا من ملاجئ، ومدارس، ومستشفيات، وملابين الجنيهات، فأثلجوا أولئك الأبناء صدوراساتذتهم بما وصلوا اليه من الغواية والتضليل، حتى انك لو ذكرت اسم الدين او

الاسلام على مسامع هؤلاء لسخروا منك وشتموك ورموك بالجمود والرجعية والتوحش وغير ذلك مما تلقوه من تلك المدارس من السخرية والاستهزاء بالدين الاسلامي ورجاله، فمن المسؤل عن ذلك ؟ هل الحكومات الاسلامية هي المسؤلة عن ذلك ، ام زعماء الاسلام ، ام الآباء الاغبياء ؟ ففي نظري أن كل هؤلاء مسؤلون امام الله تعالى والاسلام والانسانية عن ضلال الناشئة الاسلامية ، لأنهم قد رموا الحبل على غارب الآباء الجهلاء ، ولم يقوموا بواجبهم الاسلامي من فتح مدارس تضاهي تلك المدارس ، ولم يرشدوا أولئك الاباء الاغبياء الى حماية أبنائهم من زجهم بتلك المدارس التي لم تفتح الا للشر . والى متى هذا الحال ورجال الاصلاح غافلون ؟ إنا لله وإنا اليه راجعون .

الهندسة

كان لعلم الهندسة أصل في العصر النبوي فكانت الأقيسة بالذراع، والميل ، والفرسخ ، وكانت التخطيطات للشوارع والدور معروفة ، وقد ذكر ابن سعد في الطبقات انه لما أقطع رسول الله ﷺ الدور بالمدينة خط لعثمان بن عفان رضي الله عنه داره اليوم ، وفي سنن ابي داود أن النبي ﷺ بعث ان ينادي في معسكره ان من ضيق منزلا أو قطع طريقا فلا جهاد له وذلك لما طبق الناس المنازل وقطعوا الطرق . فيستفاد من ذلك أن رسول

الله ﷺ كان يعتنى بالنظام حتى فى الأسفار ونصب الخيام وقد جاء فى صحيح مسلم اذا أختلفتم فى الطريق فاجعلوه سبعة اذرع . ثم اتسع نظام الهندسة فى زمن الخلفاء وازداد اتساعا واتقانا فى عصر العباسيين فى الشرق والامويين فى الغرب حتى كانت مدينتى بغداد ، وقرطبة محط الهندسة ، والفنون الجميلة وقدجاء فى سيرة عمر رضى الله عنه انه لما أذن ببناء البصرة والكوفة خطوا الشوارع على عرض عشرين ذراعا وطول أربعين ذراعا والازقة تسعة اذرع والقطائع ستين ذراعا . ولكل زمان وعصر وضعية خاصة فى الهندسة .

الالات الحربية

كانت آلات الحرب التى استعملها رسول الله ﷺ فى الغزوات والتى كانت فى حوزته تسعة أسياف وهى (١) مأثور هو أول سيف ملكه رسول الله ﷺ قبل الهجرة وقد ورثه من ابيه و كان معه يوم هاجر الى المدينة (٢) العضب ، أرسله اليه سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه حين سار الى غزوة بدر (٣) ذوالفقار ، سمى بذلك لأنه كان فى وسطه مثل فقرات الظهر صار هذا السيف الى رسول الله ﷺ يوم بدر من الغنائم وكان للعاص بن منبه ، أو ابن وائل ، فكان ﷺ يحمل هذا السيف فى كل حرب يشهدها ولا يفارقه ، وكانت قائمته وقبيعته وحلقته وذؤابته

و بكراته ونعله من الفضة (٤) القلعى ، سمى هذا السيف بهذا الاسم لأنه أصابه رسول الله ﷺ في موضع بالبادية يقال له قلع ، (٥) الصمصامة ، كان هذا السيف مشهورا عند العرب وهو سيف عمرو بن معدى كرب الزبيدى أهداه ﷺ لخالد بن سعد بن العاص حين استعمله ﷺ على اليمن (٦) الحيف ، ومعناه الموت وهو من سلاح بنى قينقاع (٧) الرسوب ومعناه اذا ضرب به يتعمق فى الضربة حتى يرسب أى يستقر في النهاية ، و يقال ان هذا السيف هو أحد السيوف التسعة التى أهدتها بلقيس لسليمان عليه السلام وهو من غنائم اليهود (٨) المخذم ، ومعناه القاطع وكان هذا السيف معلقا على صنم طى الذى يقال له الفلس (٩) القضيب ؛ ومعناه أيضا القاطع . هذا ما كان من الاسياف .

وكان فى حوازته ﷺ من الدروع سبعة (١) ذات الفضول سميت بذلك لطولها ، أرسلها اليه سعد بن عبادة الأنصارى رضى الله عنه حين سار الى بدر ، وكانت من حديد وهي التى رهنها ﷺ عند أبى الشحم اليهود على ثلاثين صاعا من شعير وكان الدين الى سنة (٢) درع يقال لها ذات الوشاح (٣) درع يقال لها الحواشى (٤) درع يقال لها السغديه وهى درع عكبر القينقاعى ويقال أنها درع داود عليه السلام التى لبسها حين قتل جالوت (٥) درع يقال لها فضة وكان قد أصابها رسول الله ﷺ من بنى قينقاع (٦) درع يقال لها البتراء لقصرها (٧) درع يقال لها الخرنق

باسم ولد الارنب لنعومتها . وكان ﷺ يوم أحد عليه درعان ذات الفضول ؛ وفضة ، وكان عليه صلى الله عليه وسلم يوم حنين درعان ذات الفضول ، والسغديه ،

وكان فى حوزته ﷺ من الأقواس ستة (١) قوس يقال لها الكتوم لانخفاض صوتها اذا رمي عنها ، وهي التى اندقت سيتها يوم أحد فأخذها قتادة (٢) قوس تدعى الروحاء (٣) قوس تدعى الصفراء وقد صنعتا من شجر يسمي نبع يتخذ منه القسى ويتخذ من أغصانه السهام ، وهذه الأخيرة كسرت يوم أحد (٤) قوس تدعى البيضاء من شوحط وهو من شجر الجبال يتخذ منه القسى ، وهؤلاء الاقواس الثلاثة الروحاء ، والصفراء ، والبيضاء ، من سلاح بنى قينقاع (٥) قوس تدعي السداد وكانت له منطقة من أديم فيها ثلاث حلق من فضة ، والابزيم من فضة ، والطرف من فضة ، وكانت له جعبة تدعى الكافور (٦) قوس تدعى الزوراء ، .

وكان فى حوزته ﷺ من الاتراس ثلاثة (١) ترس اسمه الزلوق يزلق عنه السلاح (٢) ترس يقال له الفُتَقْ (٣) ترس يقال له عقاب أهدى اليه وفيه تمثال صورة عقاب فطمسه ﷺ بيده الشريفة .

وكان في حوزته من الرماح رمحان أحدهما يقال له المثوى ، قال ابن الأثير سمى به لأنه يثبت المطعون به من الثوى وهو الاقامة . الثاني يقال له المثنى . ورمحان آخران أصابهما من سلاح بنى قينقاع .

وكان في حوزته ﷺ من الحراب حربتان كبيرتان احداهما تسمى البيضاء ، والاخرى تسمي النبعة . وكانت له حربة أخري صغيرة تسمى العنزة ، تشبه العكاز وكانت تركز أمامه فى الصلاة ويصلى اليها ، وهذه العنزة جاء بها الزبير بن العوام رضى الله عنه من الحبشة وكان اعطاها له ملك الحبشة النجاشي رحمه الله وشهد بها الزبير رضي الله عنه بدراً ، وأحداً ، وخيبر ، ثم اخذها منه رسول الله ﷺ منصرفه من خيبر فكانت تحمل بين يديه ﷺ يوم العيد يحملها بلال رضى الله عنه وكان يحملها ﷺ فى يده حين تمشيه . وكذلك له حربة يقال لها المهر ، وأخرى يقال لها النمر .

وكان له ﷺ (محجن) طوله قدر ذراع أوأزيد ، يمشى به ويعلق بين يديه على بعيره ويركب به يسمى (الذقن) له رأس معقفة كالصولجان

وكان له ﷺ (مغفر) من حديد — والمغفر هو مايلبس على الرأس معمول من زرد الحديد وغيره ويكون ساتراً لعموم الرأس — يسمي هذا المغفر السبوغ . وآخر يسمى الموشح .

وكان له ﷺ (فسطاط) يسمى الكن ، وكانت له مخضرة تسمى العرجون وهى مايمسكه بيده من عصى أومقرعة ، تسمى العرجون ويقال لها العسيب . وكان له قضيب من الشوحط يسمى الممشوق .

وكان له ﷺ (قدح) يسمى الريان ، وآخر يسمى مغيثا ، وآخر

مضبب بسلسلة من فضة فى ثلاثة مواضع ، وآخر من عيدان ، وآخر من زجاج ، وثور من حجارة يسمى المخضب ، والثور هو إناء يصنع من نحاس وحجارة . وركوة تسمى الصادرة والركوة هي الاناء الصغير المعمول من الجلد يوضع فيه الماء ، ومخضب من نحاس وهو من نوع الاناء ، ومغتسل من صفر ، ومدهن

هذا ما كان خاصاً برسول الله ﷺ من آلات الحرب واما ما كان عاما للجيش فقد تقدم فى سياق الغزوات ما استعمله الصحابة من آلات الحرب مثل السيف والرمح والقوس . وقد استعمل رسول الله ﷺ فى غزوة الطائف المنجنيق ، والدبابات ، والضبور ، وتقدم بيان ذلك فى غزوة الطائف . وكانت هذه الآلات هى أعظم آلات الحرب فى ذلك العصر النبوي ولم يحدثنا التاريخ انه كان موجوداً عند عموم الدول التى كانت موجودة في ذلك العصر من مواد الحرب ماهو أقوى وأعظم مما كان موجوداً عند رسول الله ﷺ . غير ان العرب لم تعتمد فى حروبها على غير السيف ، والخيل ، وبهما اكتسحت أعظم دول العالم فى ذلك العصر وهم فارس ، والروم ، والقبط ، والارمن ، والتركمان ، والبربر ، والافرنج ، وغيرهم .

ادارته الخاصة

صلى الله عليه وسلم

أمين خاتمه . أمين نفقته . أمين سواكه ونعله . أمين ثقله . أمين المشربة . آلة الزينة . من يأخذ الاذن عليه . أمين نسائه . مؤذنوه . شعراؤه . حداته . من كان يضحكه . أدوات المنزل . خيله . بغاله . حميره . لقاحه .

كان لرسول الله ﷺ إدارة خاصة منظمة قل أن يوجد لها نظير على بساطتها من الوجهة الذوقية فكانت أموره مرتبة منظمة واليك بيان ذلك مختصراً ، حيث ان تنظيم الادارة شئ ، والشنشنة فى تغالي الاشياء شئ آخر .

امين خاتمه

كان لرسول الله ﷺ موظف خاص لأجل (الختم) ويسمى أمين خاتمه وهو معيقيب بن ابي فاطمة الدوسى رضى الله عنه فكان هو أمين رسول الله ﷺ على خاتمه . والخاتم هو مايختم به الرسائل ، وقد تقدم سبب وضعه فى الجزء الثالث لما اراد ﷺ أن يكتب الى الملوك .

أمين نفقته

كان بلال بن رباح رضى الله عنه أمينه على نفقاته وعطاياه ﷺ وهو الذي كان يقدم للوفود عطاياهم وهو بمثابة مايسمى فى العصر الحاضر بمدير المالية ، أو أمين بيت المال .

أمين سواكه ونعله

كان عبد الله بن مسعود رضى الله عنه امين رسول الله ﷺ على سواكه ونعله خصوصاً فى الاسفار . أى انه يتولى خدمته فيهما .

أمين ثقله

الثقل هو متاع المسافر كان أسلم ابو رافع القبطي خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم أمينه على ادوات السفر . وكان ابو رافع مولى للعباس ابن عبد المطلب رضى الله عنه عم رسول الله ﷺ فوهبه للنبى ﷺ ثم ان النبى ﷺ أعتقه لما بشره باسلام عمه العباس ، وكان اسلام ابي رافع قبل بدر ولم يشهدها وشهد احداً وما بعدها مات فى خلافة علي بن ابي طالب رضى الله عنه .

أمين المشربة

المشربة هي الغرفة الامامية من الدار وعادة تكون هي غرفة الاستقبال فكان رباح مولى رسول الله ﷺ هو امين المشربة وكان يستأذن للصحابة على رسول الله ﷺ .

ادوات الزينة

كان لرسول الله ﷺ (ربعة) اسكندرانية وهي أشبه بالصندوق الصغير المزركش الذي يجعل عادة لادوات الزينة ، وكانت هذه الربعة تحتوي على المرآة ، والمشط من العاج وهو (سن الفيل) أو من الذبل (وهو عظم ظهر السلحفاء) والمكحلة ، والمقراض ، (المقص) والسواك ، وهذه الربعة اهداها له المقوقس صاحب الاسكندرية مع الهدايا التي أهداها لرسول الله ﷺ مع مارية القبطية رضى الله عنها ولم يعلم أين ذهبت تلك الربعة بعد وفاته ﷺ .

ادوات المنزل

كان لرسول الله ﷺ من جملة الادوات المنزلية قصعة تسمى الفراء بأربع حلق ، وصاع ، ومد ، وقطيفة ، وسرير قوائمه من ساج ، وفراش من أدم حشوه ليف ، وخاتم من حديد ملوى بفضة ، وخاتم فضة فصه

منه يجعله فى يمينه ، وفى رواية كان أولا في يمينه ثم حوله الى يساره منقوش عليه (محمد رسول الله) وأهدى له النجاشى خفين ساذخين فلبسهما . وكان له ﷺ ثلاث جباب يلبسهن فى الحرب جبة من سندس أخضر ، وجبة طيالسة ، وعمامة يقال لها السحاب وأخرى سوداء ، ورداء . وكان له كرسى قوائمه من حديد فكان يجلس عليه صلى الله عليه وسلم أحيانا حتى فى المسجد والناس ينظرون .

السراج فى المسجد

جاء فى الاستيعاب لابن عبد البر فى ترجمة سراج مولى تميم الدارى أنه أسرج للنبى ﷺ بقنديل الزيت وكانوا لا يسرجون قبل ذلك الا سعف النخل فقال رسول الله ﷺ « من أسرج مسجدنا ؟ » فقال تميم : غلامي هذا ، فقال « ما اسمه ؟ قال فتح ، قال النبى صلى الله عليه وسلم « بل اسمه سراج » .

من يأخذ الأذن عليه

كان انس بن مالك رضى الله عنه يستأذن على رسول الله ﷺ وكذلك رباح الاسود مولاه ، وقد تقدم أنهما وغيرهما كانا يجلسان على

باب رسول الله ﷺ ويأخذ ان الاذن للناس ، وروي مسلم عن جابر بن عبد الله قال جاء ابو بكر يستأذن على رسول الله ﷺ فوجد الناس جلوسا ببابه ولم يؤذن لهم قال فأذن لابي بكر فدخل ، ثم أقبل عمر فاستأذن فاذن له ، . ولذلك صار الاستئذان واجب على كل رجل يريد مقابلة اي رجل في داره ، لأن دخول الدار على صاحبها بغير اذنه لا يتفق مع الاداب والشرع .

أمين نسائه

كان عبد الرحمن بن عوف ، وأبو أسد بن أسيد الساعدى رضى الله عنهما أمناء رسول الله ﷺ على نسائه . وذلك يكون عادة عند اصحاب الحيثيات وغالبا يكون فى السفر .

مؤذنوه

كان لرسول الله ﷺ مؤذنون أربعة الاول بلال بن رباح رضى الله عنه وهو أول من أذن لرسول الله ﷺ ولم يؤذن لأحد بعد رسول الله ﷺ من الخلفاء غير مرة واحدة وذلك لما قدم أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه الشام حين فتحها اذن بلال فتذكرت الناس النبي ﷺ قال أسلم مولى عمر فلم أر باكيا أكثر من يومئذ . الثانى عمرو بن أم مكتوم

القرشي الاعمى رضى الله عنه فكان يؤذن ويخلف النبى ﷺ بعض الاحيان في الصلاة . الثالث سعد بن عائذ مولى عمار بن ياسر رضى الله عنهما و يقال له سعد القرظ كان يؤذن فى حياة النبى ﷺ بمسجد قباء ثم نقله ابو بكر الصديق رضى الله عنه من قباء الى المسجد النبوى فأذن فيه بعد بلال ، وتوارث عنه بنوه الأذان ، وعاش الى أيام الحجاج. الرابع أبو محذورة أوس بن معير الجمحى رضى الله عنه كان يؤذن لرسول الله ﷺ بمكة بعد ان علمه الأذان ، ولم يهاجر الى المدينة بل اقام بمكة الى ان مات. فهؤلاء الأربعة الذين داوموا على الأذان فى عهد رسول الله ﷺ .واما الذين أذنوا مرة على سبيل النادر فمنهم زيادة بن الحارث الصدائى أذن بين يديه ﷺ . وكذلك عبد العزيز ابن الأصم فانه أذن أيضا بين يديه ﷺ مرة واحدة .

شعراؤه

كان لرسول الله ﷺ شعراء يذبون عن الاسلام وعنه وهم (١) كعب بن مالك بن ابى كعب بن القين ابو عبد الله الأنصاري رضى الله الشاعر المشهور شهد العقبة وبايع بها تخلف عن بدر وشهد أحدا وما بعدها وتخلف فى تبوك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم ، قال كعب بيتين كانا سبب اسلام دوس وهما .

قضينا من تهامة كل وتر وخيبر ثم اغمدنا السيوفا
تخيرنا ولو نطقت لقالت قواطعهن دوسا أو ثقيفا

فلما بلغ ذلك دوسا قالوا خذوا لأنفسكم لاينزل بكم مانزل بثقيف

(٢) عبدالله بن رواحة الخزرجي الأنصاري رضى الله عنه الشاعر المشهور من السابقين الأولين وكان أحد النقباء ليلة العقبة شهد بدرا وما بعدها الى ان استشهد بمؤتة ، قال انس رضى الله عنه دخل النبي ﷺ مكة في عمرة القضاء وابن رواحة بين يديه وهو يقول .

خلوا بنى الكفار عن سبيله اليوم نضربكم على تأويله
ضربا يزيل الهام عن مقيله ويذهل الخليل عن خليله

فقال له عمر رضى الله عنه : يا ابن رواحة أفى حرم الله وبين يدى رسول الله ﷺ تقول هذا الشعر ؟ فقال النبى ﷺ « خل عنه ياعمر فوالذى نفسى بيده لكلامه أشد عليهم من وقع النبل » (٣) حسان بن ثابت الأنصارى رضى الله عنه الشاعر المشهور فى الجاهلية والاسلام وكان يناظر الشعراء المشركين ويرد عليهم وقدسبق مناظرته لبنى تميم وشاعرهم الأقرع بن حابس حينما نادوا رسول الله ﷺ يا محمد أخرج الينا نفاخرك فأمر ﷺ حسانا فقام فقال .

بنى دارم لاتفخروا ان فخركم يعود وبالا عند ذكر المكارم
هبلتم علينا تفخرون وأنتم لناخول مابين قن وخادم

وله مواقف كبيرة وقفها فى وجوه الكفار رضى الله عنه عاش مائة وعشرين سنة ، ستين فى الجاهلية ، وستين في الاسلام .

حداته

صلى الله عليه وسلم

كان حداته ﷺ الذين يحدون في الجيش هم (١) عبدالله بن رواحة رضى الله عنه (٢) عامر بن الأكوع الاسلمى رضى الله عنه كان يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ فى غزوة خيبر (٣) مالك بن نمط بن قبيس الهمدانى كان وفد همدان لقى رسول الله ﷺ مرجعه من تبوك وعليهم مقطعات الحبرات ، والعمائم العدنية ، على الرواحل المهرية ، ومالك بن نمط يرتجز بين يدي رسول الله ﷺ يقول .

اليك جاوزت سواد الريف فى هبوات الصيف والخريف

مخطمات بخطام الليف

(٤) انجشة العبد الأسود كان حسن الحداء (٥) البراء بن مالك بن النضر الانصاري رضى الله عنه أخو أنس بن مالك ، قال أنس بن مالك رضى الله عنه كان البراء بن مالك حسن الصوت وكان يرجز لرسول الله صلى الله عليه وسلم في بعض اسفاره .

المضحك

كان نعيمان بن عمرو بن رفاعة النجاري الأنصاري رضي الله عنه مزاحا وكان رسول الله ﷺ اذا نظر الى نعيمان لا يتمالك نفسه أن يضحك . ومن نكاته رضى الله عنه كان لا تدخل المدينة (طرفة) وهو الشيء النفيس الا اشترى منها ثم جاء بها الى النبي ﷺ فيقول ها أهديته لك، فاذا جاء صاحبها يطلب نعيمان بثمنها أحضره الى النبي ﷺ وقال اعط هذا ثمن متاعه ، فيقول ﷺ « أولم تهده لى ؟ » فيقول أنه والله لم يكن عندى ثمنه ولقد أحببت أن تأكله ،فيضحك ويأمر لصاحبها بثمنه . ومنها أنه دخل أعرابى على النبى ﷺ وأناخ ناقته بفنائه فقال بعض الصحابة . لنعيمان الانصارى لو عقرتها فاكلناها فانا قد قرمنا الى اللحم ، ففعل نعيمان وعقر الناقة فخرج الاعرابى وصاح واعقراه يامحمد ، فخرج النبى ﷺ فقال « من فعل هذا ؟ » فقالوا نعيمان ، فاتبعه ﷺ يسأل عنه حتى وجده قد دخل دار ضباعة بنت الزبير بن عبد المطلب واستخفى تحت سرب لها فوقه جريد ؛ فاشار رجل الى النبي ﷺ حيث هو أي دله على مكانه فاخرجه وقد تعفر وجهه بالتراب ، فقال له « ماحملك على ماصنعت » قال : الذين دلوك علي يارسول الله هم الذين أمروني بذلك ، فجعل ﷺ يمسح التراب عن وجهه ويضحك ، ثم غرمها للاعرابى . ومنها أنه خرج ابو بكر الصديق

رضى الله عنه تاجرا الى بصرى ومعه نعيمان ، وسويبط بن حرملة ، وكان سويبط على زاد أبى بكر ، فجاءه نعيمان وقال له أطعمنى ؟ فقال لا حتى يأتى ابو بكر ، فقال لسويبط لأغيظنك ، فذهب الى ناس فقال لهم نعيمان تشترون منى عبداً لي ؟ قالوا نعم ، قال انه عبد له كلام وهو قائل لكم لست بعبده أنا رجل حر ، فان كان اذا قال لكم هذه تركتموه فلا تشتروه ولا تفسدوا على عبدي ، قالوا لا بل نشتريه ولا ننظر فى قوله ، فاشتروه منه بعشرة قلائص فاقبل بها يسوقها وأقبل بالقوم حتى عقلها ثم قال دونكم هو هذا ، فجاء القوم لسويبط وقالوا له قد اشترياك ، فقال لهم هو كاذب أنا رجل حر انه يتهزأ ولست بعبده ، فقالوا له قد أخبرنا بخبرك ، وطرحوا الحبل فى عنقه وذهبوا به ، فجاء أبو بكر رضى الله عنه فاخبره نعيمان خبره ، فذهب هو وأصحابه واتبعوا القوم وأخبروهم أنه يمزح وردوا عليهم القلائص فردوا سويبطا ، فلما قدموا على رسول الله ﷺ أخبروه الخبر فضحك . ومنها انه مر نعيمان بمخرمة بن نوفل بن أهيب الزهرى رضى الله عنه وكان مخرمة من أعاظم قريش وله سن عالية وعلم بالنسب فكان يؤخذ عنه وكان عالما بأنصاب الحرم فبعثه عمر بن الخطاب رضى الله عنه وسعيد بن يربوع ، وأزهر بن عبد عوف ، وحويطب بن عبد العزى ، فجددوا أنصاب الحرم بارشاده ، وكان مخرمة رضى الله عنه قد كبر سنه فبلغ مائة وخمس عشرة سنة وكف بصره فقال مخرمة : الا رجل يقودنى

حتى أبول ، فاخذه نعيمان فلما بلغ مؤخر المسجد قال له ههنا ، فبال ، فصاح الناس به فقال من قادني ؟ قيل نعيمان ، فقال : لله على ان أضر به بعصاى هذه . فبلغ نعيمان فاتاه فقال له : هل لك فى نعيمان ؟ قال نعم ، قال فقم ، فقام معه فاتى به عثمان بن عفان رضى الله عنه وهو اذ ذاك أمير المؤمنين وهو يصلى وكان اذا صلى لا يلتفت ، فقال دونك الرجل ، فجمع يديه فى العصا ثم ضرب به ، فقال الناس أمير المؤمنين ، فقال من قادنى ؟ فقيل نعيمان ، فقال لا أعود الى نعيمان . ومنها انه لقى نعيمان أباسفيان بن الحارث فقال له : ياعدو الله أنت الذي تهجو سيد الانصار نعيمان بن عمرو ؟ فاعتذر اليه فلما ولى قيل لأبى سفيان ان نعيمان هو الذى قال لك ذلك فعجب منه .

وكان نعيمان رضى الله عنه شهد العقبة الأخيرة وشهد بدراً وأحداً والخندق والمشاهد كلها توفى في خلافة معاوية رضى الله عنه ، وقد رويت ما تقدم عن الحافظ ابن حجر فى الاصابة ، وابن الاثير فى أسد الغابة ، والحلبي فى سيرته ،

خيل

صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من الخيل الجياد عشرون فرسا ، وهى (١) السكب ، ومعنى السكب كثير الجرى كانما يصب جريه صبا ، وهو أول

فرس ملكه ﷺ اشتراه بعشرة أواق ، وكان أغر محجلا طلق اليمين كميتا (٢) المرتجز ، مأخوذ من الرجز الذي هو ضرب من الشعر وسمى بذلك لحسن صهيله ، وكان ابيض ابتاعه رسول الله ﷺ من اعرابى ثم انكر الاعرابى بيعه فشهدله فيه خزيمة بن ثابت الأنصاري الاوسى (٣) الظرب ، ومعنى (الظرب) فى اللغة هو الجبل الصغير ، سمى بذلك لكبره وسمنه ، وقوته ، وصلابة حافره ، أهداه لرسول الله صلى الله عليه وسلم فروة بن عمرو الجذامي من أرض البلقاء — الاردن — (٤) اللحيف ، ومعنى (اللحيف) هو ما يتغطى به من التلحيف ، سمي بذلك لسمنه ، وكبره ، وطول ذنبه ، كأنما يغطي الارض بجسمه وطول ذنبه أهداه لرسول الله ﷺ ربيعة بن ابى البراء (٥) اللزاز ، معناه الالتزاق ، سمى بذلك لشدة سرعته كأنه اذا اراد الالتحاق بشئ أدركه بسرعة والتزق به . أهداه له ﷺ المقوقس (٦) الورد ، وسمي بذلك لكون لونه بين الكميت والاشقر . أهداه لرسول الله ﷺ تميم الداري رضى الله عنه وأهداه ﷺ لعمر بن الخطاب رضى الله عنه فحمل عليه فى سبيل الله ثم وجده يباع برُخص فقال لأشتريه (٧) السبحة ، وهذا الاسم هو من صفات الخيل من قولهم فرس سابح اذا كان حسن مد اليدين فى الجرى (٨) البحر ، كان اشتراه رسول الله ﷺ من تجار قدموا من اليمن فسبق عليه مرات فجثى ﷺ على ركبتيه ومسح وجهه وقال « ما أنت الا بحر »

فسمى بحراً ، قال ابن الاثير وكان كميتا وكان سرجه دفتين من ليف (٩) السجل ، مأخوذ هذا الاسم من قولك سجلت الماء فانسجل ، اى صببته فانصب ، وهو دليل على سرعة جريه يشبه الماء فى انصبابه (١٠) ذو اللمة (١١) ذو العقاب (١٢) السرحان (١٣) الطرف (١٤) المرتجل (١٥) المرواح ، مشتق من الريح لسرعته فى الجرى ، أهداه لرسول الله ﷺ قوم من مذحج (١٦) ملاوح (١٧) المندوب (١٨) النجيب (١٩) اليعسوب (٢٠) اليعبوب

فهذه خيل رسول الله ﷺ التى ذكرها اصحاب السير ، ولم يكن شئ أحب الى رسول الله ﷺ من الدواب مثل الخيل ، ومسح مرة وجه فرسه ومنخره وعينيه بكم قميصه وقال « الخيل معقود فى نواصيها الخير الى يوم القيامة ، وأهلها معانون عليها ، فخذوا بنواصيها وادعوا بالبركة » وفى غزوة تبوك قام رسول الله ﷺ الى فرسه (الطرف) فعلق عليه شعيره وجعل يمسح ظهره بردائه . وجاء فى بعض السير انه ﷺ كان يضمر الخيل للسباق فيأمر باضمارها بالحشيش اليابس شيئاً بعد شئ ، ويأمر بستبها غدوة وعشيا ، ويأمر ان يقودها كل يوم مرتين ويؤخذ منها من الجري الشوط والشوطان .

بغاله

صلى الله عليه وسلم

كانت بغال رسول الله ﷺ خمسة (١) الدلدل ، والدلدل فى الاصل القنفد . وكانت بغلة شهباء أهداها له المقوقس كما تقدم ، وهى اول بغلة ركبت في الاسلام، وكان رسول الله ﷺ يركبها فى المدينة وفى الاسفار وعاشت حتى ذهبت أسنانها فكان يدق لها الشعير ثم عميت . وكان قاتل عليها علي بن ابى طالب رضى الله عنه الخوارج ، وكان ركبها قبله عثمان ابن عفان رضى الله عنه ، وركبها بعد علي رضى الله عنه ابنه الحسن ، ثم الحسين ، ثم محمد بن الحنفية ، رضى الله عنهم . ورماها رجل بسهم فقتلها (٢) فضة ، أهداها لرسول الله ﷺ فروة بن عمرو الجذامى ، ووهبها رسول الله ﷺ لابى بكر الصديق رضى الله عنه . (٣) بغلة اخرى أهداها له ﷺ ابن العلماء صاحب ايلة — الاردن — (٤) بغلة أخرى من دومة الجندل (٥) بغلة أهداها له النجاشى . وكان عقبة بن عامر الجهنى رضى عنه صاحب بغلة رسول الله ﷺ يقودها به فى الاسفار .

حميره

صلى الله عليه وسلم

كان لرسول الله ﷺ من الحمير ثلاثة (١) عفير ، أهداه المقوقس كما تقدم (٢) يعفور ، أهداه له فروة بن عمرو الجذامى (٣) حمار آخر أعطاه لرسول الله ﷺ سعد بن عبادة الانصارى رضى الله عنه .

لقاحه ودوابه

أما لقاحه ﷺ فكثير منها (١) القصواء ، وهى التى هاجر عليها رسول الله ﷺ الى المدينة (٢) العضباء ، سميت بذلك لانه كان باذنها عضب (٣) الجدعاء ، ولم يكن جدع . فهذه اللقاح الثلاثة التى كان يركبها رسول الله ﷺ .

كان يجري فى عهد رسول الله ﷺ سباق الأبل وكانت (العضباء) لاتُسابَق لشدة سبقها حتى جاء اعرابى على قعود له فسبقها فشق ذلك على المسلمين ، فقال ﷺ «ان حقاً على الله ان لا يرفع من الدنيا شيئاً الا وضعه» وكان غَنِمَ رسول الله ﷺ يوم بدر جملا لابى جهل فى أنفه برة من فضة فنحره رسول الله ﷺ يوم الحديبية من ضمن الهَدْى ليغيظ بذلك المشركين وكانت له ﷺ خمسة وأربعون لقحة أرسل بها اليه سعد بن عبادة الانصاري رضى الله عنه .

وكانت لرسول الله ﷺ مائة شاة . وكانت له ستة أعنز منائح ترعاها ام أيمن .

وأما البقر فلم ينقل انه ﷺ اقتناها لنفسه ضمن دوابه .

هذا ما كان من ممتلكات رسول الله ﷺ من أثاث ، ورياش ، وأنعام ، ومواشى ، وخدم ، وعبيد ، وكل ذلك يدل على الزهد والقناعة بالشئ اليسير ، كما دلت على ذلك سيرته منذ ولادته الى مماته .

ابتداء مرضه

صلى الله عليه وسلم

ابتدأ المرض برسول الله ﷺ في اواخر شهر صفر من سنة احدى عشرة للهجرة واغلب الروايات تدل على انه كان ليلة الأربعاء . وذلك ان رسول الله ﷺ قال لمولاه ابا مويهة فى جوف الليل انى قد أمرت أن أستغفر لأهل البقيع فانطلق معي فانطلق معه فلما وقف بين أظهرهم قال « السلام عليكم يا أهل المقابر ليهن لكم ما أصبحتم فيه مما أصبح الناس فيه ، لو تعلمون ما نجاكم الله منه أقبلت الفتن كقطع الليل المظلم يتبع آخرها اولها الاخيرة شر من الاولى » ثم أقبل على ابى مويهة فقال « يا ابا مويهة هل علمت انى قد أوتيت مفاتيح خزائن الدنيا والخلد فيها ، ثم الجنة وخيرت بين ذلك و بين لقاء ربي فاخترت لقاء ربى والجنة ؟ » فقال له ابو مويهة

بأبي أنت وأمي فخذ مفاتيح خزائن الأرض والخلد فيها ثم الجنة . قال « لا والله يا أباموبهة لقد اخترت لقاء ربي والجنة » ثم ذهب بعد ذلك الى قتلى أحد فصلى عليهم فرجع معصوب الرأس الى بيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت عائشة لما رجع من البقيع وجدني وانا اقول وا رأساه فقال رسول الله ﷺ « ذاك لو كان وانا حى فاستغفر لك وأدعو لك » فقلت وا ثكلتاه والله اني لاظنك تحب موتي ولو كان ذلك لظللت آخر يومك معرساً ببعض أزواجك ، فقال النبي ﷺ « بل انا وارأساه لقد هممت اواردت أن أرسل الى ابي بكر وابنه فأعهد أن يقول القائل اويتمن المتمنون » ثم قلت يأبى الله ويدفع المؤمنون الا ابا بكر وفي رواية اخرى رواها الامام أحمد فى مسنده عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : دخل علىَّ رسول الله ﷺ فى اليوم الذي بدئ فيه فقلت وارأساه ، فقال « وددت ان ذلك كان وانا حي فهيأتك ودفنتك » قالت فقلت غِيَرى : كأني بك فى ذلك اليوم عروساً ببعض نسائك ، قال « وانا وا رأساه ، ادعو الى اباك واخاك حتى اكتب لابى بكر كتابا فاني اخاف ان يقول قائل اويتمنى متمن انا اولى ويأبى الله عز وجل والمؤمنون الا ابا بكر » وهذا الحديث أصله فى صحيح مسلم . وروي الامام احمد وغيره من طرق عن أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ في مرضه الذى فيه مات « ادعي لي عبد الرحمن بن ابى بكر اكتب لابى بكر كتابا لا يختلف

عليه احد بعدى » ثم قال « دعيه معاذ الله ان يختلف المؤمنين في ابى بكر » وفى هذه الرواية صراحة من رسول الله ﷺ فى خلافة ابى بكر بعده ، وقد وقع ذلك فعلا كما سيأتى تفصيله فى خلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه وكان ابتداء المرض برسول الله ﷺ الصداع ثم بعد الصداع اعترته الحمى ، وقال بعض الرواة اصابه عرق في الكلية ، والذى صرح به ﷺ كما رواه البخاري عن عائشه رضى الله عنها قالت كان النبي ﷺ يقول فى مرضه الذى مات فيه « ياعائشة ما اذال اجد الم الطعام الذى اكلته بخيبر فهذا اوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم » فمن ذلك التسمم تداعت أسباب تلك الأوجاع كلها ، وكان وجعه ﷺ شديداً كما جاء فى الصحيحين عن عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال : دخلت على النبي ﷺ وهو يوعك فمسسته فقلت انك لتوعك وعكاً شديداً ؟ قال « أجل كما يوعك رجلان منكم » قلت ذلك بأن لك أجرين » قال « أجل ذلك كذلك ، ما من مسلم يصيبه أذي شوكة فما فوقها الا كفر الله بها سيآته كما تحط الشجرة ورقها » وكان ﷺ فى مرضه يدور على أزواجه وهن يومئذ تسع حتى اشتد به المرض فى بيت ميمونة ، قالت عائشة رضى الله عنها : لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه ان يمرض فى بيتى فأذنّ له فخرج وهو بين رجلين تخط رجلاه فى الأرض بين العباس بن عبد المطلب و بين رجل آخر . قال عبد الله بن العباس رضى الله عنه الرجل الآخر الذى لم تسم عائشة

هو علي بن ابي طالب رضي الله عنه . وكان دخوله ﷺ بيت عائشة رضى الله عنها يوم الاثنين بعد ستة ايام من ابتداء مرضه ، وكان موته يوم الاثنين الذي يليه كما في رواية ابن ابى مليكة وهذ يوافق ما رواه القسطلانى فى المواهب عن الحافظ ابن رجب قال كان ابتداء مرضه ﷺ فى أواخر شهر صفر وكانت مدة مرضه ثلاثة عشر يوما فى المشهور . قالت عائشة رضى الله عنها : بعد ما دخل بيتى النبى ﷺ واشتد وجعه قال «أهريقوا علىَّ من سبع قرب لم تحل أوكيتهن لعلى أعهد الى الناس » فاجلسناه فى مخضب — هو اناء يشبه الطست — لحفصة زوج النبى ﷺ ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب حتى طفق يشير الينا بيده أن قد فعلتن ، قالت ثم خرج الى الناس فصلى بهم وكان خروجه يوم الخميس بعد ان مكث فى بيت عائشة رضي الله عنها ثلاثة ايام وقد شد رأسه بعصابة دسماء فرقى المنبر فجلس عليه مصفر الوجه وامر بلالا فنادى في الناس ان اجتمعوا لوصية رسول الله ﷺ فاجتمعوا كبيرهم وصغيرهم وتركوا ابواب بيوتهم مفتحة وغص المسجد بمن فيه ، ثم قام فخطبهم خطبة بليغة فكان اول ما تكلم به ﷺ صلى على قتلا أحد واستغفر لهم ثم قال «اني بين يديكم فرط ، وانا شهيد عليكم ، وان موعدكم الحوض ، وانى لانظر اليه من مقامي هذا ، وانى لست أخشى عليكم ان تشركوا ولكن أخشى عليكم الدنيا أن تنافسوا فيها » ثم قال « ان عبداً خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا

و بين ماعنده فاختار ماعنده » فبكى أبو بكر وبكى فقال : فديناك بآبائنا وأمهاتنا . فقال له رسول الله ﷺ « على رسلك يا أبا بكر » قال ابو سعيد الخدرى رضي الله عنه فعجبنا له وقال الناس أنظروا الى هذا الشيخ يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خيره الله بين أن يؤتيه زهرة الدنيا مشاء و بين ماعنده ، وهو يقول فديناك بآبائنا وأمهاتنا . قال فكان رسول الله ﷺ هو المخبر وكان ابو بكر أعلمنا به ثم قال رسول الله ﷺ « ان أمن الناس علي به له وصحبته أبو بكر، ولو كنت متخذا من أهل الارض خليلا ،لاتخذت ابابكر خليلا ، ولكن أخوة الاسلام ، لايبقين فى المسجد خوخة الاسدت الاخوخة ابى بكر » ثم اوصى بانفاذ جيش أسامة رضى الله عنه ، وأوصى بالأنصار فقال « يا معشر المهاجرين استوصوا بالانصار خيرا فان الناس يزيدون وان الانصار على هيئتها لاتزيد ، وانهم كانوا عيبتى التي أويت اليها . فأحسنوا الى محسنهم وتجاوزوا عن مسيئهم » ثم ان الانصار لما رأوا رسول الله صلى الله عليه وسلم يزداد وجعا طافوا بالمسجد فدخل العباس فأعلم رسول الله ﷺ بمكانهم واشفاقهم ، ثم دخل عليه الفضل فاعلمه بمثل ذلك ، ثم دخل عليه على ابن ابى طالب كذلك ، فخرج ﷺ متوكئا على علي ، والفضل ، والعباس أمامه والنبى ﷺ معصوب الرأس بخط برجليه حتى جلس على أسفل مرقاة من المنبر ، وثار الناس اليه فحمد الله وأثنى عليه وقال « يا أيها الناس بلغنى انكم تخافون من موت نبيكم ، هل

خلف نبي قبلي فيمن بعث اليه فأخلد فيكم ؟ الا اني لاحق بربي ، وانكم لاحقون به ، فأوصيكم بالمهاجرين الأولين خيرا ، وأوصي المهاجرين فيما بينهم ، فان الله تعالى يقول ﴿ والعصر إن الإنسان لفي خسر إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر ﴾ وان الأمور تجري باذن الله تعالى ، ولا يحملنكم استبطاء امر على استعجاله ، فان الله عزوجل لا يعجل بعجلة أحد ، ومن غالب الله غلبه ، ومن خادع الله خدعه فهل عسيتم ان توليتم أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم ، واوصيكم بالانصار خيرا فانهم الذين تبوؤا الدار والايمان من قبلكم ان تحسنوا اليهم ، ألم يشاطروكم في الثمار ؟ ألم يوسعوا لكم في الدار ؟ ألم يؤثروكم على أنفسهم . بهم الخصاصة ؟ الا فمن ولي أن يحكم بين رجلين فليقبل من محسنهم وليتجاوز عن مسيئهم ، الا ولا تستأثروا عليهم ، الا واني فرط لكم ، وانتم لاحقون بي ، الا وان موعدكم الحوض ، الا من أحب أن يرده علي غداً فليكف يده ولسانه الا فيما ينبغي ، يا أيها الناس ان الذنوب تغير النعم وتبدل القسم فاذا بر الناس بربهم أيمتهم — رفدهم — واذا فجر الناس عتوهم — أزالهم — » ثم نزل رسول الله ﷺ وتنام به وجهه ولم يخطب على المنبر بعد ذلك فكانت هذه آخر خطبة له .

اشتداد المرض

إشتد بعد ذلك المرض على رسول الله ﷺ وتخلف عن الصلاة بالناس فاجتمع الناس فى المسجد حسب عادتهم للصلاة وأذنوا رسول الله ﷺ بها ، فهم ﷺ بالخروج فعجز فقال «مروا ابا بكر فليصل بالناس» فقالت له عائشة : ان ابابكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس . فقال ﷺ « مروا أبابكر فليصل بالناس » فقالت عائشة لحفصة بنت عمر بن الخطاب : قولي له ان ابابكر اذا قام فى مقامك لم يسمع الناس من البكاء فمر عمر فليصل بالناس . ففعلت حفصة فقال رسول الله ﷺ « انكن لأنتن كصواحبات يوسف ، مروا ابا بكر فليصل بالناس » فقالت حفصة لعائشة : ما كنت لاصيب منك خيراً قالت عائشة رضى الله عنها : فقد راجعت رسول الله ﷺ فى ذلك ، وما حملنى على كثرة مراجعته الا انه لم يقع قلبى ان يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدا ، وانى كنت ارى انه لن يقوم مقامه احد الا تشاءم الناس به ، فأردت أن يعدل ذلك رسول الله ﷺ عن ابى بكر . قالت عائشة رضى الله عنها : ثم ثقل رسول الله ﷺ فقال اصلّى الناس ؟ » قلنا لا هم ينتظرونك يارسول الله ، قال ضعوا لي ماء فى المخضب » قالت ففعلنا فاغتسل به ثم ذهب ينوء فأغمى عليه ، ثم فاق فقال « اصلى الناس ؟ » قلنا لا هم ينتظرونك يارسول الله ، قالت والناس عكوف فى المسجد

ينتظرون رسول الله ﷺ لصلاة العشاء الاخيرة ، قالت فأرسل رسول الله ﷺ الى ابي بكر ان يصلى بالناس . فأتاه الرسول فقال ان رسول الله ﷺ يأمرك ان تصلى بالناس فقال ابو بكر وكان رقيقا : يا عمر صل بالناس . فقال عمر أنت احق بذلك . فصلى بهم ابوبكر تلك الايام.

وقد ورد فى تقديم ابى بكر الصديق رضى الله عنه في الصلاة جملة احاديث عن كثير من الصحابة منهم عائشة وابن مسعود ، وابن عباس ، وابن عمر ، وعبد الله بن زمعة ، وابن سعيد ، وعلى بن ابى طالب ، وحفصة أم المؤمنين ، وقد قال السيوطي فى تاريخ الخلفاء ، ان هذا الحديث متواتر.

ثم ان رسول الله ﷺ وجد من نفسه خفة فخرج بين رجلين أحدهما العباس رضى الله عنه والثاني على بن ابى طالب رضي الله عنه لصلاة الظهر وابو بكر يصلى بالناس ، فلما رآه ابوبكر ذهب يستأخر فأومأ اليه النبي ﷺ ان لا يتأخر ، وقال لهما « أجلساني الى جنبه » فأجلساه الى جنب ابى بكر ، فكان ابو بكر يصلى وهو قائم بصلاة رسول الله ﷺ ، والناس يصلون بصلاة ابي بكر ، والنبي ﷺ قاعد .

قال عبد الله بن زمعة بن الاسود لما استعز برسول الله ﷺ وانا عنده فى نفر من المسلمين قال دعاه بلال الى الصلاة فقال « مروا من يصلى بالناس » قال فخرجت فاذا عمر فى الناس وكان ابو بكر غائبا فقلت قم ياعمر فصل بالناس قال فقام فلما كبر سمع رسول الله ﷺ صوته وكان عمر رجلا مجهراً

قل فقال رسول الله ﷺ « فأين ابو بكر ؟ يأبى الله ذلك والمسلمون يأبى الله ذلك والمسلمون » مرتين قال فبعث الى أبى بكر فجاء بعد ان صلى عمر تلك الصلاة فصلى بالناس قال عبد الله بن زمعة قال لي عمر : ويحك ماذا صنعت بى يا ابن زمعة والله ماظننت حين أمرتنى الا أن رسول الله ﷺ أمرك بذلك ولولا ذلك ماصليت بالناس قال قلت والله ما أمرني رسول الله ﷺ بذلك ولكنى حين لم أر أبا بكر رأيتك أحق من حضر بالصلاة بالناس رواه ابن هشام عن ابن اسحاق .

وكان رسول الله ﷺ من شدة وجعه يغمى عليه ثم يفيق وأغمى عليه مرة فاجتمع اليه نساء من نسائه أم سلمة ، وميمونة ، ونساء من نساء المسلمين منهن أسماء بنت عميس ، وعنده العباس عمه ، فأجمعوا ان يلدوه فأذابوا قسطا بزيت ولدوه به — واللدود هو ما يجعل فى جانب الفم من الدواء — فلما افاق رسول الله ﷺ قال « من صنع هذا بى ؟ قالوا يارسول الله عمك ، قال « هذا دواء أتي به نساء جئن من نحو هذه الأرض » وأشار نحو أرض الحبشة قال « ولم فعلتم ذلك ؟ » فقال عمه العباس : خشينا يارسول الله ان يكون بك ذات الجنب . فقال « ان ذلك لداء ما كان الله ليقذفنى به لا يبقى فى البيت أحد الا لد الا عمي » فلد لدت ميمونة وانها لصائمة لقسم رسول الله ﷺ عقوبة لهم بما صنعوا به . رواه ابن اسحاق وأصله فى البخارى .

قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه نعى لنا رسول الله ﷺ نفسه قبل موته بشهر فلما دنا الفراق جمعنا فى بيت عائشة فقال «حياكم الله بالسلام رحمكم الله ، جبركم الله ، رزقكم الله ، نصركم الله ، رفعكم الله ، آواكم الله ، أوصيكم بتقوى الله واستخلفه عليكم وأحذركم الله انى لكم منه نذير مبين ان لا تعلوا على الله فى بلاده وعباده فانه قال لي ولكم (تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا والعاقبة للمتقين » وقال « أليس فى جهنم مثوى للمتكبرين » قلنا يا رسول الله متى اجلك قال « دنا الفراق والمنقلب الى الله ، والى الجنة المأوى » قلنا يا رسول الله من يغسلك ؟ قال « رجال أهل بيتى الأدنى فالأدنى » قلنا يا رسول الله فيم نكفنك ؟ قال « فى ثيابي هذه وان شئتم فى بياض ثياب مصر أو حلة يمنية » قلنا يا رسول الله من يصلي عليك قال « اذا أنتم غسلتموني وكفنتموني فضعوني على سريرى هذا على شفير قبرى ثم أخرجوا عنى ساعة فان أول من يصلى على جبريل ، ثم ميكائيل ، ثم إسرافيل ، ثم ملك الموت ، ومعه جنود من الملائكة ، ثم ادخلوا على فوجا ، فوجا ، فصلوا على وسلموا تسليما ، وليبدأ بالصلاة علي رجال أهل بيتى ، ثم نساؤهم ثم انتم ، وأقرؤا السلام على من غاب من اصحابى ، ومن تبعنى على دينى ، من يومى هذا الى يوم القيمة » قلنا يا رسول الله ومن يدخلك قبرك ؟ قال « أهلي والملائكة » روى كل ذلك القسطلانى فى المواهب .

قالت عائشة رضى الله عنها : كن أزواج النبى ﷺ عنده لم تغادر منهن واحدة فاقبلت فاطمة رضى الله عنها تمشى ما تخطئ مشيتها عن مشية رسول الله ﷺ شيأ فلما رآها رحب بها وقال « مرحبا بابنتى » ثم أجلسها عن يمينه أوعن شماله ثم سارها فبكت بكاء شديدا ، فلما رأى جزعها سارها الثانية فضحكت » فقلت لها خصك رسول الله ﷺ من بيننا بالسر ثم أنت تبكين ؛ فلما قام رسول الله ﷺ سألتها ماقال لك رسول الله ﷺ ؟ قالت ما كنت لأفشى على رسول الله ﷺ سره ، قالت فلما توفى رسول الله ﷺ قلت عزمت عليك بما لى عليك من الحق لما حدثتنى ماقال لك رسول الله ﷺ ، قالت أما الآن فنعم أما حين سارنى فى المرة الاولى فأخبرنى « ان جبريل عليه السلام كان يعارضه القرآن فى كل سنة مرة وأنه عارضه الآن مرتين وانى لا أرى الأجل الا قد اقترب فاتقى الله واصبرى فانه نعم السلف أنا لك » قالت فبكيت بكائى الذي رأيت فلما رأى جزعى سارنى الثانية فقال « يا فاطمة أما ترضين أن تكونى سيدة نساء العالمين أو سيدة نساء هذه الأمة ؟ » فأخبرنى أنى أول أهله يتبعه ؛ قالت فضحكت ضحكى الذى رأيت. رواه مسلم

قال ابن عباس رضى الله عنهما لما حضر رسول الله ﷺ الوفاة وفي البيت رجال فقال النبى ﷺ « هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده » فقال بعضهم ان رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع وعندكم القرآن

حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا فمنهم من يقول قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ؛ فلما اكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ « قوموا » ثم قال « دعونى فالذى أنا فيه خير مما تدعونى اليه » واوصاهم بثلاث قال « أخرجوا المشركين من جزيرة العرب ، واجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم » وسكت الراوى وهو سعيد بن جبير عن الثالثة أو قال نسيتها وقال رسول الله ﷺ لعن الله اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد » يحذر ما صنعوا ، قالت عائشة رضى الله عنها لو لا ذلك لابرز قبره خشى ان يتخذ مسجداً . رواه البخارى .

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنهما خرج علي بن ابى طالب من عند رسول الله ﷺ فى وجعه الذى توفى فيه فقال الناس يا أبا الحسن كيف أصبح رسول الله ﷺ ؟ فقال : أصبح بحمد الله بارئا . فأخذ بيده عباس بن عبد المطلب فقال له : أنت والله بعد ثلاث عبد العصا ، وانى والله لأرى رسول الله ﷺ سوف يتوفى من وجعه هذا ، انى لاعرف وجوه بنى عبد المطلب عند الموت ، اذهب بنا الى رسول الله ﷺ فلنسأله فيمن هذا الامر ان كان فينا علمنا ذلك ، وان كان فى غيرنا علمناه وأوصى بنا . فقال علي إنا والله لأن سألناها رسول الله ﷺ فمنعنا لا يعطيناها الناس بعده ، وانى والله لا أسألها رسول الله ﷺ .

قال أنس بن مالك رضى الله عنه : ان المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الاثنين وابو بكر يصلى لهم لم ينجأهم الا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة فلما وضح لنا وجه رسول الله ﷺ ما نظرنا منظراً قط كان أعجب الينا من وجه رسول الله ﷺ حين وضح لنا ، فنظر اليهم وهم فى صفوف الصلاه ثم تبسم يضحك ، فنكص ابو بكر على عقبيه ليصل الصف وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج الى الصلاة ، قال أنس : وهم المسلمون أن يفتتنوا فى صلاتهم فرحاً برسول الله ﷺ ، فشار اليهم بيده رسول الله ﷺ أن اتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر رواه البخاري . وكانت صلاة ابي بكر الصديق رضى الله عنه بالناس فى مرضه ﷺ سبع عشرة صلاة .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان اذا اشتكى تعنى رسول الله ﷺ نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده فلما اشتكى وجعه الذي توفى فيه طفقت أنفث على نفسه بالمعوذات التى كان ينفث وأمسح بيد النبي ﷺ قالت عائشة رضى الله عنها : ان من نعم الله علىّ ان رسول الله ﷺ توفى في بيتى ، وفي يومي ، وبين سحرى ، ونحري ، وأن الله جمع بين ريقى وريقه عند موته ، دخل علىّ عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق و بيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ فرأيته ينظر اليه وعرفت انه يحب السواك ، فقلت آخذه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ،

فتنازلته فاشتد عليه ، وقلت ألينه لك ؟ فأشار برأسه أن نعم ، فلينته فأمرّه ، وبين يديه ركوة أو علبة فيها ماء فجعل يدخل يديه الماء فيمسح بهما وجهه يقول « لا اله الا الله ان للموت سكرات » ثم نصب يديه فجعل يقول « في الرفيق الأعلى » . وقالت عائشة رضى الله عنها ولما احتضر النبي ﷺ واشتد به الأمر قالت ما رأيت أوجع على احد شد منه على النبي ﷺ ، قالت وكان عنده قدح من ماء فيدخل يده في القدح ثم يمسح وجهه بالماء ويقول « اللهم أعني على سكرات الموت » ولما تغشاه ﷺ الكرب قالت فاطمة رضى الله عنها : وا كرب ابتاه فقال لها « لا كرب على ابيك بعد اليوم » روى كل ذلك البخاري ، وروى البيهقي انه كان عند رسول الله ﷺ في مرضه سبعة دنانير فكان يأمرهم بالصدقة بها ، ثم يغمى عليه فيشتغلون بوجعه ، فدعا بها فوضعها في كفه فقال « ما ظن محمد بربه لو لقي الله وعنده هذه » ثم تصدق بها كلها .

قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله ﷺ يقول وهو صحيح « انه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير بين الدنيا والآخرة » فلما نزل به ورأسه على فخذي غشي عليه ثم افاق فأشخص بصره الى سقف البيت ثم قال « اللهم الرفيق الأعلى » فقلت اذا لا يختارنا ، وعرفت انه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح . قلت فكان آخر كلمة تكلم بها « اللهم الرفيق الأعلى ، اللهم اغفر لي وارحمني والحقني

بالرفيق » قالت عائشة رضى الله عنها. توفي النبي ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودي بثلاثين يعنى صاعا من شعير . رواه البخارى .

وفاة رسول الله

صلى الله عليه وسلم

توفى رسول الله ﷺ وانتقل من دار الفناء الى دار البقاء ، ومن جوار المخلوق الى جوار الخالق ، ومن الحطام لزائل الى النعيم الابدى ، وفاضت روحه الشريفة الى لقاء ربها يوم الاثنين حين زاغت الشمس الموافق لليوم الثامن من شهر ربيع الأول سنة احدى عشرة من الهجرة. ويوافق من الاشهر الشمسية ٣ يونيه سنة ٦٣٢ من ميلاد عيسى عليه السلام. ويوافق من البروج فصل الجوزاء .وقد بلغ ﷺ من العمر ثلاثا وستين سنة كاملة ، على اصح الروايات واشهرها .

ولما قبض رسول الله ﷺ وارتفعت الرنة عليه ، دهش اصحابه دهشة عظيمة وركت عقولهم ، وطاشت احلامهم ، وافحموا ، واختلطوا ، وصاروا فرقا ، وكان ممن اختاط عمر بن الخطاب فجعل يصيح ويحلف ما مات رسول الله ﷺ ، وتهدد بيفه من قال انه مات ، واقعد علي ابن ابي طالب فلم يستطع حراكا ، وأخرس عثمان بن عفان فكان يذهب به ويجاء ولا يستطيع كلاما ، واضطرب الأمر ، وجل الخطب ، وفدحهم هول مصيبته ، وحق لهم ، ولم يكن فيهم انبت من العباس بن عبد المطلب ،

وابى بكر الصديق ، وكان ابو بكر غائبا (بالسنح) وهى العالية عند زوجته بنت خارجة ، وكان رسول الله ﷺ قد اذن له في الذهاب اليها ، فأقبل ابو بكر على فرس له من مسكنه حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة فبصر برسول الله ﷺ وهو مسجى ببرد حبرة فكشف عن وجهه ثم اكب عليه فقبله ثم بكى وقال : بأبى أنت وأمى طبت حيا وميتا ، والذي نفسى بيده لا يجمع عليك موتتين ، اما الموتة التى كتبت عليك فقد مضت . ثم خرج ابو بكر فوجد عمر بن الخطاب سالا سيفه متوعداً من يقول مات رسول الله ﷺ وهو يقول : لا اسمع احداً يقول مات رسول الله ﷺ الا ضربته بسيفى هذا ، انما ارسل اليه كما ارسل الى موسى عليه السلام فلبث عن قومه اربعين ليلة ثم رجع اليهم بعد ان قيل قد مات ، والله ليرجعن رسول الله ﷺ كما رجع موسى ، والله انى لارجو ان يقطع ايدى رجال وارجلهم . فقال له ابو بكر رضى الله عنه : ايها الحالف على رسلك : فلما تكلم ابو بكر جلس عمر فحمد الله تعالى ابو بكر واثنى عليه وقال . ألا من كان يعبد محمدا فان محمداً قد مات . ومن كان يعبد الله فان الله حي لا يموت ، وقال (إنك ميت وانهم ميتون) وقال (وما محمد الا رسول قد خلت من قبله الرسل فأن مات أو قتل انقلبتم على أعقابكم ومن ينقلب على عقبيه فلن يضر الله شيأ وسيجزى الله الشاكرين » فنشج الناس يبكون قال عمر : فوالله لكأنى لم أتل هذه

الآيات قط والله ماهو الا أن سمعت ابابكر تلاها فعرقت حتى ماتقلني رجلاي وحتى أهويت الى الارض حين سمعته تلاها علمت ان النبي ﷺ قد مات . وقال عمر : والله ان كان لذى حملني على مقالتى الا ني كنت أقرأ هذه الآية (وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيداً) فوالله ان كنت لأظن أن رسول الله ﷺ سيبقى فى أمته حتى يشهد عليها بآخر اعمالها ، فانه الذي حملني على الذى قلت ماقلت . وقال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما والله لكان الناس لم يعلموا ان الله انزل هذه الآية حتى تلاها ابو بكر فتلقاها الناس منه كلهم فما سمع بشر من الناس الا يتلوها . فكان ابو بكر يخطب الناس ويهراقون عيناه تهملان ، وزفراته تتردد فى صدره ، وغصصه تتصاعد ، فلما فرغ من خطبته التفت الى عمر وقال له : اماعلمت ان رسول الله ﷺ قال يوم كذا ، كذا وكذا ، يذكره بما قاله عن موته ﷺ فقال عمر : اشهد ان الكتاب كما نزل وان الحديث كما حدث وان الله تبارك وتعالى حي لايموت انا لله وانا اليه راجعون ، وقال فيما كان منه .

لعمرى لقد ايقنت انك ميت ولكن ما ابدى الذى قلنا الجزع
وقلت يغيب الوحى عما افقده كما غاب موسى ثم ترجع كارجع
وكان هواي ان تطول حياته وليس لحي فى بقاميت طمع

قال ابو هريرة رضى الله عنه : لولا ابو بكر لهلكت امة محمد ﷺ

بعد نبينا ، ولقد كان من قدم المدينة عقيب موت النبي ﷺ سمع لأهلها ضجيجا ، وللبكاء في جميع أرجائها عجيجا ، حتى صحلت الحلوق ، ونزفت الدموع ، وحق لهم ذلك ولمن يأتي بعدهم لي يوم الدين وقال ابو ذؤيب الهذلي : علمت ان النبي ﷺ قبض أو هو ميت فقدمت المدينة ولاهلها ضجيج بالبكاء كضجيج الحجيج اذا أهلوا بالاحرام .

ولما تحقق عمر بن الخطاب رضي الله عنه موت رسول الله ﷺ بقول ابي بكر قال وهو يبكي : بأبي انت وامي يارسول الله لقد كان لك جذع تخطب الناس عليه فلما كثروا اتخذت منبرا لتسمعهم فحن الجذع بفراقك حتى جعلت يدك عليه فسكن ، فأمتك أولى بالحنين عليك حين فارقتهم بأبي أنت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عند ربك أن جعل طاعتك طاعته فقال (من يطع الرسول فقد اطاع الله) بأبي أنت وامي يارسول الله لقد بلغ من فيضلتك عنده ان بعثك آخر الانبياء وذكرك في اولهم فقال تعالى (واذ أخذنا من النبيين ميثاقهم ومنك ومن نوح) الآية ، بأبي انت وأمي يارسول الله لقد بلغ من فضيلتك عنده ان أهل النار يودون ان يكونوا أطاعوك وهم في أطباقها يعذبون يقولون ياليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول ، بابي انت وامي يارسول الله لقد اتبعك في قصر عمرك مالم يتبع نوحا في كثرة سنه وطول عمره ، فلقد آمن بك الكثير وما آمن معه الا القليل . هذه مرثية عمر رواها القسطلاني في المواهب .

غسله

صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجة بسند جيد عن علي بن ابي طالب رضى الله عنه عن النبي ﷺ انه قال « اذا انامت فاغسلوني بسبع قرب من بئر غرس » وقد تولى غسل رسول الله ﷺ علي بن ابي طالب ، وعمه العباس ، والفضل ابن عباس يعينانه ، وقثم بن العباس وأسامة ابن زيد ، وشقران مولاه ﷺ يصبون الماء ، وأعينهم معصوبة من وراء الستر . فغسل ﷺ ثلاث غسلات الاولى بالماء القراح ، والثانية بالماء والسدر ، والثالثة بالماء والكافور ، وكان علي رضى الله عنه يقول وهو يغسل رسول الله ﷺ : بأبي أنت وأمي طبت حياً وميتاً وجعل علي على يده خرقة وأدخلها تحت القميص ثم اعتصروا قميصه وحنطوا مساجده ، ومفاصله ، ومضوا منه ذراعيه ، ووجهه ، وكفيه ، وقدميه ، وجمروه عوداً وذراً .

كفنه

صلى الله عليه وسلم

قالت عائشة رضى الله عنها : كفن رسول الله ﷺ في ثلاثة أثواب بيض سحولية من كرفس ليس فيها قميص ولا عمامة . ثم بعد تكفينه نزع القميص الذي غسل فيه رواه ابن ماجة وغيره

الصلاة عليه

صلى الله عليه وسلم

روى ابن ماجة عن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما انه قال : لما فرغوا من جهازه ﷺ يوم الثلاثاء وضع على سريره فى بيته ثم دخل الناس عليه ﷺ أرسالا يصلون عليه حتى اذ فرغوا دخل النساء حتى اذ فرغن دخل الصبيان ولم يؤم الناس على رسول الله ﷺ احد قال من صلى عليه حسب وصايته ﷺ أهل بيته، ولما اراد الناس يصلون عليه لم يدروا ما يقولون فسأل عبد الله بن مسعود رضى الله عنه فأمرهم ان يسألوا عليًا رضي الله عنه فقال لهم قولوا ان الله وملائكته يصلون على النبي الآية، لبيك اللهم ربنا وسعديك صلوات الله البر الرحيم والملائكة المقربين والنبيين والصديقين والشهداء والصالحين وما سبح لك من شئ يارب العالمين على محمد بن عبد الله خاتم النبيين وسيد المرسلين وامام المتقين ورسول رب العالمين الشاهد البشير الداعى اليك باذنك السراج المنير وعليه السلام . روى ذلك القسطلاني في المواهب .

دفنه

صلى الله عليه وسلم

تفاوض الصحابة رضى الله عنهم في مدفن النبى ﷺ فقال بعضهم ندفنه بمكة بلده الذى ولد بها ، وقال بعضهم بل ندفنه بمسجده ، وقال بعضهم

بل بالبقيع ، وقال آخرون بل فى بيت المقدس مدفن الانبياء ، فقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول « ما من نبى يقبض الادفن تحت مضجعه الذى مات فيه » فاعتمد الصحابة على خبر ابى بكر الصديق رضى الله عنه المرفوع الى النبى ﷺ ، وكانت وفاته فى بيت أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها فقاموا بذلك .

فحفر قبره ﷺ ابو طلحة زيد بن سهل فى موضع فراشه حيث قبض فى بيت عائشة رضى الله عنها ، و بنى فى قبره تسع لبنات) وفرش مولاه شقران فى قبره قطيفة نجرانية كان يتغطى بها ، وقال والله لا يلبسها أحد بعدك . ونزل قبره ﷺ عمه العباس ، وعلي بن أبي طالب ، وقثم بن العباس ، والفضل بن العباس ، وانزلوا رسول الله ﷺ فى القبر ، ووارروه ليلة الأربعاء ، ورش قبره الشريف بلال بن رباح بقربة بدأ من قبل رأسه وجعل عليه حصباء حمراء و بيضاء ورفع قبره من الارض قدر شبر .

ولما دفن رسول الله ﷺ جاءت فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله ﷺ فقالت كيف طابت نفوسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب وأخذت من تراب القبر الشريف ووضعته على عينيها وأنشأت تقول

ماذا على من شم تربة أحمد ... ان لا يشم مدا الزمان غواليا

صبت علي مصائب لو انها ... صبت على الايام عدن لياليا

روى ذلك القسطلاني فى المواهب .

رثاؤه

صلى الله عليه وسلم

قد رثي رسول الله ﷺ كثير من أهل بيته وأصحابه ومن شعراء الاسلام بمرثيات بليغة لو جمعت لبلغت عدة أجزاء كبيرة، فاتيت هنا بجزء بسيط منها حيث لا يسعها هذا المؤلف، ولانه ﷺ أعظم وأكبر وأجل مما قيل فيه، ومهما بالغ الراثون لا يمكنهم ان يصلوا الى أوج مجده، ولا يبلغوا غور فضله.

قالت فاطمة رضى الله عنها بنت رسول الله ﷺ تبكي أباها وقد اجتمع اليها النساء بعد دفنه ﷺ.

أغبر آفاق السماء وكورت ... شمس النهار وأظلم العصران
والارض من بعد النبي كئيبة ... اسفا عليه كثيرة الرجفان
فلتبكه شرق البلاد وغربها ... ولتبكه مضر وكل يماني
وليبكه الطود المعظم جوّه ... والبيت ذو الأستار والأركان
ياخاتم الرسل المبارك وصفه ... صلى عليك منزل الفرقان

وقالت صفية رضى الله عنها بنت عبد المطلب عمة النبي ﷺ ترثيه

الا يارسول الله كنت رجاءنا ... وكنت بنا براً ولم تك جافيا
وكنت رحيما هاديا ومعلما ... ليبك عليك اليوم من كان باكيا
لعمرك ما ابكى النبي لفقده ... ولكن لما أخشى من الهرج آتيا

كان على قلبى لذكر محمد وما خفت من بعد النبى المقاليا
أفاطم صلى الله رب محمد على جدث أمسى ببثرب ثاويا
فأفدي رسول الله أمي وخالتى وعمى وآبائ ونفسى ومالیا
صدقت و بلغت الرسالة صادقا ومت صليب العود أبلج صافيا
فلو أن رب الناس أبقى نبينا سعدنا ولكن امره كان ماضيا
عليك من الله السلام تحيـة وأدخلت جنات من الله راضيا
ارى حسنا أيمتـه وتركته يبكى و يدعوا جده اليوم نائيا

وقال ابوسفيان بن الحارث بن عبد المطلب رضى الله عنه ابن عم النبى ﷺ يبكيه

ارقت فبات ليـلى لايزول وليل اخى المصيبة فيـه طول
وأسعدنى البـكاء وذاك فيما اصيب المسلمون به قليـل
لقد عظمت مصيبتنا وجلت عشية قيـل قد قبض الرسول
واضحت ارضنا مما عراها تكادبنا جوانبها تميـل
فقـدنا الوحي والتنزيل فينا يروح به و يغدوا جبرئيل
وذاك احق ماسالت عليـه نفوس الناس او كادت تسيل
نبى كان يجلو الشك عنـا بما يوحى اليـه وما يقول
و يهدينـا فلا نخشى ضلالا علينا والرسول لنـا دليل
افاطم ان جزعت فذاك عذر وان لم تجزعى ذاك السبيـل
فقبر ابيـك سيد كل قبر وفيه سيد الناس الرسول

وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يبكى رسول الله ﷺ

لما رايت نبينا متجندلا ضاقت على بعرضهن الدور
فارتاع قلبي عند ذاك لهلكه والعظم منى ما حييت كسير
اعتيق و يحك ان حبك قد ثوى فالصبر عنك لما لقيت يسير
ياليتنى من قبل مهلك صاحبي غيبت فى جدث على صخور
فلتحدثن بدائع من بعده يعيي بهن جوارح وصدور

وقال ابو بكر الصديق رضى الله عنه يبكيه ايضا .

ودعنا الوحي اذوليت عنا فودعنا من الله الكلام
سوى ماقد تركت لنا رهينا تضمنه القراطيس الكرام

وقال حسان بن ثابت الانصارى رضى الله عنه يرثى رسول الله ﷺ

ما بال عينك لاتنام كانها كحلت اماقيها بكحل الارمد
جزعا على المهدى اصبح ثاويا ياخير من وطئ الحصى لاتبعد
وجهى بقيك الترب لهفى ليتنى غيبت قبلك فى بقيع الغرقد
بابى وأمى من شهدت وفاته فى يوم الاثنين النبى المهتدي
فظللت بعد وفاته متبلداً متلددا يا ليتني لم اولد
أأقيم بعدك بالمدينة بينهم ياليتنى صبحت سم الأسود
اوحل امر الله فينا عاجلا فى روحه من يومنا او فى غد
فتقوم ساعتنا فنلقى طيبا محضا ضرائبه كريم المحتد

يا بكر آمنة المبارك بكرها ولدته محصنة بسعد الاسعد
لو يعلموا ان الوصى من بعده اوصى ونطفته قسيمة احمد
نورا تنقل من خلاصة هاشم اذ بايعوه هدوا لدين محمد
نورا اضاء على المدينة كلها من يهد للنور المبارك يهتدى
يارب فاجمعنا معا ونبينا فى جنة تشفى عيون الحسد
فى جنة الفردوس فا كتبها لنا ياذا الجلال وذا العلى والسودد
ياويح انصار النبى ورهطه بعد المغيب فى سواء الملحد
ضاقت بالانصار البلاد فاصبحت سودا وجوههم كلون الأثمد
والله اسمع ما حييت بها لك الا بكيت على النبى محمد
ولقد ولدناه وفينا قبره وفضول نعمته بنا لم تجحد
والله اكرمنا به وهدى به انصاره فى كل ساعة مشهد
صلى الا له ومن يحف بعرشه والطيبون على المبارك أحمد

وقال حسان بن ثابت رضى الله عنه يرثى رسول الله ﷺ ايضا

بطيبة رسم للرسول ومعهد مبين وقد تعفو الرسوم وتهمد
ولا تنمحى الايات من دار حرمة بها منبر الهادى الذى كان يصعد
واوضح آيات وباقى معالم وربع له فيه مصلى ومسجد
بها حجرات كان ينزل وسطها من الله نور يستضاء ويوقد

معارف لم تطمس على العهد آيها اتاها البلا فالاى منها تجدد
عرفت بها رسم الرسول وعهده وقبرا بها واراه فى الترب ملحد
اطالت وقوفا تذرف العين دمعها على طلل القبر الذي فيه احمد
فبوركت ياقبر الرسول وبوركت بلاد ثوي فيها الرشيد المسدد
وبُورك لحدٌ منك ضُمِّنَ طيبا عليه بناء من صفيح منضد
تهيل عليه الترب أيد وأعين تباكت وقد غارت بذلك اسعد
لقد غيبوا حلما، وعلما، ورحمة، عشية، عالوه الثرى لا يوسد
فراحوا بحزن ليس فيهم نبيهم وقد وهنت منهم ظهور وأعضد
يبكون من تبكى السموات موته ومن قد بكته الارض والناس اكمد
وهل عدلت يوماً رزية هالك رزية يوم مات فيه محمد

وقال ابو ذؤيب الهذلى رضى الله عنه يبكي النبى ﷺ بعد أن شهد الصلاة على رسول الله ﷺ وشهد دفنه .

ولما رأيت الناس فى علاتهم ما بين ملحود له ومضرح
متبادرين فشرجع با كفنهم نض الرقاب لفقد أبيض اروح
فهناك صرت الي الهموم ومن يبت جار الهموم يبيت غير مروح
كسفت لمصرعه النجوم وبدرها وتزعزعت آطام بطن الأبطح
وتزعزعت آطام يثرب كلها ونخيلها لحلول خطب مفدح
ولقد زجرت الطير قبل وفاته بمصابه وزجرت سعد الأذبح

هذا ما اخترت نقله من المراثى من شعر أهل بيته ﷺ ومن اصحابه رضى الله عنهم ، حيث لافائدة من استيعابها مادام ان معظم قلوب المسلمين منصرفة الى غير سبيله ﷺ ، وهم أحق بان يرثوا حالتهم الحاضرة وماوصلوا اليه من التخاذل ، والتفكك الشنيع ، والتمزق المريع ، لكونهم أصبحوا فى معزل عن الطريقة المحمدية ، ووجهوا وجهتهم الى غير سبيل المهتدين ، فمنهم الذين قد امتلأت أدمغتهم بآراء الدجالين ، ومنهم من رضى بالجهل مع الحطة والمسكنة ، ومنهم من افسد أخلاقه الملاحدة والمشككون فصمت آذانهم عن سماع استصراخ المصلحين ، وصاروا ينظرون اليهم بنظر السخرية والاستهزاء ، ولم يكتفوا بذلك بل تناولوهم بالسنة حداد ، ورموهم بكل وصمة وجمود ، غير ان هناك أفراداً قد استفزهم الله تعالى ونفخ فى أرواحهم وجعلهم يجهرون بالحق ويدعون اخوانهم المسلمين الى النهوض ويملون عليهم ماكان عليه سلفهم الصالح من الهدي ودين الحق ، وما كانوا فيه من اليقظة والتقدم ، وما وصلوا اليه بفضل تعاليم دينهم الحنيف من الحضارة ، والمدينة ، والعمران ، وقد توفقوا بعض التوفيق . ولنا فى الله سبحانه وتعالى الرجاء فى ايقاظ عموم المسلمين ، وارشادهم الى سلوك سبيل الهدى والرشاد ، وان يخرج منهم النسل الطيب ليكونوا رجال الاصلاح فى المستقبل . ومن حيث ان الله تعالى قد أوجد في الكون طائفة لاتزال ظاهرة بمحاربة حشرات الالحاد والمشككين ما استطاعوا .

فالأمل موجود ، والله من وراء ذلك لهم بالحفظ والصيانة الى ان يستقيم أمر المسلمين اذ لانجاح لهم الا بالتمسك بطريقة سيد العرب ﷺ .

قد تم بحمد الله تعالى وحسن توفيقه جل وعلا تأليف الجزء الرابع من حياة سيد العرب ﷺ الذى هو خاتمة القسم الاول فى يوم السبت الموافق لليوم السادس والعشرين من شهر ربيع الاول من سنة الالف والثلاثمائة والاحدى والخمسين من الهجرة النبوية ويوافق ٣٠ يوليو سنة ١٩٣٢ ميلادية . ويليه ان شاء الله تعالى القسم الثانى المختص بتاريخ الخلفاء الأربعة ، وهو يكون بحوله تعالى في اربعة أجزاء ، والجزء الاول منه يختص بخلافة ابى بكر الصديق رضى الله عنه . فأسأل الله تعالى ان يمدنى بعنايته وحسن توفيقه ويرشدنى الى الصواب انه بالاجابة جدير ولما يشاء قدير ، تحرر بقلم مؤلفه الراجى من الله تعالى فى الدارين السلامة حسين بن عبد الله بن محمد بن سالم بن عمر بن عوض باسلامه آل بادماس الكندي الحضرمى المكي ثم ٢٦ ربيع الاول سنة ١٣٥١ المؤلف

حسين باسلامه

ملحوظة

قد أشرت في جملة مواضع في هذا الجزء الى ماسأكتبه في خاتمة هذا القسم عن نظريات أعلام الغرب من مستشرقين وخلافهم في النبي محمد ﷺ وفي الوحي ، وفي القرآن المجيد ، وفي حضارة الاسلام ، وتمدن المسلمين ، والتشريع الاسلامي، وكونه تشريعا منظما عادلا يصلح لكل زمان وعصر . ولما شرعت في تأليفه وجدته قد كبر وصار جزأ خاصا فعدلت عن جعله خاتمة وأفردته مصنفا على حدة وسميته (الاسلام في نظر أعلام الغرب) وقد تم بحمد الله تعالى تأليفه ، وهو الان تحت الطبع وسيصدر قريبا فألفت اليه الانظار . وبالله التوفيق وهو حسبنا ونعم الوكيل .

حسين باسلامه

مصادر الكتاب

قد راجعت أكثر من مائتى مؤلف من تفاسير ، ومتون الحديث وشروحها ، والسير ، والتراجم ، والتاريخ ، والمعاجم ، واللغة ، والفقه ، والمناسك مما دبجه يراع علماء الاسلام ، وكذلك اطلعت على كثير من مؤلفات أهل العصر الحاضر من المسلمين ، والمستشرقين ، والملاحدة ، والمشككين، وغير ذلك . وانما اقتصرت هنا على بيان المصادر التى دونت منها سيرة ﴿ حياة سيد العرب ﴾ ﷺ وهي

عدد

١ القرآن المجيد

٢ تفسير القرآن لابى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠

٣ » » للامام ابي محمد البغوى المتوفي سنة ٥١٦

٤ » » لعماد الدين الحافظ ابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤

٥ » » لعلاء الدين على بن محمد الخازن تم تأليفه سنة ٧٢٥

٦ » » للامام فخر الدين الرازى المتوفى سنة ٦٠٦

٧ صحيح محمد بن اسماعيل البخاري المتوفى سنة ٢٥٦

٨ » ابى الحسن مسلم بن الحجاج النيسابورى المتوفى سنة ٢٦١

٩ مسند الامام أحمد بن حنبل المتوفي سنة ٢٤١

١٠ سنن ابى داود سليمان بن الاشعث السجستانى المتوفى سنة ٢٧٥

١١ سنن ابى عيسى محمد بن عيسى الترمذى المتوفى سنة ٢٧٩
١٢ » ابن ماجة ابى عبدالله محمد بن يزيد القزوينى المتوفي سنة ٢٧٣
١٣ » ابي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائى المتوفى سنة ٣٠٣
١٤ فتح الباري شرح صحيح البخاري للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢
١٥ شرح صحيح مسلم للامام محى الدين بن شرف النووى المتوفى سنة ٦٧٦
١٦ سيرة ابن اسحاق رواية ابى محمد عبد الملك بن هشام المعافرى المتوفى سنة ٢١٨
١٧ الشفاء للقاضى عياض المتوفى سنة ٥٤٤
١٨ كتاب زاد المعاد للحافظ ابى عبدالله بن القيم الجوزية المتوفى سنة ٧٥١
١٩ » المواهب اللدنية للحافظ أحمد بن محمد القسطلانى المتوفى سنة ٩٢٣
٢٠ سبيل الهدى والرشاد (خط) في أربعة أجزاء ضخام لابي عبدالله محمد الشامي نزيل برقوقية الصحراء تلميذ السيوطى والقسطلانى.
٢١ السيرة الحلبية للعلامة على بن برهان الدين الحلبى
٢٢ » بهجة المحافل لعماد الدين يحيى بن ابى بكر العامرى المتوفي سنة ٨٩٣
٢٣ الاستيعاب فى أسماء الأصحاب للحافظ ابى عمر يوسف بن عبدالبر المتوفي سنة ٤٦٣

٢٤ الطبقات للحافظ ابن سعد النيسابوري المتوفي سنة ٣٤٩
٢٥ الاصابة في تمييز الصحابة للحافظ ابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢
٢٦ أسد الغابة لابي الحسن على بن محمد الشيباني الجزري » » ٦٣٠
٢٧ تاريخ الامام ابن جرير الطبري المتوفي سنة ٣١٠
٢٨ » ابن الاثير الشيباني
٢٩ » ابن خلدون مع المقدمة للامام عبد الرحمن بن خلدون الحضرمي المتوفي سنة ٨٠٨
٣٠ وفاء الوفاء للعلامة نور الدين على بن جمال الدين السمهودى المتوفى سنة ٩١١
٣١ معجم البلدان للامام شهاب الدين ابى عبد الله ياقوت الحموى المتوفي سنة ٦٢٦
٣٢ طبقات الامم لابن صاعدة الاندلسى اخذت عنه ما يتعلق بالعرب البائدة
٣٣ النهاية فى لغة الحديث لابن الاثير الشيبانى
٣٤ القاموس المحيط للامام محمد بن يعقوب الفيروزابادي المتوفي سنة ٨١٧
٣٥ نهاية الارب فى أنساب العرب لشهاب الدين أحمد بن عبد الله القلقشندى المتوفى سنة ٨٢١
٣٦ سبائك الذهب في أنساب العرب لمحمد أمين البغدادى السويدى

بيان الخطأ والصواب الواقع فى الجزء الرابع من كتاب حياة سيد العرب ينبغى اصلاحه قبل قراءته

خطأ	صواب	سطر	صحيفه
الدينية	الدينى	٦	٢
اثنين	اثنان	١٤	٥
يتثنى	يتسنى	١٨	٦
المحدوده	المحدود	٦	٨
عمار	اعمار	١٢	٩
الواضيع	الوضيع	١٠	١٣
المنبوذين	المنبوذون	١٠	١٥
كابر	كابرا	١٠	٣١
لم يرضى	لم يرض	٩	٤٦
ويحذهم	ويحذرهم	٨	٤٧
عزيزا	عزيز	١٠	٤٨
الاصيدر	عند الاصيدر	١٤	»
الحزلان	الخذلان	١٥	»
الرويات	الروايات	٣	٥٧
سبعين	سبعون	١٥	٦١
احد	أحدًا	١٢	٧٤
ظامت	ظلمة	١٣	»
أشبُّ	أشبَّ	١٧	٨٢
وارجاءه	وارجاؤه	٦	٨٦
ادنوا	دنوا	٩	٩٢
أطلب	أطالب	٢	٩٦
ذويرن	ذويزن	١٧	١٢٤
من وأدي	ومن أدى	١٤	١٢٥
حبرا	حبرٌ	١٨	١٢٩
القلقشده	القلقشندى	٥	١٣٩
واحمه	وارحمه	٦	١٤٠
بعد	بعد ذلك	٧	»
الحمد الله	الحمد لله	١١	»
ويضحك	أو يضحك	»	١٤٣
جهادا	جهارا	٧	١٤٤

خطأ	صواب	سطر	صحيفه
بجد	نجد	١١	١٤٤
أللف	ألّف	١٥	١٤٦
قبولا	قبول	١	١٤٧
ورواجا	ورواج	»	١٤٧
تفهيم	تفهيم	٤	١٤٨
اتتبعنا	أيتبعنا	١٠	١٦٠
شنوء	شنوءة	١٧	١٦٣
والدت	والدة	١	١٦٨
الاقص	الاقصى	٣	١٦٩
عل	على	٨	١٧٢
ا	لما	١٠	»
شئ	شيئا	٦	١٨٣
حصياة	حصيات	١٣	١٨٦
من المسلمون	المسلمين	٤	١٨٧
باسقاط (من)			
أنشهد	نشهد	١٦	١٨٧
من القبور	من فى القبور	٢	١٨٨
رويات	روايات	١٢	»

خطأ	صواب	سطر	صحيفه
رضي عنه	رضى الله عنه	٦	١٩٤
يحترم	تحترم	٣	١٩٥
الحسن	الحسنى	١	١٩٦
رواية	روايات	١٣	٢٠٣
خلق	الخلق	٩	٢٠٧
لاذم	لايذم	٦	٢٠٩
يغصب	يغضب	٣	٢١٠
وأحلس	وأجلس	٩	٢١٤
لتبرءت	لتبرأت	١٣	٢١٨
فرحون	فرحين	١٥	»
مبتهجون	مبتهجين	»	»
مسرورن	مسرورين	١٦	»
أحوله	احواله	١	٢٢٠
قبتضها	قبضتها	١٠	٢٢٣
ساذخين	ساذجين	١٦	»
امرأت	امرأة	٤	٢٢٥
فابتدرة	فابتدرت	١٣	»
المذبوغة	المدبوغة	٦	٢٢٦

خطأ	صواب	سطر	صحيفه
أم يلقلون	أم يقولون	٣	٢٢٩
مهمتد	مهتد	٢	٢٣٠
أدْفَعُ	إدْفَعْ	١١	»
يا أرْضَ	يا أرْضُ	١٢	»
بنطعة	بنقطة	١٨	٢٣١
اقتصرة	اقتصرت	٢	٢٣٤
القرٓن	القرآن	٣	»
أم برده قطعت	أم بردة قطعة	١٦	٢٣٦
ستة	ستًا	١٠	٢٣٧
ثمانية عشر ثمان عشرة		٤	٢٣٩
أبوبكر.	أبى بكر	١٧	»
المسك	المسلك	٣	٢٤٤
وأبويا	وأبوى	١٢	٢٤٦
ودخوله ؛	وطلقها قبل دخوله	١٨	٢٤٧
اثنين	اثنتين	٢	٢٥٣
»	»	٧	٢٥٤
الرعد	الرعدة	١٣	٢٥٨
يتزجها	يتزوجها	١٤	٢٦١
مزحج	مذحج	٨	٢٦٥
فاقض	فاقضى	١٣	٢٦٨
الاباء الاغبياء؛	الاباء الاغبياء	٤	٢٨٠
»	»	٨	»
حوازته	حوزته	١١	٢٨٢
جباب	جبات	٣	٢٨٩
ابا مويهه	ابى مويهة	١١	٣٠١
المؤمنين	المؤمنون	١	٣٠٣
ماذل	مازال	٧	»
ولا نستأثروا	ولا تستأثروا	١١	٣٠٦
نساء جئن	نساء حين جئن	١٣	٣٠٩
توقى	توفى	١٣	٣١٣
بالرفيق	بالرفيق الاعلى	١	٣١٥
فقدمها	فقدمتها	٧	٣١٦
فأن مات	افائن مات	١٦	٣١٦
لذى	للذى	٣	٣١٧
لم يدر ما يقولون	لم ندروا ما يقولون	٧	٣٢٠

[redacted]
باسلامة ،حسين عبد الله
حياة سيد العرب وتاريخ النهضة الاسل
AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES
01002860

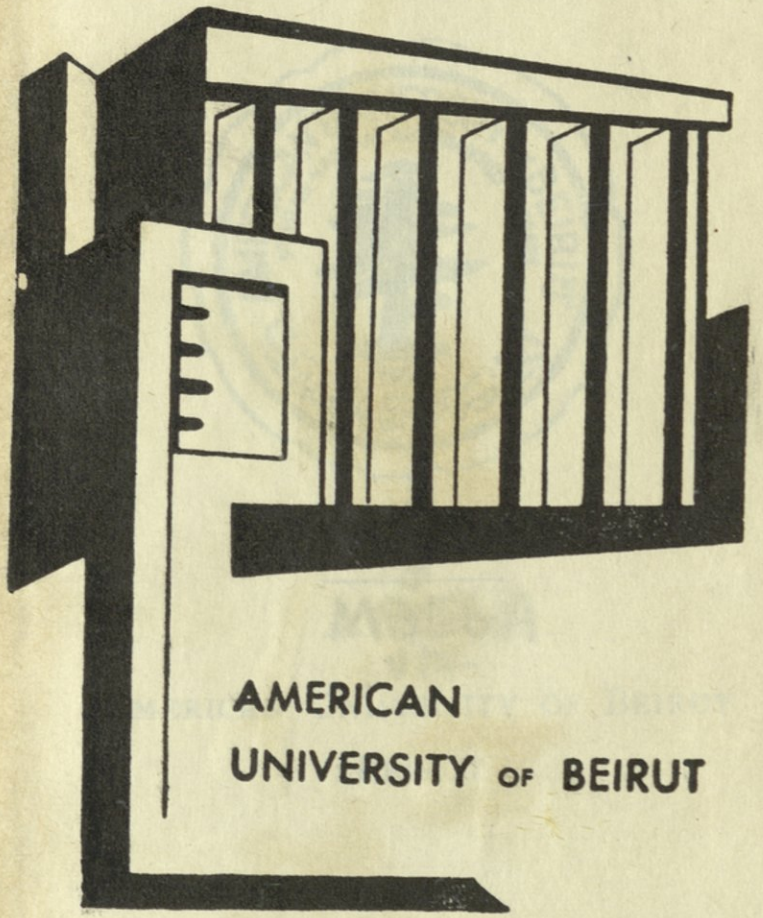

709
VH
4